كتاب

﴿ تفريج المهج بتلويح الفرج ﴾

﴿ الجامع للكتب الثلاثة ﴾

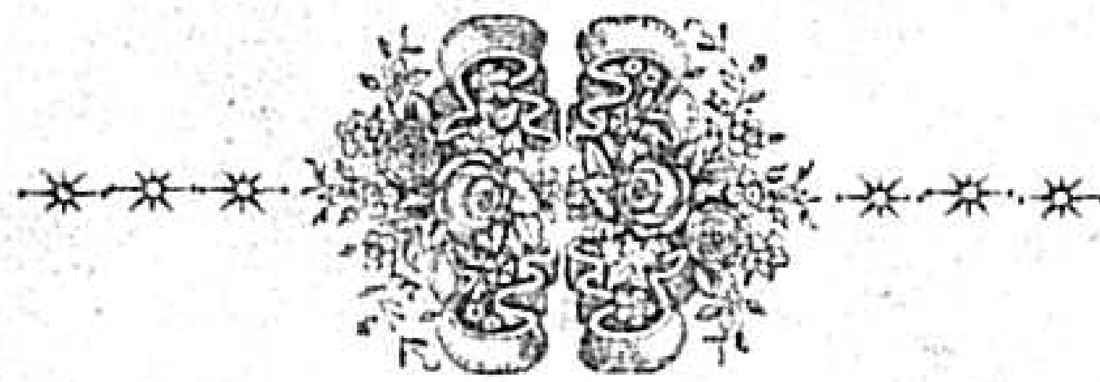
"الأول" حل العقال للاديب الفاضل العلامة السيد عبدالله
ابن محمد الحجازي الحلبي المعروف بابن قضيب البان

ويليه

"الثاني" وهو كتاب الارج في الفرج للامام الحافظ
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

وبهامشه

"الثالث" وهو كتاب معيد النعم ومبيد النقم للشيخ الامام تاج
الدين عبد الوهاب السبكي



﴿ طبع بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر ﴾

كتاب

تفريج المهج بتلويح الفرج

الجامع للكتب الثلاثة

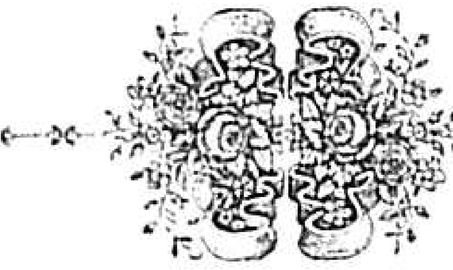
(الأول) حل العقال للاديب الفاضل العلامة السيد عبدالله ابن محمد الحجازي الحلبي المعروف بابن قضيب البان المتوفى ١٠٩٦

ويليه

(الثاني) وهو كتاب الأرج في الفرج للامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى ٩١١

وبهامشه

(الثالث) وهو كتاب معيد النعم ومبيد النقم للشيخ الامام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى ٧٧١



طبع بالمطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مفرج الكروب هذه الازمة اشتدت ففرجها · وهذه الرؤس خاضعة لجلالك فبالعز توجها · وهذه الأيدي مبسوطة اليك بالدعآء فلا تردها صفرا · وهذه عقدة العسرة استحكمت فحلها وابدلها بفضلك يسرا · وصل وسلم على نبيك محمد سيد الكونين · القائل وهو الصادق المصدوق لن يغلب عسر يسرين · وعلى آله واصحابه · الفائزين بمشاهدة جنابه · ما عبق ارج الفرج · وهبّ نسيم البشر فاحيا بطيبه المهج · اما بعد فهذا سفر بديع · حوى من كل معنىً بديع · ما يروّح الروح · ويفتح لقارئه ابواب الفتوح · جمعت فيه ثلاثة اسفار في الفرج بعد الشده · فجاء بحمده تعالى للشدائد عدّه · اولها (كتاب حل العقال · لمحط رحال الفضلاء · والافضال) الأديب الأريب · الرامي بقوس المجد عن كل سهم مصيب · قس دهره وسحبانه · وزهيره وحسانه · بديع الزمان وفريد الاوان السيد عبد الله الحجازي المعروف بابن قضيب البان المتوفي سنة ١٠٩٦ بمدينـة حلب تغمده الله بغفرانه واسكنه غرف جنانه · وثانيها (كتاب الارج في الفرج) لحافظ عصره · وواحد دهره · الامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ بوأه الله اعلا عليين · وحشره مع الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين · وثالثها وقد وشحنا به طرة الكتاب الا وهو الكتاب الحاوي للعجب العجاب · الفريد في هذا الباب · الآتي من ذلك بما فيه تبصرة وذكرى لأولي الالباب · الفائض من بحره العباب · جواهر الأداب · المسمى (بمعيد النعم ومبيد النقم) لقاضي القضاة · وعلم الهداة · جمال الدين والدنيا · وصدر العلم والعليا · الشيخ الامام تاج الدين · عبد الوهاب السبكي المتوفي سنة ٧٧١ رفع الله في فردوسه مقامه · واجزل بقربه منه اكرامه · وبعد اسفار فجره · واكتمال بدره · احببت ان احليه بحلية الطبع · ليعم به انشاء الله النفع · فبادرت لذلك رجاء الثواب · ومنه تعالى التوفيق للصواب · وسميته (تفريج المهج بتلويح الفرج)

والله الهادي الى سوآء السبيل

وهو حسبي ونعم

الوكيل

محمد امين الخانجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جالي ظلم الشدائد بانوار الفرج · ومؤنس القلوب المكتئبة من وحشة الضيق والحرج · والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لم ترعه المحن باعتكارها · حتى بلغ الغاية في اعلاء كلمة الدين واظهارها · وعلى آله الطيبين · واصحابه الغرّ المحجلين * وبعد فيقول العبد الخائض في بحار العصيان · السيد عبد الله بن السيد محمد الحجازي · المعروف بابن قضيب البان · لما رأيت الناس عُرضةً لحوادث الدهور · يتقلبون في السرآء والضراء على تصاريف المقدور · فلا يخلو احدٌ من ضيق واتساع ولا يدوم على عسرٍ او يسرٍ ولا خفض او ارتفاع · وكان اللائق بالممتحن ان يتلقى احداث زمانه بمجنّ الصبر · ولا يعوّل في كشفها الا على من بيده ملاك كل امر · اذ هي تأديبٌ من الله سبحانه والادب لا يطول · كما ان لطفه الشامل لعباده لا ينقطع عنهم ولا يزول · حسبما اشار اليه ابن عطا الله الاسكندري حيث قال " من ظن انفكاك لطفه عن قدره · فذلك لقصور نظره " اردت ان اجمع من الحكم والآثار نبذةً يداوى بها الكلوم · واضيف اليها من القصص والاخبار ما تكون سلوةً لكل مهموم · وقد سبقني الى ذلك جماعة من العلماء والرواة · الذين اشتهرت احاديث فضلهم على السنة الثقاة · واحسن ما صُنف فيه كتاب القاضي ابي علي الحسن بن علي التنوخي المسمى (بالفرج بعد الشدة) الا انه اطال فيه الى حد يورث الملل · واورد ما لا حاجة اليه بل ولا مناسبة له بهذا العمل · فاستخرت الله وبدأت في المقال · وقصدت التيمن لقارئه فلقبته (بحلّ العقال) ورتبته على اربعة ابواب * الباب الاول * فيما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الفرج · وما تضمناه من الادعية المنجية من كل ضيق وحرج * الباب الثاني * فيما جاء من الامثال والحكم · مع آثار مفيدة

كتاب

معيد النعم ومبيد النقم للشيخ الامام العالم العلامة العمدة الفهامة حسام الحق والدين تاج الدين عبد الوهاب السبكي الشافعي رحمه الله تعالى واعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته آمين

م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا قاضي القضاة حاكم الحكام شيخ الاسلام حجة العلماء وارث علوم الانبياء مفتي الانام تاج الدين سيف المناظرين حسام المتكلمين عمدة المفسرين امام الحفاظ والمحدثين اوحد المجتهدين ابو نصر عبد الوهاب ابن سيدنا ومولانا قاضي القضاة حاكم الحكام شيخ الاسلام بركة الانام بقية المجتهدين تقي الدين ابي الحسن علي السبكي الشافعي رحمهما الله تعالى * اما بعد حمد الله تعالى معيد النعم · ومبيد النقم · بمزيد الشكر ومديد الكرم · والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد خير العرب والعجم · والهادي الى ارشد طريق واقوم امم · وعلى آله واصحابه وصالحي

تذهب عن القلب وارد الالم * الباب الثالث * فيما روى من الاخبار · المنبئة عن لطف الله بعباده في مجاري الاقدار * الباب الرابع * فيما يناسب من الاشعار الرائقة · مع ابيات مجربة لصرف النوازل الطارقة · وها أنا اشرع في المقصود · مستمداً من احسان مفيض الجود على الوجود ·

الباب الاول

فيما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الفرج بعد الشدة

(وما يتوصل الى كشفها بالادعية المنجية في اسرع مدة)

قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه * روى عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية اعني ومن يتق الله الى آخرها ثم يقول يا ابا ذر لو ان الناس كلهم اخذوا بذلك لكفاهم حكى ابو عبيدة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان بني فلان اغاروا عليّ فذهبوا بابلي وابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آل محمد لكذا وكذا اهلة ما فيهم مدمن طعام فاسئل الله تعالى فرجع الى امرأته فاخبرها فقالت نعم ما ردك اليه فما لبث ان ردّ الله عليه ابنه وابله اوفر مما كانت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر الناس بمسئلة الله عز وجل والرجوع اليه وقرأ ومن يتق الله الآية انتهى * وقال جل ثناؤه وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين * اخرج الترمذي في سننه واحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ذى النون اذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في

شيء قط الا استجاب الله له * وعن سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الافرج الله عنه كربه كلمة اخي يونس عليه السلام فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * وروى عن الثقاة انه من داوم على قرأة وذا النون اذ ذهب مغاضباً الى قوله تعالى ننجي المؤمنين في الصلاة وغيرها ايام شدائده عجل الله له بالفرج * وروى ابراهيم بن سعد عن ابيه عن جده قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم كرب او بلاء من الدنيا دعا به ففرج عنه فقيل له بلى فقال دعاء ذى النون لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * ويحكى عن الحسن البصري انه قال من لازم قراة هذه الآيات الخمس في الشدائد كشفها الله عنه وهي قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضباً الى قوله ننجي المؤمنين وقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الى قوله واولئك هم المهتدون وقوله تعالى الذين قال لهم الناس الى قوله والله ذو فضل عظيم وقوله تعالى وايوب اذ نادى ربه الى قوله وذكرى للعابدين وقوله تعالى وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد * اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقعتم في امر عظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل * وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل خائف * قال الامام جعفر بن محمد رضي الله عنهما عجبت لمن خاف سوءاً كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات مامكروا وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله سبحانه يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي

امته خير الامم · فقد ورد على سؤال مضمونه هل من طريق لمن سلب نعمة دينية أو دنيوية اذا سلكها عادت اليه وردت عليه فكان الجواب طريقه ان يعرف من اين اتى فيتوب عنه ويعترف بما في المحنة بذلك من الفوائد فيرضى بها ثم يتضرع الى الله تعالى بالطريق التي نذكرها فهذه ثلاثة امور هي طريقه التي يحصل بمجموعها دواء مرضه ويعقبها زوال علته بعضها مرتب على بعض لا يتقدم ثالثها على ثانيها ولا ثانيها على اولها فعاد اليّ السائل قائلاً اشرح لنا هذه الامور شرحاً مبيناً مختصراً وصف لنا هذا الدواء وصفاً واضحاً لنستعمله فقلت هذا سر غريب جمهور الخلق لا يحيطون بعلمه · ونبأ عظيم اكثر الناس معرضون عن فهمه · لاستيلاء الغفلة على القلوب · ولغلبة الجهل بما يجب للرب على المربوب · وانا ابحث عن هذه الامور في هذا المجموع الذي سميته (معيد النعم ومبيد النقم) بحثاً مختصراً لا ارخي فيه عنان الاطناب فانه بحر

لا ساحل له ولو ركبت فيه الصعب والذلول وشمرت فيه عن ساق البيان وخضت فيه لجج الدقائق لذكرت فيه ما يعسر فهمه على اكثر الخلائق ولأنتهينا الى مالم يؤذن لنا في اظهاره من الاسرار العلمية وانما اذكر من ذلك ما يشترك الخاصة والعامة في فهمه واخص فيه النعم الدنيوية اذ كانت محط غرض السائل · عسى الله تعالى ان ينبه بها للنعم الاخروية اذ هي غاية الوسائل وانا ارجو لمن كانت عنده نعمة لله تعالى في دينه او دنياه وزالت فنظر في هذا الكتاب نظر معتقد وفهمه وعمل بما تضمنه بعد الاعتقاد عادت اليه تلك النعمة او خير منها وزال همه باجمعه وانقلب فرحاً مسروراً فمن شك فليستعمل هذا الدواء لا على قصد التجربة ورديء الاعتقاد · ونظر الاختبار والانتقاد · بل بحسن الظن وجميل الاعتقاد · فانه عند ذلك يظفر بغاية المراد · واسأل الله تعالى ان يصرف اليه عزمة مستحقيه · ويصرف عنه همة من لا يستحقه ولا يدريه *

المؤمنين انتهى *قال الله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء
عليكم مدراراً ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم
انهاراً * اخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لزم الاستغفار جعل الله له من
كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب * ومثله
ماحكي ان اعرابياً قصد امير المؤمنين علياً رضي الله عنه فقال اني لذو
محن فعلمني شيئاً انتفع به فقال يا اعرابي ان للمحن اوقاتاً ولها غايات فاجتهاد
العبد في محنته قبل ازالة الله تعالى اياها يكون زيادة فيها يقول الله تعالى
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون لكن استعن بالله والزم الصبر
واكثر من الاستغفار فانصرف الرجل ولزم الاستغفار فنجا من محنته *واخرج
البيهقي في شعب الايمان عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق
فليستغفر الله ومن نزل به امر فليقل لا حول ولا قوة الا بالله * واخرج
العقيلي عن جابر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
استكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها تدفع تسعة وتسعين باباً
من الضر ادناها الهم * وفي كتاب ابن السنى عن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي الا اعلمك كلمات اذا وقعت في
ورطة قلتها قال بلى جعلني الله فداك قال اذا وقعت في ورطة فقل بسم الله
الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فان الله تعالى يصرف
بها ما شاء من انواع البلا * وعن علي رضي الله عنه انه قال اربعة من
كنوز الجنة اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول
ولا قوة الا بالله * قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اجتمعت
بالخضر عليه السلام في سياحتي فاوصاني وقال ليس شئ في الاقوال ·
اعون على حمل الاثقال · من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ·

وروينا

« الامر الاول » ان تعرف من
اين اتيت وما السبب الذي زالت
به عنك النعمة فان النعمة
لا تزول عنك سدى » وان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم *اعلم انها لم تزل عنك الا
لاخلالك بالقيام بما يجب عليك
من حقوقها وهو الشكر فان كل
نعمة لا تشكر حرية بالزوال
ومن كلامهم "النعمة اذا شكرت
قرت واذا كفرت فرت » وقيل
لا زوال للنعمة اذا شكرت ولا
بقاء لها اذا كفرت وقيل النعمة
وحشية فاشكلوها بالشكر والادلة
على ان كفران النعمة يوجب
انزوائها كثيرة فلا نطيل
بذكرها * والحاصل ان كتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
تعالى عليه وسلم دالان على ان
كفران النعمة يؤذن بزوالها
وشكرها يقضي بمزيدها وذكر
العارفون ان الرب تعالى قطع
بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه
واستثنى في خمسة اشياء في الاغناء
والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة
فقال تعالى فسوف يغنيكم الله
من فضله ان شاء وقال فيكشف

وروينا عن مشايخنا ايات عديمة النظير بديعة التاثير تقرأ في المهمات ·
ودفع المخاوف والملمات · وهذه الايات الكريمة تشتمل على خمسين قافاً في
كل آية عشرة وليس في القرآن كذلك غيرها والآيات الشريفة هذه
الم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا
ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا
تقاتلوا قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين · لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق · الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن
اتقى ولا تظلمون فتيلا · واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً
فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله
من المتقين · قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه
اولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الاعمى والبصير ام
هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق
عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار · تقرأ هذه الآيات
الشريفة عشر مرات ان امكن والا فمرة واحدة كل يوم بعد الاستعاذة
والتسمية اول كل مرة ثم تتلو بعدها هذه الاسماء الشريفة وهي ياقاهر
ياقادر يا قوي يا قيوم يا قابض يا قدوس يا قائم يا قريب يا قابل التوب
يا مقتدر كذلك عشر مرات كل يوم او مرة واحدة * واخرج ابن ابي الدنيا
في الفرج والبيهقي في الاسماء عن اسماعيل بن فديك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال لي يامحمد قل
توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له

ما تدعون اليه ان شاء وقال
ويرزق من يشاء ويغفر لمن يشاء
وقال ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء وقال في الشكر من
غير استثناء لئن شكرتم لازيدنكم
فان قلت فما الشكر قلت قد
شرحه العارفون وبينوا حقيقته
وانا اختصر لك القول فيه وآتي
بما يقرب من فهمك فاقول الشكر
يكون بالقلب واللسان والافعال
هذه اركانه الثلاثة اما القلب
وهو اعظمها فالمراد منه ان تعلم
وتعتقد ان الله تعالى هو الذي
منحك النعمة لا احد سواه
شاركه فان كل من يقدره من
كبير او امير ووزير وصاحب
وخليل ووالد وغيرهم لا يقتدر
على فعل شيء لنفسه فضلا عن
غيره وان جرى على يديه خير
فالله تعالى هو الذي اجراه على
يديه والا فهو لا مدخل له فيه
ولا صنع فمن انعم عليه ملك من
الملوك بشيء فان راى لوزير الملك
او لحاشيته مدخلا في تيسير ذلك
وايصاله فهو اشراك بالملك في
النعمة اذ لم ير النعمة منه من كل
وجه بل راها منه ومن غيره

شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا * واخرج الشيخان في صحيحيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم * وفي كتاب ابن السني عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خفت سلطانا او غيره فقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا اله الا انت عز جارك وجل ثنائك * ويروى انه لما حبس الحسن بن الحسن رضى الله عنهما بالمدينة بامر الوليد بن عبد الملك اتاه علي بن الحسين رضى الله عنهما فقال يا ابن عم مالك ادع الله بدعائه المفرج يفرج عنك فقال ماهو يا ابن عم فقال قل لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ثم انصرف علي والحسن يكررها فلم يلبث ان اطلق وفرج عنه . وفي كتاب ابن السني عن ثوبان رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا راعه شئ قال هو الله الله ربي لا شريك له . وفي سنن ابي داود وابن ماجه عن اسماء بنت عميس رضى الله عنهما قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اصابه هم او غم او سقم او شدة او ذل او لأواء فقال الله الله ربي لا اشرك به شيئا كشف ذلك عنه . وفي كتاب ابن السني عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابه هم او حزن فليدع بهؤلاء الكلمات يقول اللهم انا عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي فقال رجل من القوم يارسول الله ان المغبون لمن غبن عن هؤلاء الكلمات فقال اجل

فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك فمن حق الملك ان يعاقبه على هذا الاعتقاد فان قلت ماعلاج هذا الداء فاني ارى اناسا لي عليهم خدمة ولي عندهم يد وبيني وبينهم صداقة يصدر على يديهم نفعي في ديني ودنياي فلا استطيع ادفعهم عن قلبي قلت من الذي سخرهم لك والقى في قلبهم الداعية ويسر الاسباب عليهم حتى اوصلوا النفع اليك هات قل لي فان قلت الله الذي سخرهم وسخر الشمس والقمر كل يجري بامره فاعلم انهم مسخرون تحت قبضته فان كنت تعتقدهم فاعلين شيئا فهلا اعتقدت القلم والحبر والكاغد التي كتب فيها منشورك فاعلا ولم لا اعتقدت الموقع فاعلا ولم لا اعتقدت الخازن الذي يخرج لك الدراهم فاعلا فاذا كنت تفهم وتعتقدان كل واحد من هؤلاء مقهور من الملك مجبور ولو خلي ونفسه لما اعطاك ذرة فافهم ان كل من وصل اليك على يديه خير من المخلوقين فهو كذلك في قبضة رب العالمين فاشكره وحده ولا

فقولوهن وعلموهن فانه من قالهن التماس ما فيهن اذهب الله تعالى حزنه واطال فرحه * واخرج البخاري وابن حبان في صحيحيهما عن ابي بكرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوة المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله لا اله الا انت * واخرج الترمذي في سننه عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد * ذكر ابو العباس احمد الشرجي في كتابه الفوائد ما نصه ان من سر الاولياء ودلالتهم لكل من اهمه امر او نزل به كرب ان يتوضأ ويصلي المغرب في ليلة الجمعة ثم يعتكف على صلاة وذكر لله تعالى ولا يكلم احدا حتى يصلي العشاء فاذا اوتر يقول في آخر سجدة من الوتر يا الله يارب يارحمن ياحي يا قيوم بك استغيث يا الله يقول ذلك مائة مرة ثم يسأل حاجته ويجتنب ان يدعو على مسلم * وروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان يقول يابني اذا اصابتكم مصيبة في الدنيا او نزل بكم فاقة او امر فادح فليتوضأ الرجل منكم وضوءه للصلاة وليصل اربع ركعات او ركعتين فاذا فرغ من صلاته فليقل يا موضع كل شكوى يا سامع كل نجوى يا شافي كل بلوى ويا عالم كل خفية ويا كاشف كل ما يشاء من بلية يا نجي موسى يا مصطفي محمد يا خليل ابراهيم ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته دعاء الغريب الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا انت يا ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * ومما تلقيناه من المشايخ الاجلاء واوصينا به اكثر الاخوان والاخلاء ان يقرأ المسجون والمأسور في مجلس واحد بنية خالصة وحضور قلب مستقبل القبلة سورة يوسف عليه السلام ثم يقول الف مرة بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم يقول اللهم يا لطيف يا لطيف يا لطيف يا من وسع لطفه اهل السموات والارضين

تشرك به احدا واعلم ان المخلوقين وكل مخلوق مضطر سلط الله تعالى عليه الارادة وهيج عليه الدواعي والقى في قلبه ان يعطيك فلم يجد بعد ذلك سبيلا الى دفعك ولا يعطيك والحالة هذه الا لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن له غرض في الاعطاء لما اعطاك ولو لم يعتقد ان له نفعا في نفعك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك ويتخذك وسيلة الى نعمة اخرى يرجوها لنفسه وما انعم عليك الا الذي سخره لك والقى في قلبه ماحمله على الاحسان اليك فان قلت فلم ورد الشرع بشكري اياه حيث قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس رواه ابوداود بهذا اللفظ والترمذي بلفظين احدهما من لا يشكر الناس لا يشكر الله تعالى والاخر من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى وفي حديث النعمان بن بشير ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من لم يشكر

اسأ لك اللهم ان تلطف بي بخفي لطفك الخفي الذي اذا لطفت به على احد
من خلقك كفى فانك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده يرزق من
يشاء وهو القوي العزيز فان الله يخلصه معجلاً ويفرج عنه للفور باذن الله
تعالى وقد جرب ذلك وصح * ويروى عن الحسن البصري انه لما طلبه
الحجاج واراد به المكروه كان يدعو في طريقه بهذه الكلمات فحين دخل
عليه كلمه الحجاج بكلام غليظ فرفق الحسن به ووعظه ولم يزل حتى دعا
الحجاج بالطعام فأكلا وبالغالية فغلفه بيده وصرفه مكرماً * قال صالح
ابن مسمار فما دعونا بها في شدة الا فرج عنا وهي هذه يا غياثي عند دعوتي
يا عدتي في ملمتي يا ربي عند كربتي ويا صاحبي في شدتي ويا وليي في
نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وموسى
وعيسى ويا رب النبيين كلهم اجمعين ويا رب كهيعص وطه وطس ويس
ويا منزل التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم صلى على محمد وآله
الطاهرين الطيبين وارزقني مودة عبدك فلان وخيره ومعروفه واصرف
عني اذاه وشره ومكروهه ومعرته برحمتك يا ارحم الراحمين * ونقل السخاوي
في القول البديع قال حكى الفاكهاني في كتابه الفجر المنير قال اخبرني
الشيخ الصالح موسى الضرير انه ركب في مركب في البحر المالح قال وقد
قامت علينا ريح تسمى الاقلابية قلما ينجو احد منها من الغرق فنمت فرأيت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي قل لاهل المركب يقولوا الف مرة اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تنجينا بها من جميع الاهوال والافات
وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها
عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها اقصى الغايات من جميع الخيرات في
الحياة وبعد الممات قال فاستيقظت واخبرت اهل المركب بالرؤيا فصلينا
نحو ثلاثماية مرة ففرج الله عنا وسكن عنا ذلك الريح ببركة الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم وساقها المجد اللغوي باسناده مثله سواء ونقل عقبها عن
الحسن بن علي الاسواني قال من قالها في كل مهم ونازلة وبلية الف مرة

فرج

القليل لم يشكر الكثير ومن لم
يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بنعمة الله شكر وتركه كفر
الحديث في اسناده الجراح بن
مليح والد وكيع تكلم فيه بعضهم
والعمل على توثيقه واخرج له مسلم
وفي حديث الاشعث بن قيس
الكندي قال ان اشكر الناس لله
اشكرهم للناس اخرجه احمد بن منيع
في مسنده قلت ورد بذلك لكونه
اجرى النعمة على يديه فيكون
شكرك اياه داعياً له الى ان
يزيد من فعل الخير ولك ان
تشكر الفاعل بالحقيقة الذي
هو الرب ولغير ذلك من الاسباب
الذي لا غرض الآن في شرحها
فعليك الشكر لاجل امر الله لا
لاعتقاد انه فاعل بل لو شكرته
بذلك الاعتقاد لكنت مشركا
لا شاكراً فاشكره واعلم انه لا ينفع
ولا يضر وانه ربما تغير عليك بايسر
الاسباب وانقلب حبه بغضاً وزالت
تلك الدواعي وتبدلت بضدها
وانما المحسن الذي لا يتغير ولا يحول
ولا يزول رب الارباب والواسطة
التي بين الخلق والحق الذي
هو ربنا رؤف رحيم لا تتغير حالته

فرج الله عنه وادرك مأموله * واخرج ابن ابي الدنيا عن الفضل بن الربيع
عن ابيه ان الامام جعفر بن محمد الباقر نجاه الله من ابي جعفر المنصور
لما اراد قتله بهذه الكلمات وهي اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني
بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك عليّ لا اهلك وانت رجائي رب كم
من نعمة انعمت بها عليّ قل لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها
قل لك عندها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل
عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رأني على الخطايا فلم يفضحني ياذا
المعروف الذي لا ينقضي ابداً وياذا النعم التي لا تحصى ابداً اسئلك ان
تصلي على محمد وآل محمد وان عبداً من عبادك مثلي ألقيت عليه
سلطانك فخذ سمعه وبصره وقلبه الى ما فيه صلاح امري وبك ادراء في
نحره واعوذ بك من شره اللهم اعني على ديني بالدنيا واعني على آخرتي
بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا
تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفرلي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك
انك انت الوهاب اسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً ورزقاً واسعاً والعافية
من جميع البلاء وشكراً على العافية واسألك الغنا عن الناس واسألك
السلامة من كل شر برحمتك يا ارحم الراحمين * واخرج الحاكم في المستدرك
عن عبدالله بن اوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقعد فقال من كانت له حاجة الى الله او الى احد من بني آدم
فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم يثني على الله ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم وليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم
مغفرتك والعصمة من كل ذنب والسلامة من كل اثم لا تدع لي ذنباً الا
غفرته ولا هماً الا فرجته ولا حاجة الا قضيتها يا ارحم الراحمين * وروى
الطبراني في الدعا عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب رضى الله عنهم قال كان ابي اذا كربه امرٌ قام فتوضأ وصلى

محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه
وسلم الامين خير الخلق اجمعين
محمد سيد المرسلين والنبيين عليه
افضل الصلاة والسلام من
رب العالمين فاذا استقرت
هذه القاعدة عندك بحيث صرت
تتلقى كل ما يأتيك من الله تعالى
لا من احد من خلقه فهذا شكر
عظيم للنعمة وهو اعظم اركان
الشكر ولذلك اطلق عليه كثير
من المحققين انه نفس الشكر حيث
قالوا الشكر الاعتراف بنعمة المنعم
على وجه الخضوع وانما اطلقوا
عليه ذلك لكونه اعظم الاركان
كما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
الحج عرفة والندم توبة ونحو ذلك
اخبرنا داود بن سليمان بن داود
الانباري اذناً اخبرنا ابو
الظاهر يوسف بن عمر بن يوسف
سماعاً اخبرنا بركات بن ابراهيم
الخشوعي اخبرنا هبة الله بن
الاكفاني اخبرنا احمد بن عبد
الواحد بن محمد ومحمد بن عقيل
ابن احمد قالا اخبرنا ابو بكر
محمد بن احمد بن عثمان بن ابي
الحديد اخبرنا ابو بكر محمد بن
جعفر السامري الخرايطي حدثنا

ركعتين ثم قال في دبر صلاته اللهم انت ثقتي في كل كرب وانت رجائي في كل شدة وانت لي في كل امر نزل بي ثقة وعدة فكم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويرغب عنه الصديق ويشمت به العدو انزلته بك وشكوته اليك ففرجته وكشفته فانت صاحب كل حاجة وولي كل نعمة وانت الذي حفظت الغلام بصلاح ابويه فأحفظني بما حفظته به ولا تجعلني فتنةً للقوم الظالمين اللهم واسئلك بكل اسم هو لك سميته في كتابك او علمته احداً من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك واسألك بالاسم الاعظم الاعظم الاعظم الذي اذا سئلت به كان حقاً عليك ان تجيب ان تصلي على محمد وعلى آل محمد واسألك ان تقضي حاجتي ويسأل حاجته * واخرج النسائي عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان اعمى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يعافيني قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال بل ادع الله فأمرني بدعاء ادعوه به فامره صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتشفع بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيّ فدعا بهذا الدعا فقام وقد ابصر قال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين قال كثير من العلما والمشايخ صلينا هذه الصلاة في جميع المهمات فقضيت حوائجنا *وفي تفسير النيسابوري اذا دهمك امرٌ فادح او تعسرت عليك حاجة فصل ركعتين بعد صلاة العشاء وبعد تمام الركعتين تسجد وتقول في سجودك الهي انت الذي قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بي * وروى في كتاب المستظرف قال حدث عبدالله بن ابان الثقفي قال وجهني الحجاج بن يوسف الثقفي في طلب انس بن مالك رضى الله عنه فظننت انه يتوارى عني فاتيته بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على

يحيى بن ابي طالب حدثنا علي ابن عاصم بن اسماعيل بن ابي خالد عن ابي عمرو الشيباني قال قال موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور يا رب ان انا صليت فمن قبلك وان انا تصدقت فمن قِبلكَ وان بلغت رسالتك فمن قبلك فكيف اشكرك قال ياموسى الآن شكرتني وفي لفظ اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت بذلك منك شكراً وهذا حق فجميع ماننعاطاه باختيارنا نعمة من الله تعالى علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي اسباب حركاتنا وسكناتنا من خلق الله تعالى ونعمه فنحن نشكر نعمته بنعمته والى هذا المنزع اشار خطيب العلماء الشافعي رضي الله تعالى عنه حيث قال الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه الا بنعمة منه توجب على مؤدي ماضي شكر نعمه بادائها نعمة حادثة يجب عليه شكرها ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته الذي هو كما وصف نفسه وفوق مايصفه به خلقه انتهى وانشد محمود

باب

باب داره ممدودة رجلاه فقلت اجب الامير فقال اي الامراء فقلت ابو محمد الحجاج فقال غير مكترثٍ به قد اذله الله ما اراني اعزه لان العزيز من اعتز بطاعة الله عز وجل والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقمن الله منه فقلت له اقتصر عن هذا الكلام واجب الامير فقام معي حتى احضرناه بين يديه فقال له انت انس بن مالك قال نعم قال انت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك فقال لانك عاصٍ لربك مخالف لسنة نبيك تعز اعداء الله وتذل اولياء الله فقال اتدري ما اريد ان افعل بك قال لا قال اريد ان اقتلك شر قتلة فقال لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله على انه لا سبيل لك علي فقال الحجاج ولم ذاك فقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال له الحجاج علمنيه فقال معاذ الله ان اعلمه لاحد ما دمت انت بالحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب ايها الامير كنا في طلب هذا كذا وكذا يوماً حتى احضرناه فكيف تخلي سبيله فقال الحجاج رأيت ما لم تره فقال له وما رأيت ايها الامير فقال رأيت على عاتقيه اسدين عظيمين فاتحين افواههما ثم ان انساً لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذي لا يضر مع اسمه اذى باسم الله الكافي باسم الله المعافي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسي وديني باسم الله على اهلي ومالي باسم الله على كل شيء اعطانيه ربي الله اكبر الله اكبر الله اكبر اعوذ بالله مما اخاف واحذر الله ربي لا اشرك به شيئاً عز جارك وجل ثناؤك وتقدست اسماؤك ولا اله غيرك اللهم اني اعوذ بك من كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اللهم كما لطفت

الوارق لنفسه

اذا كان شكري نعمة الله نعمة
على بها في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله
وان طالت الايام واتصل العمر

ولم يزد العلماء في هذا الركن اكثر مما ذكرناه وعندي انه يتعين على ذي النعمة ايضاً ان ينظر اليها وان قلت بعين التعظيم لكونها من قبل الله تعالى فان قليله لا يقال له قليل والى نفسه بالتحقير بالاضافة اليها معترفاً بانه ليس اهلا لها وان اصله نطفة من مني يمنى وقد اوصلها الله تعالى اليها لا باستحقاق عليه بل بفضل منه ولا يخفى عليك ان من وصلت اليه هدية من ملك فاستقلها ولم يعبأ بها فان الملك ينتقم منه ذلك ويشدد عقوبته ويأخذ في نفسه منه ويمنع عنه العطاء وان استعظمها واستحقر نفسه بالنسبة اليها فان الملك يحب ذلك منه ويحمله هذا الامر على اسداء نعمة اخرى والرب تعالى لا يخفى عليه خافية فمها وقع في نفسك فهو مطلع عليه فان وقع بقلبك استقلالها فانه يخشى عليك زوالها وافتقارك اليها

في عظمتك دون اللطفآء وعلوت بعظمتك على العظمآء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم وغم اصبحت او امسيت فيه فرجاً ومخرجاً اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسئلك مالا استوجبه مما قصرت عنه ادعوك آمناً واسئلك مستانساً وانك المحسن الي واني المسيء الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي بالنعم واتبغض اليك بالمعاصي فلم ار مولىً كريماً مثلك اعطف على عبد لئيم مثلي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فاسئلك بجودك وكرمك واحسانك وطولك ان تصلي على سيدنا محمد وعلى آله وان تفتح لي باب الفرج بطولك وتحبس عني باب الهم بقدرتك ولا تكلني الى نفسي طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا ارحم الراحمين * وذكر في كتاب خواص القرآن قال ومن طريق مسند لبعض المحدثين عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا رايتم سؤ حال او اردتم حاجة فليسجد احدكم وليقل في سجوده قل اللهم مالك الملك الى قوله تعالى بغير حساب يا الله يا الله يا الله الذي لا اله الا انت يا الله يا الله يا الله انت الله الذي لا اله الا انت وحدك لاشريك لك تجبرت ان يكون لك كفو وتعاليت ان يكون لك شريك وتعاظمت ان يكون لك مشير وتقهرت ان يكون لك ضد وتكرمت ان يكون لك وزير يا الله يا الله يا الله انت الذي يرهبك جميع خلقك لاعين تراك ولا يدركك نور يا الله يا الله يا الله اقض حاجتي ويسمى ما اراد * وروينا عن مشايخنا ادعية مجربة للافراج جالبة للسرور والابتهاج * منها ياحابس يد ابراهيم عن ذبح ابنه وهما يتناجيان اللطف يا ابت يا بني يامقيض الركب ليوسف في البلد القفر وغيابة الجب وجاعله بعد العبودية ملكاً يامن سمع الهمس من ذي النون في ظلمات

وان وقع في قلبك استعظامها فابشر بدوامها والازدياد وقد سمعت الشيخ الامام رحمه الله تعالى يقول اعطيت بعض الناس عطاء فاستقله فعلمت ان الله تعالى يسلبه اياه ويحوجه اليه فان قلت ما علاج هذا الداء فان كثيراً من الناس يعطون ما يرونه قليلا بالنسبة اليهم قلت علاجه ان ينظر الى نفسه ويرى هل يستحق على الله تعالى شيئاً وما اصله وكيف وصل الى ما وصل فما من احد يعتبر حاله من اول منشائه الى ايصال النعمة التي هو فيها مفكر ولها مستقل الا يجدها نعمة لم تكن في حسابه وكثيرة عليه فهذا دواء من ادوية هذا المرض ودواء اخر وهو ان تاخذ النعمة من الله تعالى وتعلم ان العظيم اذا اسدى الى عبده الحقير معروفاً وان قلّ فقد ذكره وما حقرك من ذكرك وما ذكرك الكريم الا وفي نيته ان يختبرك فتلق ما ياتي منه بالبشرى واحذر الاخرى وان كان ما اسداه اليك قليلا عليك فهو بالنسبة الى الله تعالى من عطائه كثير عليك

ثلاث يا راد حزن يعقوب يا راحم عبرة داود يا كاشف ضر ايوب يا مجيب دعوة المضطرين يا كاشف هم المغمومين والمهمومين صل على محمد وآل محمد واسئلك ان تفعل بي كذا وكذا * ومنها لدفع الشدائد . وقهر كل عدوّ ومضادد . اللهم انت المحيط بغيب كل شاهد والمستولي على كل ظاهر وباطن اسئلك بالاسم العظيم الاعظم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وشخصت لهيبته الابصار يامن شانه قهر الاعدا وقمع الجبابرة اسئلك ان تصلي على محمد وآل محمد وان تكف عني اكف العادين وان تقطع دابر القوم الظالمين وتملكني نفسي ملكاً يقدسني عن كل خلق سيء واهدني اليك ياهادي اليك يرجع كل شيء وانت بكل شيء محيط والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * ومنها ما جرب لذلك يا آخذاً بنواصي خلقه والسافع بها الى قدره والمنفذ حكمه وخالقها وجاعل قضائه اليها غالباً اني مكيد لضعفي ولقوتك على من كادني وتعرض لي بك فان حلت بينهم وبيني فذلك ارجو منك وان اسلمتني اليهم غيروا ما بى من نعمك ياخير المنعمين لا تجعلني ممن يغير نعمك عليه فلست ارجو سواك انت ترى ما يراد بى فحل بيني وبين شرهم بحق علمك الذي به تستجيب * ومنها ما ينفع كذلك لدفع شر الاعداء اذا قريء كل يوم بعد صلاة الصبح ثلاثاً اللهم ياذا المن والسلطان ياذا القدرة والاحسان يامن كفى اهل الحرم بغي اهل النار واصحاب الفيل وارسل عليهم طيراً ابابيل ارم اللهم اعدائي بالقواصف من نقماتك واضربهم بسيف سخطك وسطواتك واعذني من كل ظالم وغاشم وطارق وسارق وقاعد وحابس انك على كل شيء قدير ومثل ذلك مما اخذناه عن مشايخنا كثير لكن اقتصرنا على ما حررناه خوف الملل . والله العاصم من كل زلل . والمنقذ من كل خطرٍ ووجل * تنبيه اعلم ان النوائب تذبل النفوس وتخمدها . وتدهشها عما ينجيها من المكاره وينجدها . وربما وقع الممتحن في ورطة توجب سوء الاعتقاد وضعف اليقين . وتحجب عن قلبه انوار السكينة والتمكين . فينبغي ان يعتمد في دعائه على امور

وبالنسبة الى انه طريق الى عطاء اخر اكثر منه اذا شكرته كثير ايضاً وانما بحثك الاستقلال من نظرك الى النعمة دون المنعم ونحن نضرب لك مثلاً فنقول الملك اذا عزم على السفر وانعم على بعض حاشيته بفرس ففرحه بالفرس يفرض على وجوه اعلاها ان يفرح بها لانها طريق الى خروجه في خدمة الملك ونزوله بقربه وحلوله منه بالمنزلة الدانية وصيرورته من الخاصة بعد ان كان من العامة فهذا فرحه بالفرس لانها طريق الى مشاهدة الملك ومنادمته لا لأنها فرس ودون هذا ان يفرح بالفرس لا لكونها فرساً ولكن لما يدل عليه من عناية الملك به وذكره له وشفقته عليه فهذا يفرح بها لا لكونها فرساً بل لامور اخر تترتب عليها واخسها واحقرها ان يفرح بها لكونها فرساً يركبها فهذا انما فرح بالفرس ولم ينظر الى المعطي ولا فرق عنده بين ان يكون الملك هو الذي اعطاه او يجد الفرس في الصحراء وثم وجه رابع وهو ان يفرح بها بمجموع هذه الامور فيفرح بها لانها توصل

اولها القطع بقبول الدعاء من غير شك في الاجابة وان ابطأ المطلوب فان ذلك من اسباب الحرمان عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدعاء اخرجه مسلم والترمذي وقال ابن عطاء الله في الحكم لا يكون تأخير امد العطاء مع الالحاح موجباً ليأسك وقد ضمن لك الاجابة فيما يختار لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد * الثاني ان يجمع همته متوجهاً بكليته الى مولاه * ويرى كانه واقف بين يدي سلطان يسأله ابلاغ مناه * ويلزم الأدب والخشوع * والتذلل والخضوع * بحيث يغض بصره عن التلفت الى يمين وشمال * ويلح في المسألة بعزمٍ ورغبةٍ وحضور بال * ولا يكون مشتغل القلب * زايغ البصر * مشتت الفكر * كما اشار اليه نبي الرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان وسوس له الشيطان بامرٍ او شغلته النفس بالخواطر في اثناء القراءة وتلاوة الاسم فليسكت عن التلاوة الى ان يصرف الخواطر ويجمع الهمة ثم يشرع * الثالث ان يتحرى الاوقات الفاضلة والاحوال الصالحة اما الاوقات فيوم عرفة ويوم الجمعة وليلتها وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء واول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من صلاة الجمعة ووقت الصوم خصوصاً عند الفطر وجوف الليل الاخير ووقت السحر وبين الاذان والاقامة وعند الاذان ووقت نزول الغيث ودبر الصلوات المكتوبات خصوصاً صلاة الصبح وعند صياح الديكة وعقب تلاوة القرآن وختمه واما الاحوال بان يكون معتزلاً عن الناس في خلوة خاصة به طاهر الثوب والبدن والمكان متجنباً حين الدعاء عن الحرام اكلاً وشرباً ولبساً ويقدم الثناء على الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله

عليه

الى منادمة الملك ولانها تؤذن بغيرها ولانها تنفعه فهذا ايضاً لا باس به ولكنه دون المقام الاول لان الاول لا غرض له الا الملك وحده ولكن ذاك مقام عال يرتفع عن همم اكثر اهل الدنيا الذين وضعنا لهم هذا الكتاب فلذلك لا نطنب في شرحه وانما نقتصر على افهام الاكثر حتى اذا حصلوا على ما نودعه في هذا الكتاب ترقوا منه الى النظر في المقام الاعلى فباب الرحمة مفتوح والرب منادٍ فاين المشمرون * واما اللسان فالمراد منه حمد الله تعالى والتحدث بها لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث فتتحدث بها لا لرياء وسمعة وخيلاء بل للثناء على الرب تبارك وتعالى يقال كان جماعة من السلف رحمهم الله تعالى يجلسون فيتطارحون حديث نعمهم حتى ينتهي مجلسهم وهم على ذلك وذكر الاستاذ ابو القاسم القشيري ان بعضهم قال رايت في بعض الاسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله قال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي

عليه وسلم ويختم بها فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدعا محجوب عن الله حتى يصلى على محمدٍ وعلى أهل بيته وان لا يعين وقتاً لمطلبه فانه يكون سبباً للمنع * الرابع الاضطرار وهو ان لا يتوهم العبد شيئاً في نفسه من الحول والقوة ولا يرى له سبباً من الاسباب يعتمد عليه . او يستند اليه . بل يكون بمنزلة الغريق في البحر . او الضال في التيه القفر . لا يرى لغياثه الا اياه . ولا يرجو لنجاته احداً سواه * وقال بعض العارفين المضطر الذي يرفع يديه الى مولاه بالمسألة ولا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئاً فيقول هب لي يا مولاي بلا شيء فتكون بضاعته الافلاس . وحاله في كل الأعمال الاياس . فاذا حصل للعبد هذا الاضطرار . واتصف بما يلزمه من الذلة والافتقار . اجيب في اسرع مده . وانقذته الالطاف الالهية من عقال الشده * الخامس ان يتفقد ما عليه من الحقوق من صلاة وصوم وظلامة لمخلوق فان اكثر ما يكون من بطء الاجابة وتعذر الطلب بسبب ذلك عن علي كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المصلي نافلة عليه الفريضة كمثل حبلى حملت فلما اراد نفاسها اسقطت فلا هي ذات حمل ولا هي ذات الاولاد كذلك المصلي لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدي الفريضة . فالواجب حينئذٍ ان يشرع في قضاء الصلوات والصوم ويقضي منها ما امكن حسب ما يعلمه ويتذكره ويعزم على قضاء جميعها ثم يؤدي المظالم ان قدر فان لم يقدر فيستعطف المظلوم ان كان حياً فان كان قد مات فليستغفر له ثم انه يعترف بذنوبه الظاهرة والباطنة ويحتقر بها نفسه واعماله ويقلع عنها بتوبة خالصة بحيث لا يكون متلاعباً فيها فانه عز شأنه ولو كان موصوفاً بالعفو والكرم . لكنه جبار شديد النقم . كما قال بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولا عظمها ولكن انظر من عصيت وكبرياء من واجهت بها فيجب على العبد ان يحذر سطوة مولاه . ويعلم قوة بطشه وعظم كبرياه . وهذا الامر اعظم ما يعول عليه . واولى ما تركن النفس اليه * قال ابو

كذلك كانت تهواني فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافها قلنا تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز كما يقول الشيخ فهذا الشيخ يحدث بنعمة الله تعالى عليه الذي الهمه لهذا الشكر وذلك ايضاً من الشكر وروى ان وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فقام شاب ليتكلم فقال عمر رضي الله تعالى عنه الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان الامير بالسن لكان في المسلمين من هو اسن منك فقال تكلم فقال يا امير المؤمنين لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان والاخبار في هذا كثيرة وليس استغنائنا بها من غرض كتابنا واعلم ان

الحسن الشاذلي رحمه الله ان الذي يريد ان يستجاب له اسرع من لمح البصر فعليه بخمسة اشياء قبل الدعاء · اولها القيام بالامر · الثاني الاجتناب للنهي · الثالث تطهير السر · الرابع جمع الهمم · الخامس الاضطرار كما قال تعالى في آخر سورة النمل امّن يجيب المضطر اذا دعاه فالمحروم يدعو وقلبه مشغول بالغير فاحذر هذا الباب جداً فمن لم يستطع ان يتصف بهذه الخمسة فعليه بالخلوة عن الناس ويذكر ما شاء من قبائحه ويحتقر جميع اعماله ويقدم ما علمه من جميل ستره عليه ثم يدعو * قال الشيخ صدر الدين القونوي رحمه الله اذا تعذر عليك الامر وضاق بك الحال فارجع الى الله رجوع الآبق النادم وتب عن الذنب توبةً خالصةً بعزمٍ لا تردد فيه ثم اغتسل والبس ثياباً طاهرة وصل اربع ركعات كاملة بحضور قلب وبعد الاتمام ضع وجهك على الارض في مكان لا يراك الا الله ثم اجعل التراب على رأسك ومرغ وجهك بالتراب بدمعٍ جارٍ وقلبٍ حزين وصوتٍ عالٍ تذكر فيه جميع ذنوبك واحداً واحداً وترفع يديك الى الله قائلاً الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصي رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعفُ عني بجودك وتقبلني بفضلك اللهم اغفرلي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل · ثم ادع بدعاء الشدة وهو يا مجلي عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين ويا مفرج الكرب العظيم يا من اذا اراد امراً فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوب انت المرجو لها يا مذخوراً لكل شده ادخرتك لهذه الساعة يا لا اله الا انت يا لا اله الا انت ثم اكثر من البكا والتذلل وقل اللهم كما لطفت بعظمتك دون اللطفاء الى آخر الدعا المذكور آنفاً فان الله يفرج عنك ولا تقوم من مجلسك الا وقد استجاب الله لك * واعلم ان للدعا شروطاً واحوالاً اخر ذكرها المشايخ والمحدثون فيلزم معرفتها ايضاً فمن ذلك تقديم عمل صالح من صلاة او صوم او غيرها واستقبال القبلة والجثي على الركبتين والتطيب والتطهر والوضوء وبسط اليدين ورفعهما حذو المنكبين وكشفهما

هذين الامرين اعني الشكر بالجنان وباللسان يشملان كل نعمة ونسبة النعم اليهما على حد سواء * واما الافعال فالمراد منها امتثال او امر المنعم واجتناب نواهيه وهذا يخص كل نعمة بما يليق بها فلكل نعمة شكر يخصها والضابط ان تستعمل نعم الله تعالى في طاعته وتتوقى من الاستعانة بها على معصيته فليس من شكر النعمة ان يهملها ويشكر على وجه غير الوجه التي عليه بنيت فمن عدل عنها الى نوع آخر من الشكر فقد قصر وترك الاهم وانما الرشيد من جمع بين الامرين فان كان لا بد من التفرقة فالانسب استعمال كل نعمة فيما خلقت له وهذا يتضح بامثلة * المثال الاول من شكر نعمة العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم ويغضهما عن كل قبيح الى غير ذلك من احكام النظر فان انت اخذت كل ليلة تصلي ركعتين على شكر نعمة العينين وانت مع ذلك تستعملها بالنظر الى المحرم فلست بشاكر هذه النعمة حق شكرها * المثال

وخفض الصوت وتجنب السجع المتكلف واختيار الأدعية المأثورة لا ما لم يظهر له معناه وان كان وارداً وان لا يكون دعاؤه بقصد الاختبار وان لا يشتغل به عن فرضٍ يخاف فوته ولا يستعظم ما يسئله وان عظم وان يختار له الاماكن الشريفة والمساجد ولا يدعو في نحو كنيسةٍ او حمّام او محل نجس وان لا يسأل ممتنعاً عقلاً اوعادةً كاحياء ميت ونحوه ولا يطلب ما ورد النهي عنه كالرحمة للكفار والغضب للمؤمنين ولا يدعو بسوء على نفسه واهله وولده وماله ويستغفر لوالديه ولاخوانه المؤمنين ويتوسل باسمائه الحسنى وصفاته العلى ويتشفع بانبيائه وملائكته والصالحين من عباده ثم يختم بالتأمين ومسح الوجه باليدين بعد الفراغ *

الباب الثاني

في الحكم والأمثال مع الآثار الصارفة عن القلب طوارق الاوجال

قال جل ثناؤه ونبلوكم بالخير والشر فتنة فجعل الله تعالى الدنيا دار فناء وابتلاء ليعمل كل واحدٍ فيها على ما قدر له ويوفى المبتلى بحسن صبره جزاءه في الدار الآخرة بغير حساب فمن ضروريات الدنيا الاكدار والمكاره * قال عبد الله بن مسعود الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح * وقال ابن عطاء الله في الحكم لا تستغرب وقوع الاكدار · ما دمت في هذه الدار · فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها * وقال بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج في اللوزينج وما احسن قول التهامي

جبلت على كدر وانت تريدها * صفواً من الاقذاء والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار

فالحرى بالعاقل ان لا يوطن على الراحة في الدنيا نفساً · ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحاً وانساً · فان توطين نفسه على المحن يهون عليه ما يلقاه · ويجدُ السلوان عند فقد مايهواه · ولا يأمن المضرة بالمسرة · ولا ييأس من

الثاني من شكر نعمة الاذنين ان لا يسمع حراماً وان يستر كل عيب يسمعه فان انت تصدقت كل يوم بدرهمين شكراً لله تعالى على نعمة سمع الاذنين وهتكت كل قبيح فسمع واصغيت الى كل حرام وغيبةٍ فلست من الشاكرين * المثال الثالث وهو يشمل الخليفة فمن دونه من السلطان ونوابه والقضاة وسائر ارباب الامور وسنخص لكل فرد منهم مثالاً اذا ولاك الله تعالى امراً على الخلق فعليك البحث على الرعية والعدل بينهم في القضية والحكم فيهم بالسوية ومجانبة الهوى والميل وعدم سماع بعضهم في بعض الا ان ياتي بحجة بينة وعدم الركون الى الاسبق فان وجدت نفسك تصغى الى الاسبق وتميل الى صدقه فاعلم انك ظالم للخلق وان قلبك الى الآن يتقلب مع الاغراض يميله الهوى كيف شاء وان وجدت الاسبق والآخر سواء الا من جاء بحق فانت انت وقد اعتبرت كثيراً من الاتراك يميلون الى اول شاك وما ذاك الا للغفلة

المسرة بالمضرة • اذ ربما اتت الفوائد · من وجوه الشدائد · والشدائد من وجوه الفوائد · والاضرار · من وجوه المسار · والمسار · من وجوه الاضرار · وربما كمنت المنن في المحن · والمحن في المنن · وربما نفعت على ايدي الاعدآء · واوذيت على ايدي الاحبآء *قال بعض الحكماء اعناق العيون تتشابه في الامور فرب محبوبٍ في مكروهٍ · ومكروهٍ في محبوبٍ · وكم مغبوطٍ بنعمة هي دآؤه · ومرحومٍ في دآء هو شفآؤه · ورب خيرٍ من شر • ونفعٍ من ضر* وانشد امية بن ابي الصلت في معناه

تجرى الامور على وفق القضآء وفي * طيّ الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرني ما بت احذره * وربما سآءني ما بت ارجوه

وحكى الاصمعي عن اعرابي انه قال خف الشر من موضع الخير وارج الخير من موضع الشر فرب حياةٍ سببها طلب الموت وموت سببه طلب الحياة واكثر ما يأتي الرجا من موضع الخوف والخوف من موضع الرجا ويكفيك قول الله سبحانه وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم · فالواجب على العبد ان يستسلم عند جريان القضاء · ويتقي ما يرد عليه من ذاك بالصبر والرضاء · فعن قليلٍ ينجلى المكروه · ويستوجب جزيل الاجر يوم تسود الوجوه · كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه * روى عن علي رضى الله عنه انه كان يقول كل شيء يخلق صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فانها تخلق كبيرةً ثم تصغر الا ان لله خرق العوائد فاتقه في السر والعلانية تسلم · وقابل ما قضى به عليك بالرضا تغنم · وعن عمران ابن الحصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والاخرة الصبر على البلاء والرضاء بالقضاء والدعاء في الرضاء · يريد صلى الله عليه وسلم بقوله الدعآء في الرضآء التنبيه على ان لا يغفل العبد في اوقات النعمة والرخآء عن الاعتداد بالشكر · ولا يقابل فضل المنعم تعالى شأنه بالكفران والنكر · كما انه اذا ابتلى بمصيبة فلا

يقابلها

المستولية على قلوبهم التى صيرت قلوبهم كالارض الترابية التي لم ترو بالماء فاذا اتاها ماء رويت سواء كان ذلك الماء صافياً او كدر زلالاً بارداً ام كدرا حاراً ثم اذا رويت وجاء ماء اخر صاف حسن لم تشربه وصار مائعاً عليها فهذه هي القلوب الغافلة عن الحق نسأل الله تعالى السلامة فعليك شكر نعمة الولاية بما ذكرنا وان تعرف انك انت والرعية سواء لم تتميز عنهم بنفسك بل بفعل الله تعالى الذي لو شاء لاعطاهم ومنعك فاذا كان قد اعطاك الولاية عليهم ومنعهم فما ينبغي ان تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته واذاهم بل لا اقل ان تتجنب اذاهم وتكف عنهم شرك وتجانب الهوى والميل والغرض فنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذاك ولو انك تركت الناس هملا ياكل بعضهم بعضاً وجلست في دارك تصلي وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك فملكك لم يطلب منك ان تتهجد بالليل ولا ان تصوم الدهر وانما يطلب منك ماذكرناه فان

يقابلها بالسخط والضجر · بل يكون صابراً عند البلآء · شاكراً وقت النعمآء · عن علي رضى الله عنه انه كان يقول الدهر يومان يوم لك ويوم عليك · فان كان لك فلا تبطر وان كان عليك فلا تضجر · وما الطف قول بعض الادبآء موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجده لم يرم · وان فقده لم يقم · وقالت هند بنت المهلب اذا رأيتم النعم مستدبرةً فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال فقلما يرد الزائل او يرجع الشارد ولا شك ان في الكفران وسوء الاعمال · تعريضاً للنعم على الزوال · كما قال القائل*

اذا كنت في نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الآله * فان الآله شديد النقم

قال ابن عطآء الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها · وقال بعض العلمآء · اذا كانت النعمة وسيمة · فاجعل الشكر لها تميمة · واحسن ما ورد في ذلك ما اخرجه الترمذي وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال يا غلام الا اعلمك كلماتٍ تنتفع بهن قلت بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله · واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله تعالى عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف * واخرج البخاري عن عبيد الله ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون اذ اصابهم مطر فاووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض انه والله يا هؤلآء لا ينجيكم الا الصدق فليدعُ كل واحد منكم بما يعلم انه قد صدق فيه فقال واحد منهم اللهم ان كنت تعلم انه كان لي اجيرٌ عمل لي على فَرَقٍ من ارزٍ فذهب وتركه واني عمدت الى ذلك الفرق فزرعته فصار من امره اني اشتريت

ضممت اليه اعمالا اخر صالحة كان ذلك نوراً على نور والا فهذا هو شكر نعمة الولاية التي بها تدوم فلعلك تقول فان قمت بحقوق الرعية مع التقصير في حق الله تعالى هل انا محمود فاعلم انك محمود من تلك الجهة مذموم من هذه الجهة وتيقظ لامر عظيم نبهتك عليه واعلم ان من هذا شأنه يخشى عليه ان هو زاد من التقصير في جانب الله تعالى ان يظلم قلبه ظلاماً يورث الطبع على قلبه وينشاء عنه التقصير في تلك الجهة الاخرى فيصير مذموماً في الجهتين فلا يخطر لك انه يمكن اجتماع التقصير في حق الله تعالى من كل وجه والقيام بحق العباد من كل وجه بل هذا مستحيل عادة فقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى بان من اهمل جانبه من كل وجه سلط الله تعالى عليه الشيطان فاستولاه واستزله وصيره يضيع جانب العباد ايضاً ومن رشيق عبارات الشافعي رضي الله تعالى عنه وقد ذكر ان الرشد صلاح الدين والمال معا من ضيع حق الله

منه بقراً وانه اتاني يطلب اجره فقلت له اعمد الى تلك البقر فسقها فقال لي انما لي عندك فَرَقٌ من ارز فقلت له اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي فابطأت عليهما ليلةً فجئت وقد رقدا واهلي وعيالي يتضاغونَ من الجوع فكنت لا اسقيهم حتى يشرب ابوايَ فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان ادعهما فيستكنّا لِشربَتِهما فلم ازل انتظر حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا الى السماء فقال الآخر اللهم ان كنت تعلم انه كان لي ابنة عمةٍ من احب الناس الي واني راودتها عن نفسها فابت الا ان اتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فاتيتها بها فدفعتها اليها فامكنتني من نفسها فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفضَّ الخاتم الا بحقه فقمت وتركت المائة دينارٍ فان كنت تعلم اني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا انتهى قال الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في فتوح الغيب * اعلم ان الناس رجلان منعم عليه ومبتلى بما قضى الله سبحانه وتعالى . فالمنعم عليه لا يخلو من التكدر بالامراض والاوجاع والمصائب في النفس والمال والولد فينغص بذلك فيبقى كانه لم ينعم عليه قط فهو في حال النعماء كان لا بلاء في الوجود وفي حال البلاء كان لا نعيم في الوجود كل ذلك لجهله بمولاه ودنياه فلو علم ان مولاه فعال لما يريد يغير ويبدل ويحلي ويمر ويغني ويفقر ويرفع ويخفض ويعز ويذل ويحيي ويميت ويقدم ويؤخر ولو علم ان الدنيا دار محنةٍ وتكليف وتنغيص وتكدير لما اطمأن الى ما به من النعماء ولما ايس من الفرج في حال البلوى فينبغي للعبد المنعم عليه ان لا يأمن مكر الله عز وجل فيغتر بالنعمة ويغفل عن قيدها بتركه لشكرها قال النبي صلى الله عليه وسلم النعمة وحشية فقيدوها بالشكر . واما المبتلى فتارةً يبتلى عقوبة ومقابلةً لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها

واخرى

تعالى فهو لما سواه اضيع فعليك ان تتعهد نفسك بالعبادة ومراقبة الحق وليس مقصدنا الآن البحث عن هذا انما الذي عقدنا له الفصل ان ذا النعمة يجب عليه اعتقاد انها من الله تعالى وحمد الله تعالى عليها والوفاء بحقها وقد جمع الشاعر هذه الامور بقوله

افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

والشاعر وان لم يقل ان هذا شكر فقد جمع اصنافه ونحن قد بينا لك ان مجموعها الشكر ومن كلامهم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب وثناء اللسان والمكافاة بالفعل والتعبير بالمكافاة عندي غير سديد فان احداً لا يقدر على مكافاة المنعم بالحقيقة ولكن المعنى به استعمال الجوارح بقدر الاستطاعة في التكاليف حسبما شرحناه المثال الرابع اذا كنت مقبول الكلمة عند ولي امر فالمطلوب منك ان تنصحه وتنهى اليه مايتضح ويثبت عندك من حال الرعايا وتساعد عنده على الحق بما تصل اليه

واخري يبتلى تكفيراً وتمحيصاً واخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات . فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبة عدم الصبر عند وجودها وطول الجزع والشكوى الى الخلق . وعلامة الابتلاء تكفيراً للخطيئات وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا اظهار جزع ولا تضجر بأداء الاوامر والطاعات وعلامة الابتلاء لارتفاع الدرجات وجود الرضا والموافقة وطمأنينة النفس والسكون لفعل آله الارض والسماء الى حين الانكشاف بمرور الايام والساعات انتهى * اذا عرفت هذا فاعلم ان العبد المؤمن اذا انعم الله عليه بنعمةٍ يجب ان ينمي شجرتها بقبول القبول والشكران . ويحفظ اوراقها من الذبول بسموم الجحود والكفران . واذا ابتلى بالهموم والمصائب فليقابلها بالصبر الجميل . فان ذلك بالنجح كفيل . وعلى تكفير الخطيئات شاهدٌ ودليل . اما الهموم فلما روى عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن من الاعمال ما يكفرها ادخل الله عليه الغموم والهموم فتكون كفارةً لذنوبه . واخرج مسلم في صحيحه عن ابي هريرة وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر به من سيئاته . واما المصائب والبلايا فلما اخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مصيبةٍ تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها * واخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا حط الله تعالي به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها * واخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة قال المناوي في تفسير هذين الحديثين اقتصر فيما قبله على التكفير وذكر معه هنا رفع

قدرتك ولا يكن حظك منه الاقتصار على حطام تجمعه لنفسك او دنيا تضمها اليك فان ذلك سبب زواله عنك بل المقتضى لدوام ماعندك منه ماذكرناه من النصيحة والمساعدة في الحق لتدوم لك نعمته التي هي سبب نعمتك ومودته التي بها وصلت الى ماوصلت وليدوم لك ما اسداه اليك وما احمق من كانت له كلمة نافذة عند ولي امر فوجد مظلوماً يستغيث فقام يصلي شكر الله تعالى على ان جعله ذا كلمة نافذة عند ولي الامر وترك المظلوم يتخبطه الظلم ولا يجد منجداً وهو قادر على انجاده فذلك الذي صلاته وبال عليه كما قال الفقهاء فيمن كان يصلي فمر به غريق تلاطمه امواج البحر وهو قادر على انقاذه فانه يجب عليه قطع الصلاة وانقاذه وذاك وهذا سيان واعلم ان هذين المثالين اعني الثالث والرابع يشملان كل ولي امر وكل مقبول الكلمة عند ولي امر صغير او كبير ونحن نرى ان نخص غالب الناس بامثلة نستوعب بها معظم الوظائف التي

الدرجة والتنويع باعتبار المصائب فبعضها يترتب عليه الحط وبعضها الرفع وبعضها الكل * قال الحافظ ابن حجر تعقب على ابن عبد السلام في قوله ظن بعض الجهلة ان المصائب ما جور عليها وهو خطاء صريح فان الثواب والعقاب انما هما على الكسب وليس منه المصائب بل الأجر على الرضا والصبر · ووجه الرد ان الاحاديث الصحيحة صريحة في ثبوت الأجر للمصاب بمجرد حلول المصيبة والصبر والرضآء قدر زائد يثاب عليها زيادةً على المصيبة وقال (القرافي) المصائب كفارات جزماً وان لم يقترن بها الصبر والرضآء لكن بالمقارنة يعظم التكفير. ثم قال والتحقيق ان المصيبة كفارة لذنب يوازنها وبالرضآء يؤجر على ذلك فان لم يكن للمصاب ذنب عوض من الثواب بما يوازنه انتهى · قال ابن عطآء الله في الحكم اذا فتح لك وجهةً من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك ألم تعلم ان التعرف هو مورده عليك والاعمال انت مهديها اليه واين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك يقول الشارح محمد ابن ابراهيم النفزي مثاله ما يصيب الانسان من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير اعمال البر فان مراده ان يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة حال المترفين فلا تسخو نفسه الا بالأعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا يقطع لذة ولا يفوته شهوة ومراد الله منه ان يطهره من اخلاقه اللئيمة · ويحول بينه وبين صفاته الذميمة · ويخرجه من اسر وجوده · الى متسع شهوده · فلا سبيل الى الوصول الى هذا المقام · على غاية الكمال والتمام · الا بما يضادد مراده ويشوش عليه معتاده · ويكون حينئذٍ حاله المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة فعلم ان اختيار الله له خير من اختياره لنفسه انتهى · فتأمل حقيقة هذا المقال واعلم ان البلايا وشيكة الزوال · وعقد المصائب سريعة الانحلال · فان الله تعالى متعطف على عبده بالآئه وناظر اليه

استقرت عليها قواعد المسلمين في هذا الزمان ونذكر مما يطالب به صاحب تلك الوظيفة يوم القيمة ويخشى عليه في الدين والدنيا سوء العاقبة بسبب التفريط فيما يكون فيه ما يكون موقظاً له من سنة الغفلة ومرشداً ان شاء الله تعالى لعل الله سبحانه ان ينفع به اقواماً *
المثال الخامس السلطان اعني الامام الاعظم وقد اكثر الفقهاء في باب الامامة وافرد منهم كثيرون الاحكام السلطانية بالتصنيف ونحن ننبه على مهمات اهملها الملوك او قصروا فيها * فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود واقامة فرض الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فان الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيساً آكلاً شارباً مستريحاً بل لينصر الدين ويعلي الكلمة فمن حقه ان لا يدع الكفار يكفرون انعم الله تعالى ولا يؤمنون بالله تعالى ولا برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الامر واخذ يظلم المسلمين ويأخذ اموالهم بغير حق ثم سلبه الله تعالى نعمته

في حالتي شدته ورخائه · وكل ما يورده عليه من المحن والبلايا فظاهرها نقمة · وباطنها رحمة · وما احسن قول ابن عطآء الله في الحكم ليخفف ألم البلآء عليك علمك سبحانه هو المبتلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار · وقال في التنوير انما يقويهم على حمل اقداره · شهودهم حسن اختياره · ثم انشد لنفسه

وخفف عني ما ألاقي من العنا * بانك انت المبتلي والمقدر
وما لأمرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذي يتخير

قال جدي العارف بالله السيد عبد القادر الباني قدس سره في مؤلفه المسمى بالفتوحات المدنية اعلم ان الشدائد اكثر ما تعتري الانسان من البطر في النعمة · والتسخط في النقمة · والبطر انواع منها اظهار الزينة والأبهة في الخدم والحشم والألبسة والاطعمة وغير ذلك مما يؤثر في النفوس وتتصدع منه القلوب حتى ان بعض الجهلة يظنه من باب التحدث بالنعمة · وليس ذلك منه فان التحدث بالنعمة هو بذل المعروف · واغاثة الملهوف · وصرف الجوارح الى الطاعات · والكف عن المحارم والسيئات · ومن البطر ايضاً طلبك الانتقال من حالتك التي انت عليها اما ضجراً منها او ترقياً الى ما فوقها من المراتب العلية · والمطالب الدنيوية · ظناً منك انه انفع لحالك · وانقع لغليل بالك · وما هو الا من جهلك بما انعم الله به عليك · ولو كان ما فوقه خيراً لك لساقه اليك · وقد نبه على ذلك ابن عطآء الله في الحكم بقوله لا تطلب ان يخرجك من حالةٍ ليستعملك فيما سواها فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج · ومما يناسب من طلب الانتقال ضجراً ما يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت اني تركت الاسباب واعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك ان يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت اياماً ثم كان قوتي في السجن كل يوم رغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت ففكرت يوماً في امري فقال لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك

وجاء يعتب الزمان ويشكو الدهر افليس هو الظالم وقد كان يمكنه بدل اخذ اموال الناس وظلمهم ان يقيم جماعة في البحر يتلصصون على اهل الحرب وان كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في اعدآء الله تعالى الكفار ويجاهدهم ويتلصصهم ويعمل الحيلة في اخذ اموالهم حلالاً وبلا ويدع عنه اذية المسلمين * ومن وظائفه ان ينظر في الاقطاعات ويضعها مواضعها ويستخدم من ينفع المسلمين ويحمي حوزة الدين ويكف ايدي المعتدين فان فرق الاقطاعات على مماليك اصطفاها وزينها بانواع الملابس والزراكش المحرمة وافتخر بركوبها بين يديه وترك الذين ينفعون الاسلام جياعاً في بيوتهم ثم سلبه الله تعالى النعمة واخذ يبكي ويقول ما بال نعمتي زالت وايامي قصرت فيقال له يا احمق اما علمت السبب او لست الجاني على نفسك * ومن وظائفه الفكرة في العلماء والفقرآء والمستحقين وتنزيلهم منازلهم وكفايتهم من بيت المال الذي هو في يده امانة

ورجعت الى الله تعالى · ومما يناسب من طلب الانتقال للترقي الى ارفع ما هو عليه من المراتب ما يحكى ان بعض الأرقآء كان له سيّد يأكل الخبز من الدقيق الخاص ويطعمه الخشكار فأنف العبد من ذلك وطلب البيع فباعه فاشتراه من يأكل الخشكار و يطعمه النخالة فطلب البيع فباعه فاشتراه من يأكل النخالة ولا يطعمه شيئاً فطلب البيع فاشتراه من لا يأكل شيئاً وكان في الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدل المنارة فأقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاي شيء رضيت بهذه الحالة قال اخاف ان يشتريني من يضع الفتيلة في عيني بدل السراج انتهى · ولعمري انه قدس سره لم يال جهداً فيما افاد من التأديب والنصح العجيب · فعليك يا اخى بالوقوف تحت الأمر · وارض بالحالين من اللطف والقهر · فان كنت في النعمة فاياك من البطر · وان وقعت في الشدة فتململ بين يديه لينجيك من الخطر * قال بعض الحكمآء ان الله تعالى يمتحن العبد ليكثر التواضع له والاستغاثة به ويجدّد الشكر على ما يوليه من كفايته ويأخذ بيده في شدته لان دوام النعم والعافية تبطر الانسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه * وصف الحسن بن سهل المحن فقال هي تمحيص من الذنوب وتنبيه من الغفلة وتعرض للثواب بالصبر وتذكير بالنعمة واستدعآء للتوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار * وقال شريح اني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها اربع مرات احمده اذ لم تكن اعظم مما هي واحمده اذ رزقني الصبر عليها واحمده اذ ذكرني نعمه السابقة واللاحقة واحمده اذ وفقني للاسترجاع لما ارجوه في مصيبتي من الثواب * و نظير هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه انوشروان حين غضب عليه في بيتٍ كالقبر ظلمةً وضيقاً وصفده بالحديد والبسه الخشن من الصوف وامر ان لا يزاد على قرصين من شعير وكف ملح ودورق ماء وان تحصى الفاظه فتنقل اليه فأقام بزرجمهر اياماً لا يتكلم فقال انوشروان ادخلوا عليه اصحابه وامروهم ان يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا ما

عنده ليس هو فيه الا كواحد منهم ولدلوه نسبة دلاء المسلمين فان ترك العلمآء والفقرآء جياعاً في بيوتهم يبيتون ومنهم من يطوي الليلة والليلتين هو وعياله واخذ يمن بعظيم ملكه ومحاسن سماطه وزينته ولباسه ولباس حاشيته فذاك احمق جهول وان ضم الى هذا انه استكثر على الفقهآء ما بايديهم وتعرض لاوقاف اوقفها اهل الخير ممن تقدمه عليهم فهو بلاء على بلاء فان من حقه ان ينظر في مصالحهم واوقافهم وان لا يكلهم اليها بل يرزقهم من بيت المال ما تتم به الكفاية فاذا تعرض لها فقد خرق حجاب الهيبة فان ضم الى ذلك ان يتبعها بالبرطيل ويضعها في غير مستحقها فما يكون جزآؤه * ومن وظائفه بيت مال المسلمين وقد قدر الشارع المصارف فيه وجعل لكل مال اقواماً وقدراً فان تعدى هذا كله وصرفه في شهواته ولذاته وحسب ان الملك عبارة عن هذا فلا يلوم الا نفسه واذا جاءه سهم رباني لا يستوحش وان اخذ يصرف المال على خواصه

يجري بينهم وعرفونيه فدخل عليه جماعة من المختصين به وقالوا له ايها الحكيم نراك في هذا الضيق والشدة وانت على صحة جسمك ونضارة وجهك لم يتغيرا فما السبب في ذلك · فقال اني عملت جوارشاً من ستة اخلاط أخذ منها كل يوم شيئاً فهو الذي ابقاني على ما ترون قالوا فصفه لنا عسى ان يبتلى احدٌ بمثل بلواك فنصفه له لينتفع به فقال نعم · اما الخلط الاول الثقة بالله تعالى · والثاني ان كل مقدر كائن · والثالث الصبر خير ما استعمله الممتحن · والرابع العجز عن الصنع ان لم اصبر · والخامس التأسي بمن هو اعظم مصيبة مني · والسادس ترقب الفرج ساعة بعد ساعة انتهى * ولعمري ان هذا الجوارش العجيب · والمعجون الذي يحار فيه كل طبيب · تركيب يناسب الطبائع الاربع · ويغني عن التراكيب الطبية اجمع · فانه يمنع تولد الاخلاط الرديه · ويدفع عن الحواس الظاهرة والباطنة جميع الوساوس النفسانيه · ويقوي القلوب · على مدافعة سموم الخطوب · ويحفظ الجسم من امراض العنا واللغوب · وينفس عن النفس خناق الكرب وازله · ويصرف الجوارح الى ما خلقت لاجله · فعلى كل طبيب بارع · ان لا يغفل عن هذا التركيب النافع · فيتدبره بعقله السليم · ويعالج به كل صحيح وسقيم · وعلى المتداوي به ان يقتصر على ما حواه · ولا يستعمل شيئاً سواه · ولنتكلم على كل جزء منه لتكمل الفائدة · وتحصل الجدوى والعائدة · فأما الجزء الاول وهو الثقة بالله تعالى فهو ملاك كل امر · وشرح النفس والصدر · كما قال الامام محمد الجواد رضى الله عنه من وثق بالله اراه السرور · ومن توكل عليه كفاه الامور · ومن لوازم الوثوق بالله عز وجل التوكل عليه وحسن الظن به ويلزم الاول رفع الهمه · والاطمئنان بحصول القسمه · ويلزم الثاني تذكر الفضل السابق · وتوقع الخير اللاحق * فاللازم الاول وهو التوكل على الله تعالى حقيق بان تصرف همة العبد اليه · ليدوم اقبال الله عليه · فان من صدق في توكله على خالقه وكافيه · واثقاً منه بايصال المنافع من غير

ومن يريد استمالة قلوبهم اليه لبقاء ذكره وملكه لا لأعزاز الدين واعجبه مدائح الشعرآء لكرمه فذلك خرق وقد امتلات التواريخ ممن كان يهب الالوف للشعراء والالوف للمماليك والالوف للمغاني وكل ذلك وبال على صاحبه فقد كان بيت المال على زمن عمر رضي الله تعالى عنه اضعاف ماهو اليوم بما لا يحصى كثرة وفتح الله تعالى عليه من الفتوحات ما امره مشهور وجاءه مع ذلك اعرابي يستمنحه فقال

ياعمر الخير جزيت الجنه
اكس بنياتي وامهنه
وكن لنا من الزمان جنه
اقسم بالله لتفعلنه

فلم يرتح لترققه ولا راعه قسمه عليه بل قال ان لم افعل يكون ماذا فقال منشداً *

اذاً ابا حفص لاذهبنه

فقال واذا ذهبت يكون ماذا قال

يكون عن حالي لتسئلنه
يوم يكون الاعطيات رهنه
وموقف المسئول بينهنه
اما الى نار واما جنه

سعيٍ او بسعي جميل مأذون فيه · ساق الله اليه رزقه مع الهنا · وانار في قلبه اشعة الغنا · وحسبك في ذلك قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً * قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مؤمنين شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط انتهى * سئل امير المؤمنين علي كرم الله وجهه عن انسان ادخل بيتاً وطين عليه البيت من أين يأتيه رزقه فقال يأتيه رزقه من حيث يأتيه اجله فانظر الى هذه الحجة ما ابهرها وهذه البينة ما اظهرها ومن كلام الحكماء من علم ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل لنفسه الراحة ومن علم ان مولاه خير له من العباد قصده واكتفى به ومن علم ان الذي قضى عليه لم يكن ليخطيه فقد استراح من الجزع · واما قلنا ان التوكل يلزمه رفع الهمة · والاطمئنان بحصول القسمة · فان المؤمن اذا كان صادقاً في توكله · واثقاً بكرم الله وتفضله · معتقداً بانه سبحانه المتكفل للأرزاق · وانه المسبب المانح على الاطلاق · كان رفيع الهمة عن الخلق واسبابهم · والتذلل في الترداد الى ابوابهم · مطمئن النفس بحصول المقسوم · على اي طريق كان مجهول هو او معلوم · تارة يبلغه الله ذلك من فضله مباداةً · وتارة بطريق الكسب معاوضةً · واخرى من جهة الخلق ابتلاءً فلا معنى حينئذٍ ان يستفز العبد كد وطلب · ولا يزعجه تعذر كسب وسبب · لا بمعنى ان يترك الاسباب · ويتفرغ عن السعي والاكتساب · بل بمعنى تعلق النفس بالعلائق · والاتكال على الخلق دون الخالق · والاَّ فالكسب على الطريق المشروع مندوب اليه خصوصاً في زماننا هذا · ولا ينافي التوكل لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح فمن ظن ان الطلب يضادد التوكل حتى يترك اسبابه · ويغلق عليه بابه · كان عن العقل خارجاً · وفي تيه الجهالة

والجا

فلما ذكر له الجنة والنار والموقف بين يدي الله تعالى الملك الجبار بكى حتى اخضبت لحيته بدموعه وقال ياغلام اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره فانظره مع ما حصل له من الرقة الدينية لم ينعم الا بما هو من خاصة ماله ولم يجد غير قميصه وقد كانت خزائن الارض مملوءة بين يديه قال العلماء ولم يعطه من بيت مال المسلمين وان كان الاعرابي فقيرا مستحقاً لانه لما استتر له بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين فلم يعطه من مالهم قالوا وانه لم يثبت عنده ان الاعرابي من جملة مصارف الصدقات وقال علي بن ابى طالب رضي الله تعالى عنه والخزائن مملوءة بين يديه من يشتري مني سيفي هذا ولو وجدت رداء استتر به ما بعته فهذا سيرة اهل الحق والدين ولسنا نطالب اهل زماننا بها فانهم لا يصلون الى هذا المقام ولكن نذكرهم لعلهم يرجعون او يقصرون عما هم فيه ولا بد في الذكرى من نفع ان شاء الله تعالى

والجا · قال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب لا يضر التصرف والتكسب ممن صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص من حاله اذا احكم معنيين النظر الى الوكيل في اول الحركة فيكون متحركاً به والرضا بالحكم بعد التصرف فيكون مطمئناً به انتهى * اذا عرفت هذا فاعلم ان المتوكل اذا سعى في جلب منفعة له او دفع مضرة عنه وكان نظره في ذلك الى الله · وراضياً بما يؤدى اليه سعيه مما قدره عليه مولاه · فقد حصل له الأجر من وجهين · وكان فعله موافقاً لكتاب الله وسنة سيد الكونين · اما الكتاب فان الله يقول فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقال عز شأنه لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا وفي التوراة امدد يدك لباب من العمل افتح لك باباً من الرزق واما السنة في الكسب والسبب فقوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي اعقلها وتوكل · وقوله عليه السلام ان الله يبغض العبد الصحيح الفارغ وان الله يحب العبد المحترف وفي حديث آخر ليس عند الله احب من عبد يأكل من كسب يده · واما السنة في دفع الضرر فتدبيره عليه السلام حين خروجه من مكة حيث جعل علياً رضى الله عنه في فراشه وصحب الصديق رضى الله عنه ولم يخرج منفرداً ويوم احد لبس درعين واقام الرماة ليحفظوه من خالد بن الوليد واتخذ الخندق حول المدينة وغير ذلك من احواله الزكية · وافعاله المرضية · فينبغي حينئذٍ للأُمة ان يقتدوا به صلى الله عليه وسلم ولا يتركوا الاسباب توكلاً علي الله في زعمهم فان ذلك من الجهل العظيم · والحمق الذميم · وما أوردناه آنفاً من قوله عليه السلام لو توكلتم على الله الى آخر الحديث لا يقتضي ترك الكسب للتوكل فقد قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وانما المراد لو توكلوا في طلبهم وعلموا ان الخير بيد الله سبحانه ومن عنده لكانوا كالطير لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل على الله الجالب لكل خير انتهى *

ومن وظائفه النظر في الدين والصلوات ولقد راينا منهم من يعمر الجوامع ظاناً ان ذلك من اعظم القرب فينبغي ان يفهم مثل هذا الملك ان اقامة جمعتين في بلد لا يجوز الا لضرورة عند الشافعي واكثر العلماء فان قال قد جوزها قوم قلنا له اذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت افعل الجائز عند البعض واما انك ترتكب ما نهى الله تعالى عنه وتترك ما امر به ثم تريد ان تعمر الجوامع باموال الرعايا ليقال هذا جامع فلان والله لم يتقبله وان الله تعالى لا يقبل الا طيباً * ومن اقبح البدع المحرمة تقبيل الارض بين يدي الملوك فان كان سجوداً بان لاقي بجبهته الارض قال النواوي سواء كان الى القبلة او غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى اوغفل هو حرام وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر او يقاربه عافانا الله الكريم من ذلك قال وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجداً والآية منسوخة او متأولة كما هو معروف

ثم اعلم ان التوكل قسمان الاول هو التوكل الخالص من التعلل · الخالي من الكسب والتذلل · وهو حال الانبياء والصديقين كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله الاكتساب سنتي والتوكل حالتي · وقيل لمحمد بن مهران ان هؤلاء الاقوام يقولون نجلس في بيوتنا وتاتينا ارزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقاء ان كان لهم مثل يقين نبينا محمد وسيدنا ابراهيم عليهما السلام فليفعلوا والقسم الثاني وهو التوكل مع الاجمال في الطلب · والنظر الى الله في الكسب والسبب · وهذا هو المناسب للامة الامن اسعده الله بقوة اليقين · وكان على قدم الانبياء والصديقين · فذاك في حرز منيع من الثقة والرضا · قانع بما قدره الله له من الرزق وقضى · واما من لم يكن واثقاً من نفسه بكمال الاتكال · غير صابر على لاواء الفقر والاقلال · فينبغي ان ينكسب في امور معاشه · ويسعى في اسباب راحته وانتعاشه · متكلا على القدر · ومتجنباً مواقع الخطر · فاذا طلب شيئاً وناله على الوجه الذي شرع فيه · فقد وافق القدر وحصل على امانيه · واذا التوت عليه الامور · فليرض بما حكم به المقدور · كما قيل ·

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه ... وليس عليه ان يساعده الدهرُ
فان نال بالسعي المنى تم قصده ... وان صده المقدور كان له عذرُ

يروى ان احد العلماء اصيب بنازلة فاتى ملك زمانه وسأله ان يدفع عنه ذلك فقال له الملك اما تعلم ان هذا مقدر عليك فكيف ادفعه فقال العالم اما تعلم ان القدر بالطلب والطلب بالقدر ولو كان السعي والطلب لا يجدي نفعاً لما قال صاحب القدر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض فاستحسن منه هذا الجواب · ودفع عنه ذلك المصاب* وقد جمع العلماء القدر والطلب وضربوا لهما مثالا فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منها اكثر من الآخر سقطا جملة · وان بقيا تعب ظهرها وثقل سفرها وان عودل بينهما سلم ظهرها ونجح الامر بها ومثالا آخر قالوا هما كاعمى ومقعد كانا في قرية لا قائد للاعمى ولا حامل

للمقعد

في كتب العلماء · وسئل ابن الصلاح عن هذا السجود فقال هو من عظائم الذنوب ونخشى ان يكون كفراً وفي بعض كتب الحنفية ان بعضهم قال يكفر مطلقاً وبعضهم قال ان اراد به التحية فهو حرام ولكن لا يكفر وان لم يكن له نية كفر عند اكثرهم * المثال السادس نواب السلطنة وعليهم مثل ما على السلطان ويزدادون ان من حقهم مراجعته اذا امر بما يخالف المصلحة وازديادهم من تفقد حال الرعية صغيرهم وكبيرهم جليلهم وحقيرهم غنيهم وفقيرهم والنظر في القرى والغلات ونحو ذلك وايصال الحقوق الى مستحقيها من ذوى النهضة والكفاية والحاجة وتولية المناصب لاهليها فان اعتذر نائب السلطان بان الزمان لا يمكنه من ذلك قلنا له ولغيره انتم مطالبون من كل ما نامركم به بما تصل اليه قدرتكم فعليكم الجد والاجتهاد والله تعالى يعين* ومن حقهم اقامة فقيه في كل قرية لا فقيه فيها يعلم اهلها امر دينهم ومن العجب ان اولياء الامور

للمقعد وكان رجل من الناس يطعمهما احتساباً فهلك الرجل فاشتد جوعهما وبلغ الضرر منهما الجهد فاجمع رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد ويدله على الطريق ففعلا ودارا في القرية يستطعمان اهلها فنجح امرهما فانظر الى هذين المثالين لتعلم ان الحركة بركه * والتواني هلكه * قال بعض الحكماء الكسل شوم · وصاحبه محروم · وكاب طايف · خير من اسد عاكف · ومن لم يحترف * لم يعتلف * وما احسن قول بعضهم

توكل على الرحمن في الامر كله ... ولا ترغبن في العجز يوماً عن الطلب
الم تر ان الله اوحى لمريم ... اليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء احنى الجذع من غير هزه ... اليها ولكن كل شيء له سبب

واللازم الثاني وهو حسن الظن بالله تعالى فينبغي للعبد ان لا يفارقها خصوصاً في اوقات الشدائد والمحن * وعند حلول المصائب في الاهل والمال والبدن * لئلا يقع بسبب عدم ذلك في التسخط على مولاه * ويتهمه في نقلب الاحوال من امور دنياه · اذ كثيراً ما يقع العبد بسبب تعذر مطالبه في القنوط والياس · وتذهله النفس الامارة عن مقتضيات الحكمة فيلتبس عليه الامر اي التباس · وربما وقع في خلده ان تعذر النجح بسبب ذنوب قدمها · وكبائر اقترفها · فيعظم عنده ذنبه · ويتضاعف ضيقه وكربه · وما ذلك الا من جهله بصفات مولاه الكريم · وغفلته عن سعة عفوه الشامل وفضله الجسيم * قال ابن عطاء الله لا يعظم الذنب عندك عظمةً تصدك عن حسن الظن بالله فان من عرف ربه · استصغر في جنب كرمه ذنبه *روى عن علي رضى الله عنه انه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله واخرجه الخوف الى القنوط ما اصارك الى ما ارى فقال ذنوبي العظيمة فقال ويحك ان رحمة الله اعظم من ذنوبك فقال ذنوبي اعظم من ان يكفرها شيء فقال ان قنوطك من رحمة الله اعظم من ذنوبك كلها * وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون

يستخدمون في كل حصن طبيباً ويستصحبونه في اسفارهم بمعلوم من بيت المال ولا يتخذون فقيها يعلمهم الدين وما ذاك الا لان امر ابدانهم اهم عليهم من امر اديانهم نعوذ بالله من الخذلان * ومن حقهم القاء مقاليد الاحكام الى الشرع لانه لا حاكم الا الله تعالى ولن تفعل العقول شيئاً فاذا رايت من يعيب على نائب السلطان انقياده للشرع وينسبه بذلك الى اللين والرخاوة فاعلم انه يخشى عليه ان يكون ممن طبع على قلبه وان عاقبته وخيمة بل حق على كل مسلم الرضا بحكم الله تعالى والانقياد له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الكافرون الظالمون وسنبسط في فصل الحجاب القول في هذا لكونه امس بهم* ومن حقهم دفع اهل البدع والاهواء وكف شرهم عن المسلمين ولا يسعهم في دين الله تعالى الصبر على من يسب الشيخين ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويقذف ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ويفسد

فيستغفرون الله فيغفر لهم وقال صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي • فاي ذنب من الذنوب لا يسعه عفو الله • ولا تمحوه شفاعة رسول الله • فينبغي للعبد ان يكون كثير الرجا • صادق الالتجا • غير مستعظم لذنبه • ولا آيس من روح ربه * انه لا ييأس من روح الله الاّ القوم الخاسرون *

على الله فيما دهاك اعتمد * ومن رحمة الله لا تيأس
استوحش انت مما صنعت * فاحسن متى شئت واستأنس

وانما قلنا يلزم حسن الظن بالله تعالى تذكر الفضل السابق * وتوقع الخير اللاحق فان من كان حسن الظن بالله تعالى يعلم ان جميع ما يصدر منه في حق عبده من حين نشأته الى وقت معاده فهي جارية على مقتضى اللطف والاشفاق * في حالتي العسر واليسر والاثرآء والاملاق * اما اليسر فظاهر واما العسر فلعلمه سبحانه بما يوافق العبد في الحالة الراهنة * ويصفيه من الكدورات الظاهرة والباطنة * كالطبيب الناصح يعالج المريض بما لا يلائم طبعه من الادوية الرادعة * والاغذية النافعة * بل كالأَب المشفق يسوق لابنه الحجام * لا لقصد الائلام * بل لخلاصه من العلل والاسقام * والاُم الشفيقة تمنع ولدها عن الطعمه * حذراً من الوقوع في التخمه * والله تعالى اقرب الى العبد من كل قريب * واشفق عليه من والد ووالدة وطبيب * غير انه يقضي عليه بالآلام * لما يترتب عليه من الفضل والانعام * روي ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ولدها فقال اترون هذه طارحة ولدها في النار قالوا لا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من هذه بولدها • وكيف لا يكون سبحانه ارحم من الاُم وهي انما تعطف على الولد وتحنو عليه بحسب ولادتها له وتربيتها اياه والفتهابه وهي نسبة منقطعة فانه اذا مات وهو في حجرها او كبر وغاب عنها انقطعت تلك النسبة فسلته وربما لم تذكره ابداً هذا اذا كان صالحاً اما اذا كان عاقا فتكرهه وتنفر منه وربما تمنت موته لكن النسبة بين العبد وبين ربه وخالقه عز وجل بحسب الايجاد اولاً والامداد ثانياً بما به البقا * وما يحتاج اليه من اسباب النمو

عقائد اهل الدين بل يجب عليهم الغلظة على هؤلاء بحسب ماتقتضيه المذاهب وهذه المذاهب الاربعة ولله تعالى الحمد في العقائد واحدة الا من لحق منها باهل الاعتزال او التجسيم والا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة ابي جعفر الطحاوى التي تلقاها العلمآء سلفاً وخلفاً بالقبول ويدينون الله تعالى برأي شيخ السنة ابي الحسن الاشعري الذي لم يعارضه الا مبتدع • ومن مهماتهم النظر في امر المفسدين من قطاع الطريق واهل الفتن كالعشران وغيرهم والغلظة والتشديد عليهم وان راى نائب السلطان تقليد بعض المذاهب في شدة تعزيرهم والمبالغة في عقوبتهم على جرائمهم وطول مكثهم في السجن فله ذلك بشرط ان يكون الحامل له على ذلك المصلحة لا التشهى وحظ النفس ومحبة شياع الاسم بالانتقام فان ذلك فنّ من الجنون فقد كان مُلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم اوسع وامرهم انفد ولم يحبوا ان يشيع اسمهم الا بالعدل والرفق

والارتقا

والاَّ لرجع الى العدم الاصلي ألبتة * قال ابن عطآء الله في الحكم نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكوّن منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد * وقال ابو مدين قدس سره الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهد الوجود فيجب حينئذٍ على العبد ان يتذكر ما سيق اليه من النعم • ويتوقع الخير في اختلاف الاحوال من سعة وضيق وصحة وألم • وليحذر من التسخط على رب الارباب • ولا يقنط من الفرج اذا انسدت عليه الوجوه والابواب • بل يحسن الظن ويلزم الأدب • ويستبشر بانبلاج صبح الفرج عند اشتداد ظلم الكرب * قال الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في فتوح الغيب انتظر الفرج ان عجزت عن الرضا بما فعله • حتى يبلغ الكتاب اجله • فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الاجال كما ينقضي الشتآء فيسفر عن الصيف وينقضي الليل فيسفر عن النهار فاذا طلبت ضوء النهار بين العشائين لم تعط بل يزاد في ظلمة الليل حتى اذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر جآء النهار بضوئه اردت ذلك او كرهته فان طلبت اعادة الليل حينئذٍ لم تجب اليه لانك طلبت الشيء في غير وقته فتبقى حسيراً منقطعاً متسخطاً خجلاً فاربح هذا كله والزم الموافقة وحسن الظن بربك انتهى • وكفاك تنبيهاً وارشاداً لحسن الظن بالله تعالى ما روى واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي ان ظن خيراً وان ظن شراً وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ويقول ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الاَّ أعطاه الله ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذي حسن ظنه به هو الذي اراد ان يحققه له * واما الجزء الثاني ان كل مقدر كائن فهو ركن من اركان الايمان وواجب التسليم والاذعان كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم لا يبلغ المرء حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه ومن لوازمه الرضا بالمقدور وترك التدبير في جميع

لا بالفساد والظلم ومنها سفك دم من ينقص جناب سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم او من يسبه فان ذلك مرتد كافر ذهب كثير من العلماء الى ان توبته لا تقبل وهو اختيار طوائف من المتأخرين فان كان الذي وقع منه هذا ممن يتكرر هذا الحال منه او عرف بسوء العقيدة وصحبة المشهورين بذلك اووقع منه ما وقع على وجه فظيع تشهد القرائن فيه بالخبث الباطن فان رأى أن لا يقبل له توبة ويسفك دمه وهو رأي الشيخ الامام الوالد تغمده الله تعالى برحمته والشيخ العلامة تقي الدين بن تيمية ومنها نظرهم في امر دواداريتهم فاكثر ما ينشأ فساد بابهم عنهم وهم غافلون فاذا عرف نائب السلطنة ان ميزان بابه الداودار تحقق عليه الاحتياط في امره وعدم الاصغاء اليه فيما يقوله بل يستوضح الحال ويستكشفه من بطانة الخير عنده فقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما من ملك او امير الاوله بطانتان بطانة تامره بالخير

الامور ويلزم الاول عدم الحزن من مظاهر الشؤن وترك الحذر مما سيكون ويلزم الثاني لزوم الراحة والابتهاج وعدم التذلل الى الخلق عند الاحتياج فاللازم الاول وهو الرضا بالقضاء جدير بان يتصف به كل أحد ويتخذه من أنفع الوسائل واقوى العدد فانه الراحة الكبرى والجنة العاجلة في الدنيا قبل الاخرى * قال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وعن ابن مسعود من رضي بما نزل من السماء الى الارض دخل الجنة * قال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب روينا في اخبار موسى عليه السلام انه قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي * ثم اعلم ان قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وقدره ايجاده اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها وعند الفلاسفة القضاء عبارة عن علمه بما ينبغي ان يكون عليه الوجود حتى يكون على أكمل النظام وهو المسمى عندهم بالعناية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على احسن الوجوه والقدر عبارة عن خروجها الى الوجود العيني باسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء انتهى اذا عرفت هذا فاعلم ان الايمان بالقدر والرضا به واجب بالاجماع ولا يكمل الايمان الا به * روى عن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من الصحابة ما أنتم قالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة * وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وعنه عليه السلام انه قال لابن مسعود لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق ياتك * ويحكي ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما نصنع في المناظرة بالقدر فاني رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان الامر ليس للعباد * وانما قلنا يلزم الرضا بالمقدور

عدم

وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه ومما يختص بالامام وليس لنوابه الاستبداد به من غير استبداده الحما فلا يحمى غير الامام الاعظم على الصحيح عند والدي وكثير من الابادنة *

المثال السابع الدوادار فمن حقه الاستئذان على ذي الحاجة وانهاء ظلامته وان لا يترك على الابواب من لا يجد ملجأ الى الدخول على الملك وليعلم ان لصاحبه حقا عند استاده لان وظيفة استاده سماع كلامه وقضاء حاجته اذا امر بها الشرع وليس لاستاده حق عنده والمنة لله سبحانه وتعالى على استاده اذ جعل حاجة الخلق اليه وعليه ان جعله في بابه بالمرصاد لهذا الامر فان هو قصر فيما وصفناه كان هو الظالم لاستاده المتسبب في خراب دياره الباغي على الرعية وعليه المبادرة الى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص ويذكر مخدومه بها فربما اشتغل بال الملك عن ذلك ولم يجد من يذكره وهذه وظيفة الدوادار وكان الدوادار يسمى في الزمان

عدم الحزن من مظاهر الشؤن وترك الحذر مما سيكون فان النفس الفاضلة تترفع عن الحزن مما وقع وتترك الحذر مما سيقع لان المتوقع ان قدر كونه فالحذر والغم والتوقي لا يدفعه بل يكون نوع استعجال من الألم وان لم يقدر كونه فلا معنى للغم به والتوقي منه على ان طالب الدنيا لا يخلو من الحزن اما على ما فاته كيف لم ينله أو على ما ناله كيف سلب منه لكن العاقل من يعاتب نفسه بان ما لا بد منه لا جزع فيه وان الفرح بالشيء على قدر الثقة به ولا ثقة بشيء في الدنيا فلا حزن عليه ولهذا قيل اذا التمست شيئا فلا تتمسك بمحاسنه وحدها فيزداد حرصك عليه ويشتد عليك الحزن بفواته لكن استعرض بفكرك مساوي ذلك الشيء كما تستعرض محاسنه فان ظفرت به خلصت نفسك عن الحرص المذموم وان حرمته كان فيما علمته من مساويه مسلاة عنه * هذا وان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نلت من دنياك لا تكثر به فرحا * وما فاتك منها لا تهالك عليه حزنا . فانها دار التواء . لا دار استواء . ومنزل ترح . لا منزل فرح . وانك لا تجد الناس الا رجلين مؤخرا في نفسه قدمه حظه أو مقدما في نفسه أخره حظه فوطن نفسك على ما يقضي الله لك وارض به اختيارا . والا رضيت به اضطرارا . قال الشاعر .

ما سلم الله هو السالم ليس كما يزعمه الزاعم
تجري المقادير التي قدرت وانف من لا يرتضي راغم

ويروى انه لما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب أنت أدهى الناس واعلمهم بالمكر فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على الف قامة ثم ينصب الصبي له الفخ فلا يبصره ويقع فيه * ولهذا قيل . الفار من القضاء الغالب . كالمتقلب في يد الطالب * وانشد بعضهم

واذا خشيت من الأمور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

القديم الحاجب * المثال الثامن الخازندار وهو حق عليه ان لا يمطل من احيل عليه بل يدفع ما امر له به مهنيا ميسرا والخازندار امين فلو ادعى انه دفع المال الى مخدومه استاد الدار كان القول قوله بيمينه وان كان على الخزندارية معلوم او اقطاع لانه كالوكيل بجعل *

المثال التاسع استاد الدار وهو من يتكلم في اقطاع الامير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم عليه ان لا يطعمه حراما ولا يبيع استاده رخيصا وان يرفق باهل القرى ويؤدي امانة الله تعالى التي عقلها في رقبته حيث دخل في هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الامير كما عليه ان يؤدي حق الامير بل هو احوج من الامير الى الرفق بهم واعتقاد الحق معهم فاين يكون الامير يوم يعض الظالم على يديه ولا امر الا الله تعالى *

المثال العاشر الوزير وهو اليوم اسم لمن ينظر في المكوس وغيرها من الاموال التي ترفع الى السلطان وبيت المال ومن حقه

هـذا ولا يختلج في قلبك ان ترك الدعاء أولى لما فيه من التسليم للقضاء فليس الامر كذلك بل الصحيح المعول عليه ان الدعاء يرد القضاء مبرماً كان او معلقاً قال صلى الله عليه وسلم الدعاء جند من جنود الله مجند يرد القضاء بعد ان يبرم * وقال الغزالي رحمه الله فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا مرد له * فنقول ان من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة فكما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات وكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان كذلك الدعاء والبلاء وليس من شروط الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدّر الله تعالى الامر وقدّر سببه وفيه من الفوائد ما لا يحصى اعظمها حضور القلب والافتقار وهما نهاية العبادة والمعرفة انتهى * واللازم الثاني اعني ترك التدبير فهو راحة الارواح · وسلامة الاشباح · وعلامة الخير والفلاح · كما قال سهل بن عبد الله ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم * ولا غرو فان التدبير لا فائدة فيه غير التكدير فان المقدور لا يخلو اما ان يكون مبرماً او معلقاً فالاول لا بد من وقوعه والثاني لا يخلو اما ان يكون المعلق عليه مقدر الوقوع ليجرى به ذلك المقدور او لا فان كان الاول فلا بد من وقوعه وان كان الثاني فلا يقع البتة وعلى جميع التقادير فلا يفيد التدبير على ان القدر اكثر ما يجري على خلاف ما تدبر والعاقل لا يبنى على غير قرار · اذ لا يكمل بناء تهده الاقدار · كما قيل

اري كلما حاولت امراً تشيده * فينقض مبناه القضاء المحتم
متى يبلغ البنيان يوماً تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

قال الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره لا تتحرك فيك بل ولا تدبر لنفسك امراً لكن كل ذلك الى الله تعالى لانه تولاك اوّلاً حال كونك مغيّباً في الرحم فيتولاك آخراً بحسن تدبيره * ومثله قول ابن عطا الله في الحكم أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك وقال في

بذل النصيحة للملك وكف اذاه عن اموال الرعية وتخفيف الوطاة عنهم ما أمكنه وقد علم ان المكوس حرام فان ضم الوزير الى اخذها الاجحاف في ذلك وتشديد الامر فيه والعقوبة عليه فقد ضم حراماً الى حرام بل اذا لم يقدر على ازالة حرام فلا يزيد الطين بلة بل لا اقل من الرفق والتخفيف ومما يجب عليه التيقظ له في الاموال التي تجتمع عنده ومنها حلال ومنها حرام فعليه ان لا يخلطها بل يدع الحلال بمفرده والحرام بمفرده والا فمتى خلطها ولم يتميز صار الكل حراماً وفي ذهن كثير من العامة ان الاموال اذا خلطت ودخلت بيت المال صارت حلالا وهذا جهل ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الحلال وبيت المال لا يحل ماحرم الله تعالى ثم اذا تميز الحلال عن الحرام صرف الحلال على اهل العلم والدين ومن يتحرى اكله ويتعين عليه التخفيف في العقوبات على من يتوجه اليه بغير حق اذا لم يمكنه دفعها فليت شعرى اذا

التنوير اذا علمت ان الله تعالى هو المتولي لتدبير مملكته علوها وسفلها غيبها وشاهدها وسلمت له تدبيره في عرشه وكرسيه وسمواته وارضه فسلم له تدبيره في وجودك فان نسبتك الى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك فماذا عسى ان تكون في مملكته فاهتمامك بامر نفسك وتدبيرك لما جهل منك بالله تعالى بل الامر كما قال سبحانه وما قدروا الله حق قدره فلو ان العبد عرف ربه لاستحى ان يدبر معه وما أصدق قول بعض الحكماء اذا حلّت المقادير · ضلّت التدابير · واذا وقعت الضرورة · ارتفعت المشورة · فكل مقدور واقع · ولا يغنى حذر مدافع · ورب تدمير · في تدبير · وهلكة · في حركة · واغتيال · في احتيال · وانما قلنا ان ترك التدبير يلزمه دوام الراحة والابتهاج · وعدم التذلل الى الخلق عند الاحتياج · فان المدبر يكون حريصاً في سعيه · واثقاً برأيه · مشتغل القلب والفكر بما هو في طلبه · مفتقراً الى من يسعفه ويعينه على حاجته واربه · فيحصل له بسبب ذلك النصب والوسواس · · والتذلل الى اكثر الناس · فاذا ألقى عنه ذلك وصل الى الراحة اللازمة · والسلامة الدائمة · وتخلص من التذلل للرجال · ومعاناة المتاعب والاوجال · كما قال بعض الحكماء من ترك التدبير عاش في راحة ومن لم يدبر دبر الله له على ان التدبير لا جدوى له الا اضاعة الاعمار · ومغالبة الاقدار · وتسلف العناء والاكدار · حسبما اشار اليه ابن عطاء الله الاسكندري بقوله المبالغة في التدابير · مغالبة للتقادير · وكذلك التذلل الى الناس · فلا يفيد الا اشتداد المحنة والباس فانهم لا يقدرون على ايصال نفع ولا ايقاع ضرر ما لم يرده الله تعالى حسبما تبين من الحديث السابق آنفاً وهو قوله عليه السلام لابن عباس رضي الله عنهما اعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء الا قد كتبه الله لك * يروى عن ابي الحسن الشاذلي قدس سره انه قال صحبني انسان لم اعرفه فقلت له لم صحبتني فقال ياسيدي سمعت انك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك فقلت اخالك لا تقبل قال بل اقبل فقلت

جاس وزير يعاقب الرعايا ليستخرج منهم الخبائث التي لا يجوز له اخذها ودفعها الى من ياخذها ظلماً ويصرفها فيما لا يحل كيف يكون وجهه عند الله تعالى وكيف لا يتبادر اليه الوخم وسوء العاقبة في الدنيا ولذلك نرى عواقب الوزراء والقبط اهل الدواوين سوء العواقب في الدنيا والآخرة * المثال الحادي عشر مشد الدواوين ووظيفته استخلاص ما يتقرر في الدواوين على من يعسر استخلاصه منه والكلام فيه كالكلام في الوزير وهو اشد حالا لان الوزير يدعى انه يعرف الحساب ولا يؤاخذ الا بما تقرر في الديوان وهذا يقلد الوزير فيضرب ويعاقب على جهل بالشرع والعادة بل حق عليه لو رفع اليه من توجه عليه حق معين ان يرفق به · حكي ان المنصور رحمه الله تعالى بلغه عن جماعة من كتاب الدواوين خيانة فامر بعقوبتهم فقال صبي منهم وهو يضرب

اطال الله عمرك في صلاح
وعز يا امير المؤمنينا

له اعلم اني وجدت الخلق قسمين اعدآء واحبآء فنظرت الى الاعدآء فعلمت انهم لا يستطيعون ان يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالاحبآء فرأيتهم لا يستطيعون ان ينفعوني بشيء لم يردني الله به فقطعت نظري عنهم فنوديت من قبل الله تعالى انك لا تصل الينا حتى تقطع نظرك عنا بان ترضى بما قسمناه لك انتهى · فقد ظهر من هذا ان التذلل للخلق عقوبة الغفلة عن الله عز وجل فان من صح يقينه بالله ووثق بفضله ونعماه لم يتدنس بالتملق الى المخلوق ولا صرف قلبه من الرازق الى المرزوق * هذا والتدبير على قسمين تدبير محمود وتدبير مذموم * فالتدبير المحمود في اكتساب المنافع هو ان تدبر في امر معاشك لقصد التوسعة على العيال · وصون الوجه عن السؤال · واسعاف ذوي الفاقة بالافضال · ومهما نلت من قسمتك فتكون به راضياً · ولوجوه مصارفه الخيرية مراعياً · وفي دفع الضرر بأن تجتنب مواطن التهم · وتتوقى موارد الضرر والآلم · واذا وقعت في شدة فتسعى في ازاحتها حسب الطاقة البشرية · وتعتمد في ذلك على الالطاف الالهية · متوجهاً بقلبك الى مذلل الصعاب · ومسبب الأسباب · فهذا تدبير مندوب اليه · بل ماجور به ومثاب عليه * وأما التدبير المذموم هو ان يدبر الرجل في اسباب جمعها لقصد الافتخار · ويمتنع من الاسعاف منها والايثار · وكلما زيد فيها شيئاً ازداد غفلة وجهالة · وطال عتواً وضلالة · ومع ذلك فهو متكل على سعيه وعقله · غافل عن كرم الله وفضله · فهذا التدبير من امارات المقت نعوذ بالله من ذلك فالواجب حينئذٍ ان يجتنب هذا التدبير ولا يترك الاول ايضاً اعتماداً على التقدير فان ترك التدبير المحمود ربما يؤدي الى مفاسد ظاهرة وباطنة * اما الظاهرة فلكونه يورث الكسل والفتور · ونسبة العجز والقصور · وقد يهتضم بين قومه وحواشيه · ويلام عند اخوانه وذويه * واما الباطنة فلكونه خلاف المطلوب منه فان الله تعالى خلق العبد وجعل فيه التدبير والاختيار · وأراد منه ان يستعمل ذلك عند الحاجة والاضطرار · فيلزمه الانقياد لاحكامه · والرضا بنقضه

بعفوك استجير فان تجازي
فانك عصمة للعالمينا
ونحن الكاتبون فقد أسأنا
فهبنا للكرام الكاتبينا

المثال الثاني عشر الدواوين في سائر الجهات والى الوزير ان كانوا دواوين السلطان مرجعهم وان كانوا دواوين الامراء فامر كل ديوان الى مخدومه وعلى الكل اداء الامانة وتجنب الخيانة ويخص ديوان الامير الرفق بالفلاحين ويعم الكل تجنب حرمات الله تعالى على ما وصفناه فلقد كثر منهم اتخاذ دوى الذهب او المحلاة بالذهب والفضة والسكاكين المفضضة والاصح تحريم ذلك كله الا ان يكون قدموّه بقدر لا يحصل منه شيء بالعرض على النار سمعت بعضهم يقول وقد قرأ منقوشاً على بعض دوى الكتابات

دواتنا سعيدة
ليس لها من متربه
عروس حسن جليت
منقوشة مكتبه
قد انطلت حليتها
على الكرام الكتبه

وابرامه · ولا شبهة ان العبد اذا اراد امراً ودبر فيه وكان ذلك خيراً له من جميع الوجوه فالله تعالى يمنحه اياه بفضله وان كان شرًّا من جميع الوجوه او خيرا من وجه وشرًّا من وجوه كثيرة فالله يصرفه عنه ويدحض ارادته بارادته العلية فعلى العبد ان يعلم ان اختيار الله خيرٌ له من اختياره لنفسه وان كان ذلك الخير مستوراً عن ادراكه وحدسه ولا يحزن من نقض تدبيره وتخلف مراده اذ لا يكون الا ما يريد وهو القاهر فوق عباده * يروى في اخبار موسى عليه السلام اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون فان ابيت الا ما تريد اتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما اريد * وقال ابن عطآء الله قدس سره في التنوير ان سر خلق التدبير والاختيار ظهور قهر الجبار وذلك انه سبحانه اراد ان يتعرف الى العباد بقهره فخلق فيهم تدبيراً واختياراً ثم فسح لهم بالحجبة حتى امكنهم ذلك اذ لو كانوا في وجود المواجهة والمعاينة لم يمكنهم التدبير والاختيار كما لا يمكن الملأ الأعلى ذلك فلما دبر العباد واختاروا توجه بقهره الى تدبيرهم واختيارهم فتزلزل اركانهم وانهدم بنيانهم فلما تعرف للعباد بقهر مراده علموا انه القاهر فوق عباده فما خلق فيك الارادة ليكون لك ارادة ولكن لتدحض ارادته ارادتك فتعلم ان ليس لك ارادة لذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك وانما جعله فيك ليدبر وتدبر فيكون ما يدبر لا ما تدبر * وأما الجزء الثالث وهو الصبر خير ما استعمله الممتحن فانه راحة القلوب · وسلم الظفر بكل مطلوب · كما قال صلى الله عليه وسلم ان مع النصر الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا * ومن لوازمه ترك الشكوى · وعدم الجزع عند البلوى · ويلزم الاول اسرار المحنة · واظهار المنة · ويلزم الثاني حبس القلب · والوقوف عند حكم الرب · فاللازم الاول وهو ترك الشكوى فانه اعظم دلائل الصبر الجميل · الذي اخبر به سبحانه وتعالى في التنزيل · بقوله عز جاره وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المفلحون وفي تفسير قوله تعالى فاصبر صبراً جميلاً

لم تنطل الا على اللصوص الكتبة في المكوس فاذا رأيت ديواناً من وزير او غيره يخرج من بيته بعد ان امتلأ باطنه بالحرام وهو لابس الحرام وجالس على الحرام وفتح الدواة الحرام واخذ يمد الاقلام في الحرام ثم عاقب للحرام أفليس حقاً اذا رأيته بعد زمن يسير مضروباً بالمقارع ويطاف به في الاسواق ويجبى عليه * المثال الثالث عشر كاتب السر ووظيفته التوقيع عن الملك والاطلاع على اسراره التي يكاتب بها وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل ومن حقه انهاء القصص الى الملك وتفهيمه اياها فان اكثر الملوك يعسر عليهم الفهم ويؤتون من قبل ذلك لا سيما اذا اشتبكت الامور وازدحمت الاشغال فعلى كاتب السر التلطف بحيث يصل الى ذهن الملك والا فمتى ظلم الملك واحدا في واقعة لعدم فهمه وكان كاتب السر هو الذي قرأ عليه القصة فيها كان شريكا له او مستبدا عنه بالظلم ومن حقه ان يكتم ما اسر اليه كما قال الشاعر

هو الصبر الذي لابث معه ولا شكوى · وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده انشطته من عقالي وبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ويستأنف العمل وقال صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر فحث عليه السلام بذلك على الثبت في المصيبة ومجانبة الشكوى والجزع منها * وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى انه قال اذاوجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً أو انشر له ديواناً · وسئل عبد الله الخزان عن علامة الصبر الجميل فقال ترك الشكوى · واخفاء البلوى · وما اصدق الشريف الرضى بقوله

لااشتكي ضرى الى النا ... س وَهُمْ مَنْ أَعْلَمُ
إِنَّ الهاً مَسَّ بالضـ ... ـرِّ جَوادٌ مُنْعِمُ
اشكو الذي يرحمني ... الى الّذِي لاَ يَرْحَمُ

قال الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في فتوح الغيب لا تشكون الى احدٍ ما نزل بك من ضرٍ كائناً من كان صديقاً كان او عدواً ولا تتهم الرب تعالى فيما فعل فيك وانزل بك من البلاء بل اظهر الخير والشكر فان اظهار الشكر من غير نعمةٍ له عندك خير من صدقك في اخبارك جلية الحال بالشكوى منه فكيف ونعمه عليك ظاهرة و باطنة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فكم من نعمةٍ عندك وانت لا تعرفها فلا يكون سكونك الا اليه وشكواك منه الاله فانه ليس لاحدٍ ضر ولا نفع · ولا جاب ولا دفع · ولا خفض ولا رفع · الاشياء كلها خلق الله بيد الله صدورها بامره وجريانها باذنه كل يجري لاجلٍ مسمى عنده وكل شيء عنده بمقدار لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ان يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له الاّ هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فان شكوت منه عز وجل

و يكاتم الاسرار حتى انه
ليصونها عن ان تمر بخاطره

* وان يحترز من الكتابة في قطع الارزاق فقلما افلح كاتبه وما احسن مانقش بعض كتاب السر على دواته حيث قال

اذا فتحت دواة العز والنعم
فاجعل مدادك من جود ومن كرم

وقال غيره

حلّفت من يكتب بي
بالواحد الفرد الصمد
ان لا يمد مدة
في قطع رزق لاحد

المثال الرابع عشر الموقعون وعليهم الرفق بالرعية فيما يكتبونه ولتخفيف من التشديدات التي يؤمرون بكتابتها ولا يسوغ الامر بها فان كان لا يقدر على التخفيف فلا اقل من أن لا يزيد الطين بلة ويشدد فلقد بلغني ان بعض الملوك قال لموقع اكتب الى فلان بالحضور فابرق في الكتابة وأرعد وقعقع في العبارة فلما وصله الكتاب ارعبه بحيث وضعت امرأته وكانت حاملاً وارمى هو مصارينه من الخوف ولذلك قال فيهم بعض الشعراء

قوم اذا اخذوا الاقلام عن غضب
ثم استمدوا بها ماء المنيات

وأنت معافي وعندك نعمة ما طلباً للزيادة وتعامياً عما له عندك من النعمة والعافية استزراء بهما غضب عليك وازالهما عنك وحقق شكواك وضاعف بلواك احذر الشكوى جداً ولو قرض لحمك بمقاريض اياك واياك ثم اياك واياك فان اكثر ما ينزل بابن آدم من انواع البلا لشكواه من ربه جل وعلا · انتهى اذا عرفت ذلك فاعلم ان الشكوى لا تجديك نفعاً · بل تزيدك من الله سخطاً ومنعاً · اذ الشكوى لا تخلو اما ان تكون تضجراً مما ابتلاك الله به وقد عرفت ضرره واما رجاء من المخلوق بان يرحم شكواك · ويرفع عنك بلواك · وهذا ايضاً جهل عظيم · وفعل غبي ذميم · فان تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك عجز وضنك · لكونه لا يقدر ان يرفعها عن نفسه فكيف يرفعها عنك * قال ابن عطاء الله في الحكم لا ترفعن الى غيره حاجةً هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان له واضعاً · ومن لا يستطيع ان يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعاً * وقال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب اوحى الله الى بعض الصديقين أدرك لي لطف الفطنة وخفى اللطف فاني احب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم اني اوقعتها فسلني ارفعها قال وما خفى اللطف قال ان اتتك فولة مسوسة فاعلم اني ذكرتك بها انتهى · فافهم هذا السر واعلم ان الله سبحانه هو المعطي والمانع · والرافع والواضع · فلا معنى اذن للشكاية الى المخلوق · والتعلق بهم مع الوثوق · وما احسن قول الشاعر ·

ويمنعني الشكوى الى الناس انني ... عليل ومن اشكو اليه عليل
ويمنعني الشكوى الى الله انه ... عليم بما ألقاه قبل اقول
ساسكت صبراً واحتساباً فانني ... ارى الصبر سيفاً ليس فيه فلول

وانما قلنا انه يلزم ترك الشكوى اسرار المحنه · واظهار المنه · فان الممتحن اذا تثبت في وقوع المكاره والخطر · ولم يظهر الشكوى لاحد من البشر · فقد اخفى محنته · وابان بالتثبت فضل مولاه عليه ومنته · كما

نالوا بها من اعاديهم وان بعدوا
مالا ينال بحد المشرفيات

ومن حقه ان لا يستعمل وحشى اللغة وما لا يفهمه الاكثر من الناس لا سيما اذا كتب الى من يبعد فهمه لذلك * المثال الخامس عشر المهندار اسم لمن يقوم بامور قصاد الملوك ورسلهم فمن حقه ان يعتمد مصلحة المسلمين ويرهب القصاد ويوهمهم قوة المسلمين وعظيم سطوتهم واتفاق كلمتهم وقيامهم في حوزة الدين وذبهم عن حريم الملة الاسلامية وحفظ النظام وان ينهي امور القصاد الى الملك بقدر ما يكون فيه المصلحة ورب من يتعين عليه المبادرة الى اكرامه ومن يتعين عليه الكف عن اعظامه بحسب ما يقتضيه الحال ومن الحق على الملك ونوابه الاحتفال عند حضور قصاد الملوك واظهار القوة وحسن الملبس وكثرة الجيش واستعدادهم على الوجه الشرعي * المثال السادس عشر البريدية وهم الذين يحملون رسائل الملك وكتبه وكانت أئمة العدل لا تبرد البرد الا لمهم من مهمات المسلمين لمثله تساق الخيول وتزعج

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما انعم الله على عبد من نعمة وانتزعها منه فعوضه عنها صبراً الا كان العوض افضل من الذي انتزع منه فان الله تعالى جعل لكل شيء من الاجر والثواب حساباً معدوداً وحداً محدوداً الا الصبر فقد جعل اجره بغير حساب قال الله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب * وقال لقمان المحنة اذا تلقيت بالرضى والصبر كانت نعمة دائمة * والنعمة اذا خلت من الرضى والشكر كانت نقمة قائمة * وعن صالح المري انه قال ان لم تعوض في مصيبتك بنعمة الصبر فمصيبتك بنفسك اعظم وفي معناه قول الشاعر ·

كن شاكراً لله في انعامه | فالخير بالشكر المواصل يثمر
واذا تصبك مصيبة فاصبر لها | عظمت مصيبة مبتلي لا يصبر

قالت الحكماء لكل شيء جوهر وجوهر العقل الصبر فالصبر قوة من قوى العقل فبقدر قوة العقل يكون متانة الصبر ومن أمارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل · قيل لابي مسلم الخراساني بم اصبت ما اصبت قال ارتديت الصبر واتزرت بالكتمان ولم اجعل العدو صديقاً ولا الصديق عدواً * وقال بزرجمهر لم ار ظهيراً كالصبر ولا مذلاً للحساد كالتجمل ولا مكسباً للاجلال كتوقي الهزل ومثل ذلك ما روى عن بعض العقلاء انه قال ان اقل فوائد الصبر على البلية ان الصابر عليها ينغص لذة الشامت ومن ذلك قيل الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت * يروى عن الحسن رضى الله عنه انه كان يقول جربنا وجرب لنا المجرّبون فلم نرَ شيئاً انفع وجداناً : ولا اضر فقداناً · من الصبر الجميل : اذا كان خالياً عن الشكوى والتذليل · اذ به تتداوى الأمور ولا يتداوى هو بغيره * واللازم الثاني وهو عدم الجزع عند البلوى فانه من أنفع الوسائل · واقوى العدد في النوازل · على ان الجزع من مقتضيات الفطرة الانسانية · ولوازم الخلقة البشرية · لكن اذا ثبت الله العبد بحسن اليقين · ونور قلبه بنور السكينة والتمكين · انقذه من ورطة

النفوس والآن اكثر ما تهلك خيول البريد وتساق للاغراض الدنيوية من شراء المماليك وجلب الجوارى والامتعة واذا ركب الفقيه فرس بريد انكر عليه ذلك وقيل قد أخطأ السلطان او نائبه في اركابه فان البريد لا يساق الا لمهمات السلطنة كانهم يعنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به من شراء مملوك مليح او استدعاء حسن الصوت او خراب بيت شخص انهي عنه مالا صحة له الى امثال ذلك وخفي عنهم ان أئمة العدل كانوا يستدعون العلماء من البلاد لاجل نفع المسلمين واشهار الدين وان ركوب البريد لهذا الغرض خير من ركوبه في اغراضهم الفاسدة وقد كان عمر ابن عبد العزيز يبرد البريد للسلام على قبر رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم فهل رأيت في زماننا ملكاً يفعل ذلك ومن حق البريدي كتمان الاسرار وستر العورات وكف لسانه عن الفضول فضلا عن الكذب فقد كثر منهم الكذب ونقل البهتان لاجل حطام من الدنيا ومن حقه

الجزع في النوائب · واعانه على تجرع غصص المكاره والمتاعب * قال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب لقد قال الله تعالى وكان الانسان عجولاً خلق الانسان من عجل ثم قال عز جاره سأريكم آياتي فلا تستعجلون اخبر عن وصف الانسان بالعجلة ثم امره بتركها عند البلوى والامتحان فجملة وصف الانسان معنيان الطيش والشره فالطيش من الجهل والشره من الحرص فان وفق الله ونزلت السكينة على القلب عصمت عنهما · وقد مثل الحكماء نفس الانسان في الطيش كمثل كرة في مكان املس مصوب فان أشرت اليها او حركتها بادنى حركةٍ تحركت لخفتها واستدارتها ومثلها في الشره كمثل الفراشة التي تطلب بجهلها عين الضوء فتحرق ولو قنعت بقليل من الضوء عن بعدٍ سلمت وكان ابن المقفع يقول اذا نزل بك امرٌ مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة لك فيه فلا تجزع ومثلوا الرجل الجازع الجاهل بمثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه و يصير الحرير لغيره فانظر الى هذا التشبيه الجليل · والتمثيل الذي ما له مثيل · ولا ريب ان الصبر مرّ المذاق · كثير المشاق · الا انه يكسب وقارا · و يعقب شهداً مشتارا · كما قال الشاعر ·

أما والذي لا يعلم الغيب غيره | ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدو الصبر مرّاً مذاقه | لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

فالسعيد من نجح بالصبر سعيه · واشرق بنور التوفيق رأيه · والخاسر من خلى الله بينه وبين عقله · وتركه خابطاً في ظلمات جهله · حتى تردّى برداء الجزع · وصار لا ظهراً ابقى ولا ارضاً قطع · على ان الجزع والاضطراب · لا يفيد الا زيادة الهم والاكتئاب · كما قال بعض الحكماء المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان ومثله قولهم الممتحن كالمختنق متى ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً * وانما قلنا انه يلزم عدم الجزع حبس القلب · والوقوف عند حكم الرب · فان الصابر اذا لم يجزع عند البلوى فقد حبس نفسه على تحمل المكروه · ووقف بحسن الأدب مع الله على اكمل الوجوه ·

حمل رسائل الاخوان اليهم ففي ذلك اجر عظيم وشكر لهذه النعمة وحق على كل بريدي ان لا يجهد الفرس بل يسوقها بقدر طاقتها وقد كثر منهم سوق الخيل السوق المزعج بحيث تهلك تحتهم أفما علموا انها خلق من خلق الله تعالى فاذا رأيت بريديا يسوق الخيل في امر لا يجوز حتى يهلكها ثم يقدم على اهل بلد فيزعجهم ثم يعود الى السلطان فيدل على عورات المسلمين ويغرى الظلمة بالمساكين الغافلين والغافلات ثم يزيل الله سبحانه وتعالى عنه النعمة ويذيقه انواع الذل والاهانة فلا تعجب واعلم ان ذلك من الله سبحانه وتعالى عدل * المثال السابع عشر ناظر الجيش فمن حقه النظر في حالهم وتجريد من يرى فيهم المصلحة والكفاية والقدرة وحرام عليه ان يجهز الفقير او غيره وان يغري به الملك بل عليه الدفع عنه بما امكنه فانه ناظر عليه كناظر اليتيم وعليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين لانه مطالب بذلك كله فليتق الله

كما روى عن جعفر بن محمد رضى الله عنهما انه سئل عن الصبر فقال ترك الجزع المشبوب · وحبس النفس على غصص الخطوب · واليه الاشارة بقوله عز من قائل خطاباً الى نبيه المعظم صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم الآية يعني الزم الصبر وتجرع غصصه ولا تجزع من مكابدة هذه الشدائد كما صبر قبلك اخوانك من الرسل حتى مدحوا بالصبر الجميل · ووصفوا بهذا الوصف الجليل · وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا ولا بدع فان الصبر صديق الظفر · والجزع مع الاحتيال من اعوان القدر كما قيل اذا كانت مغالبة القدر مستحيله · فمن أعوان نفوذه الحيله * ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يقول اذا صبرت مضى امر الله وكنت مأجورا واذا جزعت مضى امر الله وكنت مأزورا * وروى عن علي بن الحسين رضى الله عنهما انه كان يقول احتمال الصبر عند البلية اسلم من اطفائها بالجزع والمشقة · وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ماالجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سيزول * وروى عن الحسن البصري رحمه الله انه كان يقول الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند المحنة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلي غير صابر والجزع لا ينفع ما لم تنصرم ايام المحنة · وقال لقمان الحيلة فيما لا بد منه ترك الحيلة فاطردوا واردات الهموم بعزائم الصبر فان الصبر على المكاره من حسن اليقين · قال الشاعر ·

فلا تجزع لريب الدهر واصبر　　فان الصبر في العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئاً　　ولا ما فات ترجعه الهموم

يحكي عن انوشروان انه قال جميع مكاره الدنيا تنقسم الى ضربين فضرب فيه حيلة فالاضطراب دواؤه · وضرب لا حيلة فيه فالاصطبار

ربه ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين بالاقطاعات بالفلاحة والفلاح حرٌّ لا يد لآدمي عليه وهو امير نفسه وقد جرت عادة الشام بان من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً او يلزم بشد الفلاحة والحال في غير الشام اشد منه فيها وكل ذلك لا يحل اعتماده والبلاد تعمر بدون ذلك بل انما تخرب البلاد بذلك لانهم يضيقون على الناس فيضيق الله تعالى عليهم ومن قبائحهم انهم اذا اعتمدوا شيئاً من قبائحهم الخبيثة يقولون هذا شرع الديوان والديوان لاشرع له بل الشرع لله تعالى ولرسوله محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا الكلام ينتهي الى الكفر وان لم تنشرح النفس لتكفير قائله فلا اقل من ضربه بالسياط ليكف لسانه عن هذا التعظيم الذي هو في غنية عنه بان يقول عادة الديوان او طريقه او نحو ذلك من الالفاظ التي لا تنكر * المثال الثامن عشر السلحدار وهو الذي يحمل السلاح ومن حقه

شفاؤه * وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله انه قال اسعد الناس من كان القدر له مساعداً وكان له اهلاً واشقى الناس من اذا لم يساعده القدر ولم يكن من اهل الصبر * ونقل عن ابان بن تغلب قال سمعت اعرابياً يقول من افضل آداب الرجال انه اذا نزل باحدهم جائحة استعمل الصبر عليها وألهم نفسه الرجا لزوالها حتى كانه يعاين الخلاص توكلاً على الله وحسن ظن به فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث ان تقضي حاجته · وتفرج كربته ومعه دينه وعرضه ومروءته * وقال بطليموس لم تتفاضل اهل العقول والدين الا باستعمال الفضل حال القدرة وابتذال الصبر عند الشدة * وروى انه وجد مكتوباً في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر * وحكي بعضهم ان كسرى سأل بزرجمهر ما علامة الظفر بالامور الصعاب قال المحافظة على الصبر وملازمة الطلب وكتمان السر وفي معناه قول ابي جعفر محمد بن يزيد

ان الامور اذا اشتدت مسالكها * فالصبر يفرج عنها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
أخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وحسبك ارشاداً للصبر الجميل قوله صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان كالرأس من الجسد وقوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الامر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره * وعن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رزق عبد خيراً له ولا اوسع من الصبر * وأما الجزء الرابع وهو العجز عن الصنع ان لم اصبر فانه من آداب المرسلين · وطرائق السالكين · واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حق معرفتك ومن لوازمه التحلي بالانكسار · والتخلي عن الاستظهار · ويلزم الاول خفض الجناح · وطلب المسالمة والاصلاح · ويلزم الثاني الاكتفاء بالقليل ·

الاحتفاظ حسبما شرحناه ونشرحه في ارباب الوظائف * المثال التاسع عشر الجمقدار وهو الذي يكون دائماً حامل الدبوس * المثال العشرون الطبر دار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لاجل حفظ نفسه * المثال الحادي والعشرون الجوكندار وهو الذي يحمل الجوكان والكل من وادٍ واحد * المثال الثاني والعشرون الجمدار واكثر ما يكونون صبياناً مرداً ملاحاً يتعانى بهم الملوك وكذا الامراء يكونون بالنوبة مع المخدوم يلازمونه حتى وقت نومه وقد تناهت الرغبة فيهم لاستيلاء شهوة المرد الملاح على قلوب اكثر اهل الدنيا وصارت الجمدارية تتنوع في الملابس المهيجة للشهوات البشرية ويتزينون فيربون في ذلك على النساء ويفتنون الناس بجمالهم وحرام على جمدار يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ان ينصب نفسه لهذا الغرض وان يتشبه بالنساء فيما خلقن له وليس له ان يمكن مخدومه من ان يتلوط به ولا ان يقبله فليتق الله ربه

ومجانبة الاستطالة والتنكيل . فاللازم الاول وهو التحلي بالانكسار فانه اشرف اوصاف العبودية واكمل الاخلاق البشرية . ومايناقضه من العز والاستكبار . فهو من اوصاف الملك الجبار . واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه اي من عرف نفسه بذلها وانكسارها وفاقتها وافتقارها فقد عرف ربه بعزه وسلطانه . وجوده واحسانه * قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره فرض الله الصلوات الخمس على العباد . ليتصفوا بالذل والانكسار . بين يديه فانها اكمل الاوصاف . وهذا هو المقصود . من فرضية الصلاة * وقال بعض العارفين ما فتح لك الباب . الا بالانكسار . وما تعذرت بك الاسباب . الا من الاستكبار * وقال ابو طالب المكي في كتابه قوت القلوب قد خاطب الله سيد البشر وامره ان يخبر بذلك أمته فقال قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ثم قال قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً فاذا كان الملك عزيزاً جباراً وكان كل شيء بيده لم يوصل الى ما عنده بقوة ولا استكبار وانما الطريق اليه هو الصدق والاخلاص والذل والانكسار * وانما قلنا ان التحلي بالانكسار يلزمه خفض الجناح . وطلب المسالمة والاصلاح . فان المنكسر حقيقة يكون لين الجانب . رائض الجنائب . راغباً في المسالمة مع الناس . متجنباً للشراسة والشماس . قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل العبادة التواضع وقال علي رضي الله عنه التواضع سلم الشرف وعنه صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزاً فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله قال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمتك من دون الناس قال لا يا رب قال لاني رأيتك تتمرغ في التراب

وليرحم شبابه فالدنيا عند الله تعالى اقل من ذلك كله ومن آدابه اذا لبس المخدوم ثيابه ان يقدم له الايمن من الخف قبل الايسر واذا نزعه ان يعكس * المثال الثالث والعشرون البشمقدار وهو من اقبح البدع لانه موضوع لحمل نعل الامير وذلك من الرعونة والحمق ومن آدابه ان لا يضع النعل على البساط وغيره مما يطؤه الناس بارجلهم حفاة وربما لاقاه وجه مصل وربما كانت نجاسة في النعل وبتقدير ان لا يكون شيء من ذلك فلا يخفى مافي وضعه على هذا الوجه من الكبرياء والخيلاء فان كان لا بد من بشمقدار فلا اقل ان يضع نعل الامير موضع نعال الخلق * المثال الرابع والعشرون اميرعلم واليه امر طبول الطبل الخاناة ومن حقه الاحتياط في الضرب وقت الحرب وتهييج العسكر على الاقدام والمبارزة حسبما يقتضيه دين الله تعالى وتدعو اليه الغيرة على بيضة الاسلام * المثال الخامس والعشرون امير شكار واليه امر الطيور والكلاب

بين يدي تواضعاً * روي عن بزرجمهر انه كان يقول التواضع نعمة لا حسود لها والعجب بلاء لا يرحم صاحبه * وقال بعض الادباء ما تواضع الا نبيه . ولا جلب المقت الا التيه . ومن ذلك قيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه وتتواصى بالتواضع وترغب فيه اذ قلما ينجو المتكبر من المخازاة في الدنيا قبل الآخرة * فقد قال العلماء خصلتان ذميمتان جدا يعجل الله عليهما العقوبة في الدنيا قبل الآخرة الكبر والبغي وقد جرت العادة الالهية ان كثيراً من المتكبرين يذلهم الله حتى يحوجهم الى من يأنفون من مماشاته او التكلم معه وقد وقع مثل هذا كثيراً في الاسلام * فمن ذلك ما روى ان وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاقطعه ارضاً ثم قال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية في هاجرة شاوية ومشى خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له اردفني خلفك على ناقتك قال لست من ارداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن ابي سفيان ولكن اكره ان يبلغ اقيال العرب انك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرفاً ثم ان وائلاً احوجه الله تعالى حتى لحق معاوية ووفد عليه وهو بالشام فاستأذن في الدخول فلم يأذن له مدة ثم اذن له وادناه وقضى حاجته . واللازم الثاني وهو التخلي عن الاستظهار فانه ثلج الفؤاد . وراحة الاجساد . فان من اجتنب الظهور في زمانه . ولم يطلب الغلبة على اخوانه . فقد اراح جسده . وأمن مكر الزمان ونكده . ولذلك قيل الظهور . يقطع الظهور . فانه يفضي الى الحسد والتنافر . والتنافس والتغاير . فينبغي للعاقل ان لا يعرض نفسه الى تحاسد الرجال . فانه آفة عاجلة وداء عضال . كما قال بعض العقلاء الحسد جمر موقود . يشب بالحاسد والمحسود . الا انه بالحاسد اعلق . واليه دون المحسود أسبق . وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله * واعلم ان الحسد الذي تعلق ناره بالجانبين هو الذي يكون سببه حب

المعدة للصيد * المثال السادس والعشرون امير ياخور واليه امر الاصطبل والخيول * المثال السابع والعشرون السقاة واليهم امر المشروب وهو من اقبح البدع والتنطع في الدنيا قد كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم وملكهم أعظم واوسع من ملك الاتراك والاموال التي كانت في ايديهم اضعاف هذه الاموال مما لا يحصيه الا الله تعالى يكرعون في الماء وعلى كل ارباب هذه الوظائف النصح حسبما تقتضيه وظائفهم ونذكر الساقي بشيئين احدهما انه لا يحل لساق يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ان يحضر لمخدومه منكراً يشربه وعليه اعمال الفكرة والحيلة في سد هذا الباب وابعاده عن الامير بقدر طاقته وقدرته وله ان يكذب ويقول لم اجد أو ذهب وما شاء في هذا الباب مما لا يخفى على صاحب التقوى واذا رأى الامير جبارا لا يرجعه عذيل فعليه التوسط ودفع المنكر وابعاده ما امكنه عنه لا سيما في الاوقات التي يجلس فيها الامير بحكم بين

الاستظهار والتفاخر من المحسود على نظرائه والا فالنعمة التي يكون اظهارها من باب التحدث بان يقصد بها مواساة اخوانه المؤمنين . واسعاف من دونه من المسلمين . او تكون من الفضائل النفسية التي انعم الله بها عليه فالحسد حينئذٍ لا يتجاوز ضرره الى المحسود * فالاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود * والثاني هو المراد بقوله عليه السلام ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وعلى كل حال فالحسد خلق ذميم . ومرتع وخيم . وخطب جسيم . ولذلك قيل ثلاث مهلكات الكبر فانه حط ابليس عن رتبته والحرص فانه فعل بآدم ما فعل والحسد فانه دعا قابيل الى قتل اخيه هابيل وفي كتاب لطائف المعارف للثعالبي ان اول ذنب عصى الله به في السماء والارض الحسد أما في السماء فما كان من حسد ابليس لآدم حين امر بالسجود له فابى حتى كان ما كان وأما في الارض فما كان من حسد قابيل لاخيه هابيل حيث تقبل قربانه ولم يتقبل من الآخر فانظر يا اخي الى هذا الداء ما أعداه . وما اكثر مضاره وبلواه . قال بعضهم عجبت للناس كيف يتحاسدون في الدنيا على المتاع الخسيس ولا يتحاسدون على العمل النفيس وهم يعلمون ان ظلها قالص . وقدرها ناقص . ومن هوانها على الله ونقصها ان اخرج نفائسها . من خسائسها . وشرائفها من كثائفها . فاخرج الخلائق من نطف . والدر من صدف . والذهب من التراب . والعسل من الذباب . والسكر من قصب . والعود من خشب . والزباد من هره . والمسك من دم السره . والباد هر من السموم . والعنبر من روث أو موم . والموميا من بخار . والحرير من دود صغار . وامثاله كثيرة جداً * وانما قلنا ان التخلي عن الاستظهار يلزمه الاكتفاء بالقليل . ومجانبة الاستطالة والتنكيل . فان من تخلى عن الاستظهار والشهرة . وحلى بعقود القناعة نحره . فقد اكتفى بما رزقه الله ولو كان قليلاً . وخفف عن نفسه كلفاً كان يراها وطأً ثقيلا . اذ الحرص على تحصيل الكثير . وعدم الرضا باليسير .

لا يكون

الرعية فياويح امير يجلس للحكم بين الرعية وهو سكران وثانيها حفظ حقوق مخدومه والخشية عليه من عدوٍّ يضع له في المشروب ما يهلكه من سم ونحوه ولقد بلغنا عن جماعة من المماليك قتل مخاديمهم لاغراض الدنيا فقبحهم الله تعالى من طائفة وجربنا فلم نجد مملوكاً ساعد على استاذه الا واهلكه قريباً ولم يحصل على شيء مما أمله بل تنعكس آماله وتتغير احواله * المثال الثامن والعشرون الطواشية اعلم ان الممسوح هو الذي ذهبت انثياه وذكره بالكلية ذهب اكثر اصحابنا الى جواز نظره الى الاجنبيات وفيه وجه انه حرام وهو مذهب ابي حنيفة واحمد وكان الشيخ الامام رحمه الله تعالى يختاره واما الخصى الذي ذهب انثياه دون ذكره والمجبوب الذي ذهب ذكره دون انثييه فلا يحل لواحد منهما ان ينظر الى الاجنبية على الصحيح وهذا كله في نظر الطواشي الى الاجنبية اما نظره الى سيدته فاكثر اصحابنا على ان نظر العبد الى سيدته

لا يكون الا لقصد الاشتهار . والتقوى على ماهو بصدده من الاستظهار . وكذلك الاستطالة والتنكيل على الناس . فانه من فرط الزهو وشدة الشماس . واما المتخلي عن ذلك كله فيلزم عز القناعة . ويعد ما يناقضها ذلا واضاعه . كما قال الشاعر

ان القناعة نصف العيش فارض به * لا تحرصن فان الحرص تعذيب
لا تخد عنك دنيا بعد تجربة * فقد رأيت وفي الايام تجريب

* قال بزرجمهر اذا كان القدر حقاً فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعاً فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بالمرصاد فالركون الى الدنيا حمق * وسئل علي بن موسى رضي الله عنهما عن القناعة فقال القناعة تجمّع الى صيانة النفس وعزّ القدر وطرح مؤنة الاستكثار ولا يسلك طريق القناعة الا رجلان اما متعالٍ يريد أجر الآخرة او كريم مترفع عن لئام الناس وقال صلى الله عليه وسلم من رضى باليسير من الرزق رضي الله عز وجل منه باليسير من العمل * واعلم ان كثيراً من الناس اذا ابتلى بنازلة في ماله او جاهه فلا يقتصر على ما بقى له و يرضى به مسلّماً للقدر . ومترقباً للفرج المنتظر . ولا يعمل بالتحفظ في اموره . بل يحرص على ان يدرك مافاته في اوقات سروره . فيتعب نفسه فيما لا يعنيه . بل ربما يتطاول على الناس ويتعمد اضرار اخيه . زعماً منه انه يريد بذلك التجلد وعدم الاكتراث . ويعتقد ان الصبر يورث الذل ولا يدفع الاحداث . وما ذلك الا حمق فاحش . وفعل جاهل طائش . فان التجلد هو ان لا يجزع في الخطوب . ويسلم أمره الى علام الغيوب . ولا يذل نفسه لغير مولاه . ويرضي بما قدره عليه وقضاه . واما التطاول والاضرار فدليل على النكس والدمار . وان من ارتكب ذلك ايام عزه اذله الله . فكيف في اوقات محنته وبلواه * يحكى ان رجلاً شكى جاره الى جعفر بن محمد رضي الله عنهما فقال اصبر عليه فقال ينسبني الى الذل فقال ويحك الذليل من ظلم لا من ظلم وقال بعض الحكماء اياكم والتطاول فانه يورث

حلال وان كان سليم الذكر والانثيين وهو ما رجحه الرافعي والنووي رحمهما الله تعالى وعلى هذا نظر الطواشي اولى بالحل ولكن الصحيح عند الشيخ الامام وجماعة ان نظر سليم الذكر والانثيين الى سيدته حرام وهو الحق فكيف يباح نظر المماليك الحسان الذين يفتنون بجمالهم الى سيدتهم والنساء ناقصات عقل ودين أما اذا اجتمع كونه طواشياً مملوكاً لسيدته فهو اقرب الى الجواز ممن لم يجتمع فيه الامران وكذلك جوز مالك رحمه الله تعالى نظر المرأة الى الطواشي اذا كان مملوكاً لها او لزوجها ومنعه اذا لم يكن كذلك * ومن الطواشية الزمام وهو الذي يحصى النساء ومن حقه غض بصره عما يخصهن والنصح لصاحب البيت واعلامه بما يعجز عن ازالته من الريب ومنع ارباب الفجور من العجائز وغيرهن من الدخول عليهن * ومنهم مقدم المماليك وهو الذي اليه امر المردان ولا يحل له المواطأة على الفجور بهم ولا تمكين بعضهم من مضاجعة البعض في

الدمار . ويخرب الديار . ويكد النفوس . ويهد الماسوس . ويثير الفتن . ويعين على خطوب الزمن . ومن كلامهم استظهر على من دونك بالفضل وعلى نظرائك بالانصاف وعلى من فوقك بالاجلال تأخذ بازمة التدبير وقالوا ان استطلت على الاخوان : فلاتثقنَّ بالراحة من الزمان . وان آنست من نفسك فضلاً . فتطاولك يكسبك بين الناس جهلاً * وقال بعضهم اذا كان عجزك عن الاستطالة مع القدرة مغنم . فعجزك عنها مع عدم القدرة أسلم واغنم . وعلى كل حال فالعجز والانكسار . من اخلاق الصديقين والابرار . وحسبك ارشاداً الى صفة العجز قصة سيدنا موسى عليه السلام لما امره الله تعالى بقوله اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي الآية حيث اظهر العجز في تلك المهنه . وعرض على ربه عزّ وجل ما كان متصفاً به من اللكنه . وما ذاك الا ليترقى بسلم العجز الى أعلى الدرجات . ويستزيد ما وُعد به من النعم والمبرات . فأجاب الله سُؤْله . وحقق مأموله . ولا يذهب عليك ان اظهار العجز المذكور هو ان يكون الى الله تعالى لا الى غيره فان اظهار العجز الى الورى . يورث الذل والازدرا . كما قال بعض الأفاضل من اتصف بالعجز والقصور . تلحف بالذل والفتور . وفاتته معالي الأمور . ومن كلام الحكماء تزوّج العجز بالتواني فانتجت بينهما الفاقه . قال الشاعر .

وان التواني انكح العجز بنته	وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشاً وطياً ثم قال لها اتكي	فانكما لا بد ان تلدا الفقرا

يحكي انه دخل ارسطاطاليس يوماً على الاسكندر فقال له عظني فقال عانق الفرصة عند انتهازها وكل الامور الى وليها ولا تحمل على نفسك همّ ما لم يأتك واياك والتواني في جميع الأمور * واما الجزء الخامس وهو التأسي بمن هو اعظم مصيبة فهو امرٌ مندوب اليه . وأولى ما يعوّل في الملمّات عليه . قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوةٌ حسنة ومن

فراش واحد وقد كثر في هذه الطائفة نوع القيادة لمخدومهم وكذلك لغيره وكذلك في الزمام كثر منهم القيادة وذلك لما جبلت عليه الطواشية من نقصان العقول وتشبههم بالنساء حتى قيل ما اختلى طواشي بالنساء الا وحدث نفسه بانه رجل ولا بالرجال الا وحدث نفسه بانه امرأة وقيل الطواشي أشد الناس غيرة واكثرهم استحساناً وقيادة على من تحت يدهم من امرأة او مملوك وفي كتب الحنفية انه يكره استخدام الخصيان مطلقاً لانه تحريض على الخصاء المنهي عنه *

المثال التاسع والعشرون الحاجب والحجوبية وظيفة قديمة كانت تسمى القيادة وكان الحاجب يسمى قائد الجيش ولم يكن في الزمان الماضي يحكم بل يعرض الجيش ويعتبر حاله وينهيه الى الامير والآن اصطلحت الترك على انه يفصل القضايا فنقول عليه رفع الامور الى الشرع وان يعتقد ان السياسة لا تنفع شيئاً بل تضر البلاد والرعايا وتوجب الهرج والمرج ومصلحة الخلق فيما شرعه

لوازمه استصغار الغوائل . وشهود اللطف في النوازل . ويلزم الأول الانس بالألم . والتثبت عند النقم . ويلزم الثاني اصلاح العمل . والحياء . من ارتكاب الزلل . فاما اللازم الأول وهو استصغار الغوائل فانه من كمال الفضل . وثبات العقل . كما يروى عن بعض الحكماء انه سئل عن العقل الكامل فقال ان تستهون النقمة . وتستعظم النعمة * قال الشيخ ابو حامد رحمه الله كان بعض الصوفية وظف على نفسه ان يحضر كل يوم دار المرضى فيراهم ويشاهد عللهم ويحضر حبس السلطان ويشاهد ارباب الجنايات ومحنهم ثم يعود الى بيته ويشتغل بالشكر طول النهار فسئل عن السبب فقال لا يقوى السالك على مجاهدة النفس ولا يعرف قدر نعمة الله تعالى الا بهذا الفعل * وقال بعض العقلاء . من ازدرى النعم . واستعظم الألم . أوشك بان تتوالى عليه النقم * يحكي انه كتب قيصر الى كسرى اخبرني عن اربعة أشياء لم اجد من يعرفها واخالها عندك ما عدوّ العقل وصديق الظفر ومدرك الأمل ومزيل الشدة فكتب اليه استعظام المصيبة عدوّ العقل والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الأمل والاحتيال مزيل الشدة * ويروي عن السلف لا يكون عاقلاً من تكبر عنده المصائب . ولا يكون عالماً من تصغر لديه الرغائب . فيلزم العاقل ان ينظر الى من فوقه في الاهوال . والى من دونه في النعم والمال . كما قيل *

من رام عيشاً صفياً يستفيد به	في دينه ثم في دنياه اقبالاً
فلينظرن الى من فوقه أدباً	ولينظرن الى من دونه مالاً

وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله تعالى عليكم * وانما قلنا ان استصغار الغوائل يلزمه الانس بالألم . والتثبت عند النقم . فان من استصغر النازله . واستهون النوائب الهائله . أمن من وحشة الألم متى حل . وثبت عند اشتداد الخطب وان جلّ * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التأني والتثبت من

خالقهم الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم وشريعة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم ولا يأتي الفساد الا من الخروج عنها ومن لزمها صلحت أيامه واطمأنت ولم يقض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحبه حتى اكمل الله سبحانه وتعالى لنا ديننا وقد اعتبرت ولا ينبئك مثل خبير فما وجدت ولا رأيت ولا سمعت بسلطان ولا نائب سلطان ولا امير ولا حاجب ولا صاحب شرطة يلقي الامور الى الشرع الا وينجو بنفسه من مصائب هذه الدنيا وتكون مصيبته أخف من مصيبة غيره وايامه اصلح واكثر امناً وطمأنينة واقل مفاسد وانت اذا شئت فانظر تواريخ الملوك والامراء العادلين والظالمين وانظر اي الدولتين اكثر طمأنينة واطول اياماً ولذلك اعتبرت فلم ار ولم اجد من يظن انه يصلح الدنيا بعقله ويدبر البلاد برأيه وسياسته ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره الا وكانت عاقبته وخيمة وايامه منغصة متكدرة

الله تعالى والعجلة والنسيان من الشيطان · ولقد فرق العلماء بين العجلة والتعجل فقالوا ان العجلة من الشيطان والتعجل هو المبادرة الى الخير واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية · فينبغي للعاقل ان يتعجل في الخير · ويثبت عند وقوع الألم والضير · فان من ثبت في معارك الآفات · تحقق بشرائف الصفات · قالت الحكماء العقل أصله التثبت وثمرته السلامه · والجهل اصله الطيش وثمرته الندامه · وما أحسن قول بعض الادباء ان الثابت الوقور كاللؤلؤ الخافي · والطائش العجول كالسمك الطافي · ان حركته يطير كالشذي · وان ازعجته طار كالقذي · فكن كالطود لا تزعزعه العواصف · ولا تقلقله القواصف ولا تكن كالقدر المزبد يجيش والسهم العائر يطيش · فان أطيب الناس طينه · اكثرهم طمأنينه · وأمرهم عيشاً اشدهم طيشاً * واما اللازم الثاني وهو شهود اللطف في النوازل · فانه من اقوى المعاقل · واكمل الاوصاف والمخايل · لكونه يجد المنح في المحن · ويستوجب من الله تعالى زيادة الالطاف والمنن * قال بعض العارفين من لم يشهد اللطف في كل وقت · استوجب من الله تعالى المقت · فان من قوى بصره الى المطلب الاقصى · شاهد في الشدائد من الفوائد ما لا يحصى * يحكى عن جماعة من الصالحين قالوا دخلنا على سويد بن زمعة نعوده فعاينا ثوباً ملقى فما ظننا تحته شيئاً حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك أما نطعمك ونسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضواً ما اطعم طعاماً ولا اسيغ شراباً منذ كذا وذكر اياماً ثم قال ما يسرني ان انقص من هذا قلامة ظفر · فهؤلاء شاهدوا العطايا · في البلايا · والمنن · في المحن · واللطف · في العنف · فاوجب لهم ذلك من الرضى باللأوا · والتلذذ بالبلوى · ما حملهم على ان لا يحبوا نقصانه · حيث شهدوا لطفه واحسانه · اللهم احشرنا في زمرتهم · ولا تحملنا ما لا نطيقه من بلواهم ومحنتهم * قال محمد ابن ابراهيم النفزي في شرح الحكم كلما ازعج النفس وآلمها فهو محمود العاقبة

وعيشه قلقا وتنفتح عليه ابواب ويتسع الخرق على الراقع فلا يسد ثلمة الا وتنفتح ثلاث ولا يرفع فتنة الا وينشأ بعدها فتن كثيرة وعلى مثله يصدق قول الشاعر

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فمن خطر له انه ان لم يسفك الدماء بغير حق ويضرب المسلمين بغير حق لم يصلح ايامه فعرفه انه باغ جهول احمق حمار دولته قريبة الزوال ومصيبته سريعة الوقوع وهو شقي في الدنيا والآخرة واذا أخذه الله تعالى لم يفلته قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً اخبر عز وعلا انا لم نؤمن حتى نحكم هذا النبي العظيم ثم اذا حكم لم نجد في انفسنا حرجاً وضيقاً وقلقاً من حكمه بل نطمئن له ونسلم وننقاد وندعن والا فنحن غير مؤمنين فكفى بهذه الآية واعظاً وزاجراً لمن وفقه الله تعالى فان قال حمار من هؤلاء أنا من اين اعرف هذا وانا عامي تركي لا اعرف كتاباً ولا سنة قلنا له

من قبل ان ذلك رادٌّ له الى الله تعالى وملازمه بابه بصدق الالتجاء والافتقار وهذا هو اعظم فوائد البلايا فمن شهد هذه الفوائد · هانت عنده المحن والشدائد * وانما قلنا ان شهود اللطف في النوازل يلزمه اصلاح العمل · والحياء من ارتكاب الزلل · فان من علم ان الله يعامله بألطافه الخفيه · ويخفف عنه الآلام في كل محنة وبليه · يلزمه ان يجتهد في تحسين اعماله · ويستحيي من ارتكاب الفاحشة في اقواله وافعاله · كالعبد مثلاً اذا كان في خدمة عبدٍ مثله وثم عبيد غيره متلبسين بالطاعة · باذلين الجهد في رضا مولاهم حسب الاستطاعة · وهو بينهم كلٌّ جاني · عاجز متواني · وكلما فعل شيئاً من العصيان · قابله المولى بانواع اللطف والاحسان · فلا جرم ان يستحيي من قباح اعماله · ويسعى في تحسين فعله اسوة امثاله · هذا اذا كان السيد من المخلوقات · فكيف بخالق الارض والسموات · وما الطف قول ابن عطاء الله قدس سره اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه اليك واذا أردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد ما منك اليه فاللائق بالعبد ان يسارع في العمل الصالح قبل فوات زمانه · وان يعرض عن الافعال القبيحة ولو بالانكار بجنانه · فان العمر قليل · والمآل وبيل · والله حسيب جليل · وما احسن قول القائل

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم * وأسمت سرح اللحظ حيث اساموا
وفعلت ما فعل امرؤ بشبابه * فاذا عصارة كل ذاك أثام

* قال ابو طالب المكي العالم عند العلماء من علم الخير فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم ايضاً خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلي به وعلم شر الشرين فامعن بالهرب منه وهذا من دقائق العلوم ولا يخفى ان مدار الاعمال على خلوص النية · وصدق الطوية · فمن اخلص نيته كفاه القليل من العمل · واستوجب عون الله سبحانه في كل امر جلل * يروى ان سالم بن عبد الله كتب الى عمر بن عبد العزيز اعلم ياعمر ان عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت نيته قصر عنه من عون الله بمثل ذلك * وقال بعض

هذا لا ينفعك عند الله تعالى شيئاً ألم يجعل الله تعالى لك عينين ولساناً وشفتين وهداك النجدين اذا كنت لا تعرف فاسأل أهل الذكر فان هذا شأن من لا يعلم والا فأنت تأتي يوم القيامة وغرماؤك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرونك في الجبال وانت تسحب على وجهك لا ينفعك هناك شيء من هذه الاقاويل وان عجزت عن الفهم فمالك وللدخول في هذه الوظيفة دعها

اذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

المثال الثلاثون النقباء النقباء في ابواب الحجاب والولاة وغيرهم على الواحد منهم اذا جهز في طلب واحد السكون في الحركة والرفق بمن يطلبه وحرام عليه ان يزعجه ويرعبه فان هو فعل ذلك فهلك احد في الدار وكثيراً ما اجهضت حامل جنينها وارتجف واحد من الصبيان فهلك فقد اوجب عليه بعض العلماء القصاص واذا كان انما فعل ذلك لحطام الدنيا وان يقال النقيب الفلاني شاطر ناهض ماراح في

السلف رب عمل كبير تصغره النية ورب عمل صغير تعظمه النية اذا عرفت هذا فاعلم ان من اللوازم المهمه · اصلاح العمل عند كل ملمه · وكذلك استصغار الخطب الفاحم · من اهم اللوازم · فان استعظام النوائب · ربما يكون داعياً الى اكبر المصائب · كما اشار اليه أمير المؤمنين على رضي الله عنه بقوله من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها * وقال بعض الحكماء العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بامرين احدهما السرور بما بقي والآخر رجاء الفرج مما نزل به والجاهل يجزع في محنته بامرين أحدهما استعظام ما أتى اليه والآخر تخوفه مما هو اشد منه فاياك من الخوف والضجر · واستعظام ما ينزل من الضرر · فثم من هو اعظم خطراً · واكثر بلآء وضرراً * يروي ان عروة بن الزبير ابتلي بقرحة في ساقه فبلغت الى نشر ساقه في الموضع الصحيح فقال له الاطباء ألا نسقيك مرقداً فلا تحس بما نصنع فقال لا ولكن شأنكم بها فنشروا الساق حتى حسموها بالنار فما حرك عضواً ولم يزد على ان قال حسّ فلما رآى القدم بيد بعضهم قال أما ان الله يعلم اني لم امش بها الى معصيته قط ثم قال ياغلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقابر المسلمين فذكرت للوليد هذه الواقعة فبينا هو يسمعها اذ دخل عليه رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ضرره قال بت ليلة في بطن وادٍ لا أعلم على وجه الارض عبسياً يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل اذهب ما كان لي من مال واهل وولد الا صبياً صغيراً وبعيراً صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لا حبسه فما جاوزت الا ورأس الولد في بطن الذئب قد اكله فتركته ولحقت البعير فاستدار فرمحني رمحة عظيمة حطم بها وجهي واذهب عيني فاصبحت لا ذا مالٍ ولا ذا اهلٍ ولا ذا ولدٍ ولا ذا بدنٍ فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس من هو اعظم بلآء منه · فانظر الى هذه الموعظة · وتأمل بعين الاعتبار هذه الحكاية الموقظة · ليحصل لك من الرضا والاذعان · ما يرجى لك فيه السلوة من جميع الاحزان * واما الجزء السادس وهو ترقب الفرج

شغل الا وقضاه فذاك اقبح واشنع بل عليه الرفق ذاهباً وآيباً واذا عاد وعلم الحال ترفق في انهائه بحيث لا يزداد الامر شدة ولا الامير حدة * المثال الحادي والثلاثون الوالي وكان هذا الاسم قديماً لا يسمى به الا نائب السلطان وهو الآن اسم لمن اليه امر اهل الجرائم من اللصوص والخمارين وغيرهم ومن حقه الفحص عن المنكرات من الخمر والحشيش ونحو ذلك وسد الذريعة فيه والستر على من ستره الله تعالى من ارباب المعاصي واقالة ذوي الهيئات عثراتهم وليس له ان يتجسس على الناس ويبحث عما هم فيه من منكر ولا كبس بيوتهم بمجرد القال والقيل قال تعالى ولا تجسسوا وثبت في صحيح مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا قال العلماء اراد بالظن سوء الظن وقيل لابن مسعود رضى الله تعالى عنه هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به اخرجه ابو داود وغيره وعن معاوية

من ساعة الى ساعة فانه النعيم المقيم · ومحط الاجر العظيم · كما ورد في الحديث الشريف انتظار الفرج بالصبر عباده · ومن لوازمه ترك الحسرات والتيقظ في الحركات · ويلزم الاول نفي الخواطر · وتصفية الضمائر · ويلزم الثاني قوة الفكر · واجتماع السر · اما اللازم الاول وهو ترك الحسرات فينبغي لكل ذي عقل سليم · ان يتجنب هذا المورد الوخيم · فان الحسرات كثيرة الغوائل · وليس فيها جدوى ولا طائل · اذ لا يخلو اما ان تكون على ما فات · أو لتعذر ماهو آت · اما الاول فالحسرة لا تؤثر في رجوعه · واما الثاني فلا يعلم وقوعه او عدم وقوعه · فلا يجد الحاسر حينئذ الاّ الاسف المضنى · والاشتغال فيما لا يعني · قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقيل لبعض الحكماء ما الراحة فقال قلة تمنيك · ورضاك بما يكفيك · وتركك مالا يعنيك * وقال بعض العقلاء من طالت حسراته · كثرت عثراته · ومن وقف مع القدره · سلم من الحسره * وانما قلنا ان ترك الحسرات يلزمه نفي الخواطر · وتصفية الضمائر · فان من وفقه الله الى ترك الحسرات : بسبب ايقانه بورود الفرج من جميع الجهات · فقد خلص من الكدورات الموبقه · والخواطر المقلقه · فكان صافي السريره · ذا عينٍ قريره · سالمًا من الكدر · آمنًا من كل ضرر * واعلم ان ما يقع في القلب من عمل الخير فهو الهام وما يقع من عمل الشر فهو وسواس وما كان من تدبير الامور وترجيها فهو أمل وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصرف احوالها فهو همّ وما كان من العادات ونوازع الشهوات فهو لمم وكل ذلك يسمى خواطر لانه خطور همة ونفس · او خطور عدوّ بحدس · او خطرات ملك بهمس · عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من طريق مسند ان في القلب لمتين لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدوّ ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير * قال ابو طالب المكى وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الالهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر · فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر

رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك اذا اتبعت عورات المسلمين افسدتهم او كدت تفسدهم اخرجه ابو داود ايضاً فقل لجاهل يخطر له انه يصلح الناس بتتبع عوراتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق البشر وقد قال ان اتبعتها افسدتهم او كدت بل حق على الوالي اذا تيقن ان يبعث سراً رجلاً ماموناً ينهي عن المنكر بقدر ما نهي الله تعالى ولا يزيد على ذلك وما يفعله الولاة من اخراج القوم من بيوتهم وارعابهم وازعاجهم وهتيكتهم كل ذلك من تعدى حدود الله تعالى والظلم القبيح وليس للوالي غير ان يجلدهم فقط بسوط معتدل بين القضيب والعصا لا رطب ولا يابس ويفرق السياط على الاعضاء ويتقى الوجه والمقاتل ولا يتقى الرأس على الصحيح وهو مذهب ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وفيه وجه انه يتقيه وهو مذهب علي رضى الله تعالى عنه وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ولا

وتقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتاً على الخير وعناية من الرب تعالى فينتهي عن ذلك . فعلى العبد ان يعصى الخاطر الاول ويطيع الثاني وقد يتقدم الهام الملك في الامر بالخير. ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبط فيه بالتأخير محنة من الله للعبد وحسداً من العدو يعني الشيطان . فعليه ان يطيع حينئذٍ الخاطر الاول ويعصى الخاطر الثاني انتهى * واللازم الثاني اعني التيقظ في الحركات . فانه من اسلم الحالات . واكمل المقامات لكونه يجمع بين كرامة الترقي . وسلامة التوقي . واما الغبي المغفل فقلما يسلم من شؤم الغفلة . او يخلو من العثور والزحلة . قالت الحكماء من ايقظ نفسه والبسها لباس التحفظ ايس عدوه من كيده * وقطع عنه اطماع الماكرين به * وروى ان كسرى كان اشد الناس تطلعاً الى خفايا الأمور * واعظم الملوك تيقظاً في البحث عن اسرار الصدور . وكان يقول متى غفل الملك عن الفحص على غوامض الاحوال فليس له في الملك الاّ الاسم وسقطت هيبته من القلوب . واول من سلك مسلك التيقظ في الخلفاء وملوك الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى لقد كان من فرط يقظته يتلافى الخطب قبل حلوله . ويعاجل المحذور فيقتلعه من اصوله . فذلت لخلافته الصعاب . واحكم قواعدها باوثق الاسباب . وكان من شدة حرصه على تعرف احوال المسلمين . واقامة قسطاس العدل والدين . يباشر امور الرعية بنفسه في السر والعلن . ويعس بالليل لازاحة اسباب الفساد والفتن . وله في ذلك وقائع مسطوره . واحوال مشهوره . منها ما روى انه خرج منفرداً في ليلة مظلمة فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع صوتاً رابهُ فتسور الحائط ونزل فوجد رجلاً عنده امرأة وخمر فقال ياعدو الله أيسترك الله وأنت على معصيته فقال يا أمير المؤمنين اني قد اخطأت فاقبل توبتي فقال له اني اريد ان اضربك الحد على هذه المعصية فقال الرجل لاتعجل وانصفني انا عصيت الله مرة وأنت عصيته ثلاثاً فان الله تعالى يقول ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا

يلقى على وجهه ولا يمد ولا يجرد عن ثيابه بل عن مقدار ما يدفع وصول الالم ويترك عليه قميص او قميصان ولا يقام حد الخمر في السكر بل يؤخر حتى يفيق فان اقامه في السكر اخطأ ولم يعده اذا أفاق نقله ابو حيان التوحيدي عن القاضي ابي حامد فان سمعت بوال بلغه عن جماعة انهم على منكر فاتى بخيله ورجله وهتك ستراً ناس سترهم الله تعالى ثم ضم الى ذلك اخذ مال منهم يسميه الولاة التأديب والجنايات فاعلم ان صفقته خاسرة ليت شعري الله امره بهذا حتى يعتمده مع خلقه والذي يجب عليه التأديب هو الوالي الذي يأخذ اموال الناس من غير حلها فان ضم الى ذلك ان حد الحامل الفقير ولم يحد المتجوه الغني فقد ضم ظلماً الى ظلم فان زاد واخرج القوم من بيوتهم وهتك حريمهم فقد باء باقبح اثم فان الله تعالى لم يامر بذلك ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ومن الولاة من يتجاوز في الضرب المقادير ويتنوع في ايصال الالم لمن يعاقبه

البيوت من ابوابها وقد تسورت وقال ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها وقد دخلت من غير انس ولا سلمت فقال عمر فهل عندك خير ان عفوت عنك قال بلى يا امير المؤمنين ان عفوت عني فلا اعود الى مثلها فعفا عنه وله وقائع كثيرة مثل هذه تنبئ عن كمال يقظته . وعلو همته ومن كلامه لا تضعوا هممكم فاني لم ار شيأ اقعد بالرجل من سقوط همته . وخمود يقظته * وقال بعض العقلاء ثمرة اليقظة السلامة . وثمرة الغفلة الندامة . وقالت الحكماء من لم يستظهر باليقظة . لم ينتفع بالحفظة . وقالوا من كمال التيقظ والحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان ذليلاً . ولا يغفل عنه وان كان حقيراً . فكم برغوثٍ اسهر فيلاً . ومنع الرقاد ملكا جليلاً . قال الشاعر .

ولا تحقرن عدواً رماك وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر

وانما قلنا ان التيقظ في الحركات يلزمه قوة الفكر . واجتماع السر . فان من كان مترقباً الى الفرج المضمون وقوعه . لا بد ان يكون متيقظاً لماموله . صارفاً همته الى حصوله . فيقوي بذلك فكره . ويجتمع من التلذذ به سره . اما قوة الفكر فلكونه لا يفتر عن توقع ذلك الامر ساعة بعد ساعة واما اجتماع السر فلكونه طيب النفس به مطمئن القلب فيه منشرح الصدر اليه كما قال صلى الله عليه وسلم طيب النفس من النعيم ولا نعيم للممتحن اعظم من توقع الفرج . ولا انشراح لصدره الا من تنشق ذلك الارج . وبالجملة فترقب الفرج من امارات الفلاح . وهو ضامن للنصر وكفيل بالنجاح . كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من احب ان ينصره الله فليصبر وينتظر الفرج من الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم افضل العبادة انتظار الفرج . وقال امير المؤمنين على رضى الله عنه افضل مايعمله الممتحن انتظار الفرج بالصبر وهو كفيل بالنجاح والتوكل لا يخيب خليله وما أحسن قول بعض الادباء كتمان الشكوى زهاده . وانتظار الفرج

بمجرد التهمة والظن أفما علم هذا الفاجر ان ضرب بريء اصعب عند الله تعالى من تخلية غير بريء وبعض من طبع الله تعالى على قلبه من الولاة يامر بالرجل ان يجلد فاذا شرع الجلاد قام الوالي الى الصلاة واطال سمعت ذلك عن بعض الولاة بالقاهرة فيستمر المضروب تحت العصا والمقارع ما دام الوالي في الصلاة فقبحه الله تعالى آلله امره بهذا وأي صلاة هذه * ومن احكام الولاة الفاسدة انه اذا رفع اليهم من ازال بكارة امرأة امروه بزواجها وكذلك اذا احبلها ظناً منهم ان ذلك خير من ضياع الولد بلانسب وهتيكة الزناء وهذا خلاف دين الله تعالى فان ولد الزنا لا يلحق بالزاني ولا يكون ابناً له ولا يرثه فيفعلون حراماً يستمر أبد الآباد وهو جعل ولد الزنا ابناً يرث الزاني ويُصلى عليه الى غير ذلك من احكام الابناء وحكم الله تعالى فيمن ازال بكارة امرأة ان كانت مكرهة انه يجب عليه مهر بكر وارش البكارة هذا هو الصحيح

عباده · فلا تيأس اذا عضك الزمان · فان اليأس من الفرج حرمان · وقال الشاعر ·

توقع صنع ربك كيف ياتي بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا ماناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب

ولنختم هذه الاقوال · بما طرزته ايدي السطور من الامثال · ثم نتبعه بوصية ذات اسجاع مناسبه · مما قالته الادباء · او ابتدعته القريحة الناضبه والله الموفق للصواب · وهو المانح الفاتح اذا انسدت على عبده الابواب * فنقول اهم ما يدفع به المصاب · الثقة بالله الوهاب · وهو المرجو لازالة الغماء · ولادامة النعماء · اذا مسك الضر · فالله يكفيك · واذا شفك السقم · فالله يشفيك · ما النصر المتاح · الامن عند الفتاح · ينصر الله الحزب الاضعف · على العدد المضعف · لا بأس مع فضل الله · ولا يأس من روح الله · الحزم صناعه · والتوكل بضاعه · صدق المناجاة · سبب للنجاة · ما الخلاص · الا بالاخلاص · ولا الامان · الا بالايمان · عليك بصبر القروم البزل · عند الخطوب النزل · الحصيف من يتماسك عند العزا · و يتنسك بالصبر والعزا · الصبر احجي بذي الحجى · وانهى لاولي النهى · الصبر احسن وانجح · وفي ميزان الاجر ارجح · الصبر ستر من الكروب · وعون على الخطوب · الصبر نعم الناصر · ولكل شيء آخر · افضل العده · الصبر عند الشده · من لم يكن على المحنة صبورا · لم يكن على النعمة شكورا · احتمال الاذيه · من كرم السجيه · من أمر ما يذاق البؤس والفقر · وانفع ما يتجرع الغيظ والصبر · من صبر على النكبة كان كمن لم ينكب · ومن سلا عن المسلوب كان كمن لم يسلب · السلوة عند البلوى · الذ من الشكوى · من دان تحصن · ومن صبر تمكن · من صبر وتانى · نال ما يتمنى · هو الدهر وعلاجه الصبر · الصبر مرّ · لا يتجرعه الاحرّ · حسن الصبر · طليعة النصر · عصارة الخرق الضرر · وثمرة الصبر الظفر · من خلع الجزع عند المصاب · كساه الصبر اثواب الثواب · الحزم

وقيل مهر ثيب وارش بكارة وقيل مهر بكر فقط وكل منها وقع للرافعي ترجيحه وتبعه النووي ولكن الاول هو التحقيق واما المطاوعة فلا يجب لها شيء *

المثال الثاني والثلاثون البواب واهل الشام يسمونه المعرف وربما قيل المقدم رجل بباب الوالي يكون بالمرصاد للصوص عليه الفحص عن امرهم ليكف عن الخلق شرهم وعليه مجانبة الهوى والميل ولا باس عندي اذا وقع له تردد وغلب على ظنه انه السارق لما اتهم به انه يعمل الحيلة في تقريره باخذ المال من غير عقوبة ولا داعية الى الاقرار على وجه يوجب القطع فان القطع حق لله تعالى والفحص عنه لاضرورة اليه لبنائه على المسامحة بخلاف المال فهذه غالب وظائف الدولة * المثال الثالث والثلاثون امرآء الدولة عليهم تفقد حال الاجناد وتعليمهم رمي النشاب والمسابقة على الخيل بحيث يعرفون الطعان والضرب والحرب وللاميران يحثهم في المسابقة والمناضلة على الرهن اذا

تجرع الغصه · وتوقع الفرصه · من أتاد سلم · ومن عجل ندم · من ركب العجل · ادرك الزلل · من عدا طوره · اكثر جوره · من قل ا به · كثر شغبه · من طلب الوفاق · ترك النفاق · من لبس الصلف · نزع الشرف · لا تدانَ بحاله · بلغتها بغير آله · ولا تفخرنّ بمرتبه · حللتها بغير منقبه · افضل المراتب · ما ينال بالمناقب · من قدّمه الاتفاق · أخره الاستحقاق · اكفى الاعوان · مسالمة الزمان · خير الانصار · مطاوعة الاقدار · شر الاعداء · مخالفة القضاء · حكم القضاء اسبق · وسهم القدر امرق · اذا حاق القضا · ضاق الفضا · واذا جاء القدر · بطل الحذر · التسليم عين السلامه · والتدبير رأس الندامه · من سلم الى الخالق · امن من المضايق · معارضة العليل طبيبه · توجب تعذيبه · من لم يحتمل بشاعة الدواء · استدام لنفسه الادواء · من ضاقت ساحته · قلت راحته · من نظر في العواقب · سلم من النوائب · من لان عوده كثفت اغصانه · ومن حسن خلقه كثرت اعوانه · من افسد الصديق · عدم التوفيق · من استصلح الاضداد · بلغ المراد · من ترك حزمه · اعان خصمه · عليك بالرفق في الافعال · واياك من الخضوع في الاقوال · الرفق · مفتاح الرزق · الجوع · خير من الخضوع · اذا بقي ما قاتك · فلا تأس على ما فاتك · ربما كسدت اليواقيت · في بعض المواقيت · قد يستزرى بالعقيان · عند اشتباه الالوان · الامر يلين بعد الشده · والسورة تنكسر عند الحده · الجو يظلم ويصحو · والماء يكدر و يصفو · الشمس تغرب وتشرق · والروض يذبل و يورق · من احب نفائس المكاسب · ركب بسابس السباسب · من طلب المحل الاثير · هجر المضجع الوثير · من اراد البيض والصفر · صافح البيض والسمر · من حرص على ارتشاف الثنايا العذاب · صبر على اعتساف ثنايا العذاب · من اراد الامر الخطير · ركب الخطر الكبير · من تنسم الآمال · تسنم الاهوال · من طلب الدرّ · شرب الاجاج المرّ · الشرف · لا ينال بالترف · التهاني · لا يحصل بالتواني · بالشرى · يدرك الارى · بالعنا ·

كان يبعث على عزيمتهم والرهن في ذلك جائز ومن شرط العقد عليه لزمه وان لا يكون على صورة القمار فهو حرام لا يلزم فيه العوض وصورة القمار ان يكون كل واحد منهما لا يخلو عن غنم او غرم وذلك ان يخرج كل واحد من الفارسين دينارا مثلا على ان من سبق منهما اخذ الدينارين جميعاً فهذا حرام الا ان يكون هناك محلل وهو ثالث يسابقهما بفرس كفؤ لفرسيهما على انه ان سبقهما اخذ الدينارين وان سبقاه لم يغرم شيئاً وتصح المسابقة على الفيلة والبغال والحمير في الاصح ولا تصح على الحمام ولا غيره من الطيور ولا يجوز الصراع في الاصح وما يعتاده الامراء في هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال وينبغي ان يقصدوا به تعليم الخيل الاقبال والادبار والكر والفر واما المراهنة في ذلك ان كانت من جانب واحد فهي جائزة ولكن لا يلزم العوض فيها بل هو تبرع ان شاء وفى به وان شاء لم يف وان كان الرهن من جانبين كان قمارا

يحصل الغنى · بالمضض · ينال الغرض · لا يحصل برد العيش الاَّ بحرّ النصب · ولا يصافح راحة الراحة الاَّ من عانق التعب · من اقتحم الامور · لقى المحذور · من ركب اللجه · اتلف المهجه · من بعد مطمعه قرب مصرعه · ليس من القوة · التورط في الهوة · قدّر قبل التقحم · ودبر قبل التندم · رب عطب · تحت طلب · رب منيه · تحت امنيه · اكفف هواك · يطب مثواك · الهوى شركين · والعجب اضر قرين · حق يضر · خير من باطل يسر · الحق اقوى ظهير · والباطل اضعف نصير · من غالب من فوقه قهر · ومن غالب من دونه حقر · من تكلف ما يُعنيه · فاته ما يَعنيه · من سلك الجد امن العثار · ومن اجتنب الخطا سلم من الاخطار · من قلت تجربته خدع · ومن قلت مبالاته صرع · العقل غريزة يزينها التجارب · والجهل صداُ تصقله النوائب · كم مرغوب فيه يسوء ولا يسر · ومرهوب منه ينفع ولا يضر · الطاعة اوفى حرز · والقناعة ابقى عز · التقوى خير الزاد · والدين اقوى عماد · المعروف · حصن من الصروف · ومهلة للحتوف · الاحسان · معقل الانسان · وامان من الاحزان · فالسعيد من اراح قلبه · وارضى ربه · وازال احزانه · بحسن عرف زانه

﴿ ومن الامثال الغير المسجعة ﴾

في الله عوض من كل فائت · كل هم الى فرج · كل بؤس ونعيم زائل · من لم يأس على ما فاته اراح نفسه · من وطن نفسه على امرهان عليه · الايام عوج رواجع · سحابة صيف عن قليل تقشع · عسر المرء مقدّمة اليسر · الصبر مفتاح الفرج · الصبر مطية لا تكبو · حق النازلة ان تطفأ بالصبر · من صبر قدر · من تبصر تصبر · الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر · من صبر على النازلة كان كمن لم ينزل به · من ساغ رنق الصبر لم يحقل · اذا ضافك مكروه فاقره صبراً · بشر نفسك بالظفر بعد الصبر · صبراً وان كان قتراً · الجزع اتعب من الصبر · تضايقى تنفرجى · اذا اشتد

حراماً واما العلاج الذي يتعاناه الشباب فان كان لا يضر بابدانهم ولا يشغلهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة فهو جائز ولا يجوز فيه الزهن وعلى الامير ان سار بالجيش الرفق بهم والمسير على سير اضعفهم وتفقد خيولهم وتقوية قلوبهم ومن قبائح كثير من الامراء انهم لا يوقرون اهل العلم ولا يعرفون لهم حقوقهم وينكرون عليهم ماهم مرتكبون اضعافه وما اقبح الامير اذا كان مرتكباً معصية ووجد فقيها يقال له عنه مثلها ان ينتقصه ويعيبه وماله لا ينظر الى نفسه مع ماخوله الله تعالى من النعم أما علم ان القبيح عند الله تعالى حرام بالنسبة الى كل احد وربما كان عند الفقيه مايستر قبيحه وليس عند الامير وراء ذلك القبيح الا امثاله من القبائح فما يتعين على الامير اذا انهي اليه عن احد من اهل العلم سوء ان لا يصدقه ويحسن الظن بهذه الطائفة فان لحومهم مسمومة وما رأيت اميرًا ينتقص من جانب الفقهاء الا وكانت عاقبته عاقبة سوء فان تيقن على احد

الخناق انقطع · غمرات ثم تنجلين · ربما اتسع الامر الذي ضاق · تطأطا لها تخطك · ما للرجال مع القضاء محاله · لا يحل القضاء الا القضاء · رب هالك بما دبر · رب ما لا يعنيك سيعنيك · ما من طامة الا وفوقها طامة · اذا اشتبه عليك امران خالف اقربهما الى هواك · كل مقدور واقع · لا ينفع حذر من قدر · الهيبة خيبه · الغيث لا يخلو من العيث · ليس كل من طلب يصيب · لا تنم وانت مطلوب · الحرب سجال · ان مع اليوم غدا · رب اكلة منعت اكلات · نهر جرى فيه الماء لا بد ان يعود اليه · لا ترقد في النعمة عن النقمة · وجه الظلم مبرقع بالقبح · لسان الضجر ناطق بالعجز · لكل اجل كتاب · من تجمل تحمل · التثبت قدره · التسليم اسلم ·

﴿ وهذه الوصية الموعود بها · الزاهي روض ادبها ﴾

ثق برب منحك قبل الوجود · وأفاض عليك سجال الفضل والجود · سبحانه يمنح لا لباعث · ويمنع لا لحادث · ويسعد لا لعله · ويفقر لا لقله · بيده البسط والقبض · وبامره الرفع والخفض · يبسط النعم فيوسعها فضلا · ويقبض الارزاق فيقدرها عدلا · قسمة ماتركت صواباً · جزاءً من ربك عطاءً حساباً · صنعه عجيب · وفتحه قريب · وفضله هامى السحاب · ولطفه متصل الاسباب · فالى متى التساهل في حقوقه الواجبه · وم نسيان اللجأ اليه في الشدائد الغالبه · من يُرجى في المضايق والازمات · من يرجع اليه في الملمات · أفى الله شك يختلج القلوب · أثم غير الله يسهل المطلوب · كلا والله لا رب غيره · ولا خير الا خيره · فمن اعتقد فيما عداه نفعاً أو ضراً · فقد خلط بالمعرفة جهلاً · وبالايمان كفرا · فاياك من النظر الى الاغيار · وعليك بصدق اللجأ الى مكور الليل والنهار · فاقبض عليه بيد التوكل لا الجزع · ولا تجنح الا اليه ولو طار القلب بجناح الفزع · فانه سبحانه اوفى وكيل · وفي ايصال الخير لعبده اكفى كفيل · فاضرع اليه لتظفر بالمراد · واقطع مراحك عن الوسائط

منهم سوأ واتضح عنده كالشمس ولن يصير ذلك ان شاء الله تعالى فعلى الامير بعد ذلك ان يتفقد نفسه فان كان هو ايضاً يفعل مثل ذلك الفعل فليعد على نفسه باللائمة ويقول انا اذنبت ذنبين لاني جاهل مرتكب هذا القبيح فكيف اؤاخذ هذا الذي لم يذنب الا ذنباً واحداً وهذا هو القبيح فقد شاركني في ارتكاب هذا الذنب وفارقني في انه عالم وانا جاهل فانا أنحس منه لانني صاحب ذنبين وهو صاحب ذنب واحد وبلغنا ان فقيهاً رفع الى بعض الامراء وهو سكران فأخذ الأمير يجلده والأمير هذا سكران فلما قام الفقيه قال رب اغفرلي وجاءَ الى القاضي وقال أقم عليَّ الحد فان الأمير فاسق لا تصح اقامته للحد فاهلك الله تعالى ذلك الأمير بعد ايام يسيرة · ومن قبائحهم استكثارهم الأرزاق وان قلت على العلماء واستقلالهم الارزاق وان كثرت على انفسهم ورأيت كثيراً منهم يعيبون على بعض الفقهاء ركوب الخيل ولبس

لتحمد المراد · واعلم ان الخرق لا يرفأه الا العمل · وطاعة الله من اعظم الاسباب لبلوغ الامل · فادّ حسب الطاقة ما فرض الله عليك · وتأمّل بعين الاستبصار نعمه التي ساقها اليك · واياك والعصيان · فانه من موجبات الحرمان · واطرح الكبران اردت السلامه · وكذلك الظلم فانه ظلمات يوم القيامه · والظالم ممقوت في جميع احواله · اذ الخلق عيال الله واحب الخلق اليه المحتاط لعياله · فهذه قواطع السعادة فاحذرها كما تحذر السموم · واعلم ان الخير والشر في الدنيا محال ان يدوم · ثم عليك بالشكر اذا كنت في نعمة ورغد · وان كانت الاخرى فأخف الحزن وانتظر الامد · واملك بعد ذلك عنان نفسك حتى تمكنك الفرصه · ولا تَشره الى عمل لا يتم لئلا يعقبك غصةً وأي غصه · بل قابل بالصبر اذاية المؤذين · فالله سبحانه لمن بغى عليه خير الناصرين · ولا تبال بامتداد اوقات البلا · فغيم الغم وشيك الانجلا · ونوائب الدهر اذا توالت تولت · واذا جلت تجلت · واذا جفت اوجفت · واذا امرت مرت · واذا جارت اجارت · واذا اذالت ادالت · واذا اخلت تخلت · هذا والصرف صرفان صرف بلاء وصرف رجاء · واليوم يومان يوم شدةٍ ويوم رخاء · والزمان احوال وادوار · والليالي اغصان وعليها ثمار · ولله تعالى اقدار ترد في اوقاتها · وقضايا تجري الى غاياتها · فالسعيد من ألهم الصبر في مواطن شؤنه · ومنح التثبت في بواطن حركته وسكونه · الى ان ينضب السيل · وتمحى آية الليل · وينقشع السحاب · وياتي ما لم يكن في الحساب · فتنبه ايها الراقد · ولا تعكر بضجرك الموارد · اذ الانسان مصرف مغلوب · ومدبر مربوب · والايام لا تدور بادارتك · والاحكام لا تجري بارادتك · فانقرها اذا امكنت نقر العصافير · ولا ترقبها اذا تعذرت رقبة النواطير · بل أغمض طرفك بعض الغمض · وفوض الامر لمن بيده البسط والقبض · وانظر في الامور الى خواتمها لا الى مباديها · وارم ببصرك الى اعجازها لا الى هواديها · واياك ان تقنط من درك الاحسان · وان طال سقوطك في هوة الهوان ·

الثياب الفاخرة وهذه الطائفة من الامراء يخشى عليها زوال النعمة عن قريب فانها تتبختر في انعم الله تعالى مع الجهل والمعصية وتنقم على خاصة خلقه يسيراً مما هم فيه أفما يخشون ربهم من فوقهم ولو اعتبر واحد منهم رزق اكبر فقيه لوجده دون رزق اقل مملوك عنده فما يستحي هذا الامير المسكين من الله تعالى واذا سلبه الله تعالى نعمته فلم يتعجب ويبكى وما يدري ان واحدة من هذه المصائب تهلكه وتدمره وما احسن ما رأيته منقوشاً على دواة بعض الامراء وهو من نظمي وانا امرت بان يكتب

حلفت من يكتب بي
بالله رب العالم ·
ان لا يمد مدة
تؤلم قلب عالم

ومن قبائحهم ما يذهبونه من الذهب في الاطرزة العريضة والمناطق وغيرها من انواع الزراكش التي حرمها الله تعالى عز وجل وزخرفة البيوت سقوفها وحيطانها بالذهب وقد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ضيق سكة المسلمين وانت اذا اعتبرت

فثمر

فثمر قدر لك جناه لابد ان تجتنيه · ونهر جرى فيه الماء لا بد ان يجري فيه · وآكد ما اوصيك به ان تطرح الافكار · وتسلم للاقدار · فان الافكار تجلب الهموم · وتوهن الجسوم · يستريب منه الصاحب · ويشمت به العدوّ المجانب · ولا تضر بالوسواس الا نفسك · ولا تضعف بالافكار الا حدسك · فتكون قد نصرت الدهر عليك · وجلبت الشر اليك · على انه لا يردّ عليك الفائت الحزن · ولا ينصفك فيما انت عليه الزمن · اذ الدهر احواله معروفه · وسنته مألوفه · فهو لا يؤمن على حال · ولا يفرق بين عاطل ولا حال · على ان الريح لا يرمي الا اطيب الثمر · ولا يعصف الا بالعالى من الشجر · والجواد يكبو ويسبق · والعود يرمي ويحرق · والشمس تغم وتكسف · والبدر يمحق ويخسف · والسعادة لا تدرك · الا بطيب عيش يترك · ولا وصول الى مرقاة العلا · الا بالصبر على عثرات البلا · فاحمل من الصبر ترسا · واتخذ في كل مأتم عرسا · ولا تتبع الهوى الذميم · فانه مرتع وخيم · يسير بك في مضلات الفتن · ويوقعك في مزلات المحن · فلا تجلب لنفسك المشاق · ولا تتكلف بالاضطرار مالا يطاق · واجتهد ان لا تفتح باباً يعييك سده · ولا ترم سهماً يعجزك رده · فان ابتليت بهذا الحال · وأظلم عليك المخرج من الاهوال · فاعلم انها محنة ابتلاك الله بها ليعرفك كمال تقصيرك · ويرشدك الى ضعف تدبيرك · ولست باول سار ضل عن المحجه · ولا ظمآن لاح له سراب فظن انه لجه · وكم من دليل اخطأ الطريق · واضل برأيه الفريق · فارجع حينئذ بكليتك الى العليم الخبير · واغسل قلبك المغشوش عن درن التدبير · ولا تقف في طريق السيل فتردى · ولا في سباق الخيل فتأخذك عكساً وطردا · فايام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه · ومن وقف على طريقه ارداه * فلا تستعظمها كلما علت * ولا تضرع منها ولو اعضلت * فهي لا تبقى على حال * بل هي اسرع من الظل في الانتقال * وكل منتقض حقير * وكل منقض وان طال قصير * والدهر صنائعه في

را يذهب بالذهب في هذه الاغراض الفاسدة تجده قناطير مقنطرة لا يحصيها الا الله تعالى فانه لابد في تحلية منطقة او طراز ونحوه من ذهاب شيء وان قل جداً تأكله النار وهو في الابنية اكثر فاذا ضممت ذلك القليل الى قليل آخر على الاختلاف في البقاع والازمان لم يحص ما ضاع من القناطير المقنطرة من الذهب الا الله تعالى ثم القدر الذي يسلم ولا يضيع يصير عندهم محبوساً اطرزة ومناطق وسلاسل وكبابيش وسروجاً وغير ذلك من المحرمات المختلفة الانواع ولو كان مضروباً سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به ورخصت البضائع وكثرت الاموال ولكنهم احتجروا وفعلوا هذه القبائح ثم يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم ومنا ان ندعو لهم ولو انهم اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا الى دعائنا* وقد طلب الملك المظفر سيف الدين نظر شيخ الاسلام وسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بحضرة الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون وغيرهما من

فجائعه * ومواهبه في نوائبه * ومنايحه في جوائحه * ونوافله في نوازله * واللبانات تلين وتجمح * والمآرب تدنو وتنزح * وكانك بالبساط وقد انطوى * وبالخطب وقد انزوى * فاصبر على كيد الزمان وكده * الى ان يأتي الله بالفتح أو امر من عنده * واياك ان تخضع الى ساقط * ولو احاطت بك السواخط * فركوب الاهوال . اهون من ذل السؤال . وضرب المعاول . اسهل من الخضوع للاراذل . على انك لا تنال منهم اثره . ولا يفيدك الطمع فيهم الا حسره . فالوحشة منهم ايناس . والياس منهم خير اللباس . ومن استجداهم ثقل ظله . وازدرته عيون كانت تعزه وتجله . اللهم أغننا بفضلك عمن سواك . والهمنا الصبر على ابتلائك والشكر على نعماك . اللهم هب لنا عافية كافية . واجعلها علينا واقية باقيه . بجاه ذي الخلق العظيم . والخلق الوسيم . صارف الخطوب وعواديها . وكاشف الكروب ودواعيها . سيدنا المقتفى محمد المصطفى . صلى الله عليه وعلى آله . صلاة ندفع بها كل عدو طغا . وبلغ من مضايقتنا ما ابتغى . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الباب الثالث

فيما ورد من الاخبار المسليه والقصص المجليه

* روي ان ابا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن وذهب يفرّق السبا جاءني جماعة من الصحابة وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلك وليس لك بدٌّ من ذلك فلما رجع استقبلته . ثم انشدت .

امنن علينا رسول الله في كرم	فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على صبية قد عاقها قدر	مفرق شملها في دارها عبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	واذ يريبك ماتبقى وماتذر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها	يا ارجح الناس حلماً حين يختبر

لا

الامراء وحادثه في الخروج الى لقاء العدو من التتار لما دهموا البلاد ووصلوا الى عين جالوت فقال له اخرج وانا أضمن لك على الله تعالى النصر فقال ان المال في خزائني قليل واريد الاقتراض من التجار فقال اذا احضرت أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلي الحرام وضربته على السكة ونفقته في الجيش وقصر عن القيام بكلفتكم انا اسأل لكم الله تعالى في اظهار كنز من الكنوز يكفيكم ويفضل عنكم واما انكم تاخذون اموال المسلمين وتخرجون الى لقاء العدو وعليكم المحرمات من الاطرزة المزركشة والمناطق المحرمة وتطلبون من الله تعالى النصرة فهذا لا سبيل اليه فوافقوه وأخرجوا ماعندهم ففرقه وكفى وخرجوا وانتصروا وانت تفكر واحسب تقديراً كم على وجه الارض من طراز ومنطقة وحلي حرام وكم يكون مبلغه اذا اجتمع وضرب نقداً يتعامل به المسلمون وقال مرة بعض الامراء وقد حكيت له كثرة ما كان

لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فانا معشرٌ هدر
انا لنشكر للنعماء اذا كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
ياخير من مرحت كمتُ الجياد به	عندالهياج اذاما استوقد الشرر
انا نؤمّل عفواً منك تلبسه	هذي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما انت واهبه	يوم القيمة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله فاطلقهم * يحكى انه لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفتخر فيها ويعدد مآثر ابيه واهله واولها

مدمن الاغضاء موصول	ومديم العتب مملول
واخو الوجهين حيث بقي	بهواه فهو مدخول
في بنات الروم لي سكن	وجهها للشمس اكليل
عتبت والعتب من سكن	فيه تكثيرٌ وتقليل
اقصري عما لهجت به	ففراغي عنك مشغول
انا من يعرفن نسبته	سلفي الغرّ البهاليل
مصعب جدي نقيب بني	هاشم والامر مجهول
وابي من لا كفاء له	من يساوي مجده قولوا
ملكٌ تجتاح صولته	ونداه الدهر مبذول

وهي طويلة فعارضه محمد بن يزيد الاموي الحصني وهو رجل من ولد مسلمة بن عبد الملك بقصيدة أفرط في السب فيها وتجاوز الحد في قبح الردّ واولها * * *

لا يرعك القال والقيل	كلما بلغت تهويل
ما هوى لي حيث اعرفه	لهوى غيرك موصول
أين بي عنك الى بدل	ابديلٌ عنك مقبول
حمليني كل لائمةٍ	كلما حملت محمول

عنه يقطعه للاجناد وكذلك من بعده من خلفاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وخلفاء بني امية وما كان عددعساكرهم التي تضيق الارض دونها فقال اذا كان عسكرهم هذا القدر العظيم واقطاعاتهم هذه الاقطاعات فمن اين كانوا يجدون المال الذي يكفيهم والبلاد البلاد ماتغيرت فقلت من هذه الاطرزة والحلي المحرم والخيول المسومة قال وكيف قلت ما كانوا يعملون هذه الحلي ولا يشترون الفرس بمائة الف درهم والمملوك بخمسين الف درهم ولا ينتهون في الخيلاء الى معشار ما انتهيتم اليه فقال صدقت وقد سمعت ان واحداً منهم خرج مرة الى الصيد فاقتنص هو ومماليكه من بنات اهل البر مايزيد على سبعين بنتاً حراماً فاذا فعل واحد منهم هذا الفعل وتنوع في الفسق بالغلمان والخمور والبراطيل ونحو ذلك ثم سلبه الله تعالى النعمة وسلط عليه اقل الاعداء في أيسر وقت لا يتعجب بل يذوق بأس الله تعالى اذا نزل بساحته * ومن

احكمي ما شئت واحتكمي | فحرامي لك تحليل
والذي ارجو النجاة به | ما لقلبي عنك تحويل
ما فراغي عنك مشتغل | بل فراغي عنك مشغول

الى ان يقول فيها

يا ابن بنت النار موقدها | ما لحاديه سراويل
اي مجدٍ لك ترفعه | او نسيب لك بهلول

وهي طويلة فلما ولى عبدالله بن طاهر مصر ورد اليه تدبير الشام وعلم الحصني انه لم يفلت منه وان هرب فثبت في موضعه مسلماً وأحرز حرمه وترك امواله وفتح باب الحصن يتوقع القتل . فلما كان في السحر لم يشعر الاّ وعبد الله بباب الحصن متنكراً ومعه خمسة من خواص غلمانه وقد فارق عسكره فلما رآه قال له ما حملك على ان فتحت باب الحصن ولم تنج من عبدالله بن طاهر مع ما في نفسه عليك مما بلغه عنك قال ان الذي قلت لم يذهب عليّ ولكني تأملت امري وعلمت اني قد اخطأتُ معه خطيئةً حملني عليها نزق الشباب وغرّة الحداثة واني ان هربت منه لم افته فباعدت بالحرم واستسلمت بنفسي وكلما املك فانا اهل بيتٍ قد اشرع فينا القتل ولي بمن مضى من اهلي اسوة وأنا اثق بان الرجل اذا قتلني واخذ مالي شفي غيظه ولم يتجاوز الى الحرم ولا يوجب جرمي له اكثر مما بذلته له قال فوالله ما اجابه عبدالله الاّ بدموعه تجري على لحيته ثم قال أنا عبدالله ابن طاهر وقد آمن الله روعك وحقن دمك وصان حرمك وعفا عن ذنبك وما تعجلنا اليك قبل هجوم العسكر الا لئلا يخالط عفونا عنك روعة فبكى الحصني وقام فقبل يده فضمه عبد الله اليه وادناه ثم قال اما فلا بد من عتاب يا اخي جعلني الله فداك اني قلت شعراً في قومي ولم أطعن فيه على نسبك ولا ادعيت فضلاً عليك فما الذي حملك على ما فعلت فقال ايها الامير قد عفوت فاجعله العفو الذي لا يخالطه تثريب ولا يكدر صفوه تأنيب قال قد فعلت فقم بنا ندخل منزلك حتى توجب علينا ذماماً بالضيافة

فقام

قبائجهم ركوبهم والجنائب تقاد بين ايديهم مسرجة غير مركوبة ومعهم مع ذلك المحتاج ماشياً ولا يركبونه وانما يمشون بالجنائب للتزين لا للحاجة روى ابو داود من حديث سعيد بن ابي هند عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين فاما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج احدكم بخيتيات معه قد اسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويمر باخيه وقد انقطع فلا يحمله واما بيوت الشياطين فلم ارها فقال سعيد لا اراها الا هذه الاقفاص التي تستر بالديباج قلت الاقفاص المستورة بالديباج كالمحفة والمحاير وغيرها مما يتعاناه اهل الثروة وهذا فيمن قاد الجنائب للخيلاء اما من يقودها ليحمل ضعيفاً يراه في الطريق فهو حسن وكذلك اذا قادها في الجهاد خشية ان فرسه تعجز * ومنها ان الجندي يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل في الحرب كافراً فلا يعطونه سلبه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد اعطاه اياه حيث قال

فقام مسروراً وادخله الى منزله فاقام عنده الى العصر ثم دعا بدواةٍ وكتب له بهبة خراجه عن ثلاث سنين ومبلغ ذلك في كل سنة مائة وعشرون الف درهم ثم ودّعه ورحل * يحكى انه لما نكب ابو الحسن بن الفرات أبا علي ابن مقلة في وزارته الثانية وضاق به الحال كتب الى زنجي كاتب ابن الفرات رقعة طويلة الشرح ، اولها

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم | ابن لي أم القرطاس اصبح غاليا
فما كان لو سايلتنا كيف حالنا | وقد دهمتنا نكبة هي ما هيا
صديقك من راعاك عند شديدةٍ | وكلٌّ تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوي لا صديقي فربما | تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبه فيه لمودة قديمة كانت بينهما وانفذ اليه رقعةً للوزير يسأله عرضها عليه في وقت خلوةٍ وكانت الرقعة أقصرت ايد الله الوزير عن الاستعطاف والشكوى . حتى تناهت بي المحنة والبلوى . في النفس والمال . والجسم والحال . الى ما فيه شفاء المنتقم . وتقويم المجترم . وحتى افضت الى الحيرة والتبلد . وعيالي الى التهلكة والتلدد . وما أقول ان حالاً أتاها الوزير في امري الاّ بحقٍ واجب . وظنٍ صادق غير كاذب . الا ان القدرة تذهب الحفيظة . والاعتراف . يزيل الاقتراف . والمعروف يؤثره اهل الفضل والدين . والاحسان الى المسيء من افعال المتقين . وعلى كل حال فلي ذمام وحرمه . وتاميل وخدمه . ان كانت الاساءة تضيعها . فرعاية الوزير تحفظها . فان رأى الوزير انه يلحظ عبده بعين رأفته . وينعم باحياء بهجته . وتخليصها من العذاب الشديد . والجهد الجهيد . ويجعل له من معروفه نصيباً . ومن البلوى فرجاً قريبا . فعل ان شاء الله تعالى قال زنجي فاقامت الرقعة عندي اياماً لا اتمكن من عرضها الى ان خلا بي ابن الفرات لامر يطلب تحريره مني فاغتنمت الفرصة وعرضت عليه القصد بعد ما قدمت لديه ما حضرني من الكلام في الاستعطاف . واعلمته بما بيني وبين ابن مقلة من الائتلاف .

من قتل قتيلا فله سلبه فيمنعونه ما اعطاه سيد الاولين والآخرين صلى الله تعالى عليه وسلم ويفترون بذلك عزائم الجند فان الجندي اذا عرف انه يخاطر بنفسه ولا ينصف فترت عزيمته وحق عليهم ان يعطوه سلب المقتول وهو ثياب القتيل ودرعه وسلاحه ومركوبه وسرجه ولجامه وكذا سواره ومنطقته وخاتمه وما معه من النفقة ومن جنيب يقاد معه على الصحيح وانما يستحق السلب من ركب الخطر لكفاية شر كافر في حال الحرب فلو رمى من حصن او من الصف او قتل نائماً او اسيراً او قتله بعد انهزام الكفار فلا سلب له ولو لم يقتله ولكن اسره او قطع يديه او رجليه استحق سلبه على الجديد وخالف فيه الشيخ الامام * المثال الرابع والثلاثون الاجناد فمن حق الله سبحانه وتعالى عليهم وشكر نعمته اللطف بالفلاحين فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندي فلاحاً فاذا كان لا يشكر نعمة الله تعالى على ان رفعه على درجة الفلاح فلا اقل

فلما قرأها قال والله يا ابا عبد الله لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي واهلي ومالي ولقد كنت ادعو في حبسي بأن لا يمكنني الله منه خوفاً مما لعلي كنت اعامله به لو حصل في يدي والآن فوحق محمد وآله عليهم السلام لا اجري على ابن مقلة مكروهاً قال ولما كان في غدٍ انفذ من انتزعه من الحبس ثم ولاه اعمال فارس * يحكى ان علي بن زيد كان يكتب للعباس بن المامون فغضب عليه واخذ جميع ما يملكه حتى لم يبق له الا برذون فكان يرسله في اول النهار الى الكراء ليكسب ما يعلفه وما ينفق عليه وعلى غلامه فاتفق في بعض الايام ان البرذون لم يكسب شيأ فبات هو وغلامه طاويين وناله من الغد مثل ذلك فقال له الغلام يا مولاي نحن نصبر ولكن الشان في الدابة قال يا بني فنعمل ماذا قال فانظر في امرك فنظر فاذا فراشه حصير خلق ومخدته لبنتان ومطهرته خزف ولم يجد غير منديل خلق فقال للغلام يا بني بع هذا المنديل واشتر علفاً للدابة فان فضل شئ فخذ لنا بدرهم لحماً واشوه فقد قرمت الى اللحم فمضى الغلام وفي الدار شاهمرج فلم يشعر الا بعصفور قد سقط في المطهرة التي فيها الماء عطشاً فبادره الشاهمرج فاخذه وابتلعه فلما صار العصفور في حوصلته نشر جناحه وصاح ونشط قال علي فبكيت ورفعت رأسي الى السماء وقلت اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ورزقته ففرج عني قال فما رددت طرفي حتى دق الباب واذا بابراهيم بن نوح وكيل العباس دخل علي فقال الامير يقرأ عليك السلام وقد اصطبح في هذا اليوم وذكرك وامر لك بخمسمائة دينار واخرج الكيس فوضعه بين يدي فبكيت وحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم اخبرته بقصتي واطفته داري فتوجع لي وانصرف فلم يلبث ان عاد وقال صرت الى الامير وحدثته حديثك فاغتم وامر لك بخمسمائة دينار اخرى وهو يقول لك انفق هذه الى ان يصنع الله تعالى وعاد الغلام فحدثته الحديث وفرج الله عني وما زال لطفه يتعاهدني بعد ذلك * يحكى ان سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة وجه محمد بن يزيد الى العراق فاطلق اهل الدياس

من ان يكفي الفلاح شره وظلمه وعليهم مصابرة العدو اذا التقى الجمعان ولا ينهزم الجمع الا عن اكثر من مثليه بماله وقع كانهزام مائة عن مائتين وخمسين واما انهزامه عن مثليه كعشرة عن عشرين فلا يجوز الا ان ينصرف متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة يستنجد بها واذا طلب الكافر المبارزة استحب لمن جرب نفسه الخروج اليه باذن امير الجيش وعليهم تادية الامانة فيما حازوه من الغنائم وامتثال امر الامير فيما لم يخالف الشرع والتعاون والتناصر واجتماع الكلمة * المثال الخامس والثلاثون امراء العرب في هذا الزمان وهم الذين يظعنون وينزلون وقد انعم الله تعالى عليهم بالارزاق الوافرة والاقطاعات الهائلة ليرفعوا اذاهم عن المسلمين * ومن قبائحهم اذا قطع السلطان اقطاع واحد منهم تسلط على قطع الطرقات واذية من لم يؤذه واخذ مال من لم يظلمه ولا يتوقفون في سفك الدماء لاجل هذا الغرض وبذلك يقابلهم الله عز وجل فلو انهم صبروا

الذين سجنهم الحجاج وضيق على كاتبه يزيد بن ابي مسلم ثم لما مات سليمان وعمر بن عبد العزيز وولي يزيد بن عبد الملك الخلافة استعمل يزيد بن ابي مسلم على افريقية وكان اذ ذاك واليها محمد بن يزيد فظفر به واحضره بين يديه في شهر رمضان عند الغروب فقال يزيد أما والله لطالما سألت الله ان يمكنني منك بغير عقد ولا عهد فقال محمد وانا والله قد سألت الله ان يجيرني منك ويعيذني قال يزيد وكان في يده عنقود عنب فوالله ما أجارك ولا اعاذك والله لا آكل حبة عنب من هذا حتى اقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنب من يده وتقدم ليصلي وكان اهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما ركع يزيد ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد اذهب حيث شئت * يروي ان محمد بن القاسم وزير القاهر قبض على ابي طاهر محمد الكاتب وابنه معه فحبسهما في حجرة ضيقة ووكل عليهما جماعة يعذبونهما على مال المصادرة وطال الحال فاراد ابو طاهر تخفيف العذاب عنه فارسل الى احد اصحابه لينفذ اليه مبلغاً يدفعه للموكلين به ففعل ثم كلم الموكلين واراد دفع المال اليهم فامتنعوا من الاخذ فسألهم عن السبب فقالوا ان الوزير عزم هذه الليلة على قتلكما ولا يسوغ لنا ان نأخذ منكما شيئاً وانتم على هذا الحال فاضطرب ابو طاهر وتغيرت حركاته وكان يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس تطهر ولم يفطر فصلى المغرب ثم اقبل على الصلاة والدعاء الى ان صلى العشاء الآخرة ثم دعا ابنه وقال اجلس يابني جاثياً على ركبتيك ففعل وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا رب ان محمد بن القاسم قد ظلمني وحبسني على ما ترى وأنا بين يديك قد استعديت اليك وأنت أحكم الحاكمين فاحكم بيننا لا يزيد عليها ثم صاح بها الى ان ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء واستغاثة الى ان مضى ربع الليل فوالله ما قطعها حتى سمعنا فتح الباب واذا بسابور خادم القاهر ومعه جماعة وبايديهم الشموع فقال أين أبو طاهر فقال ها أنا ذا فقال اين ولدك فقال هو ذا فقال انصرفا الى منزلكما فخرجنا واذا هو قد قبض على محمد بن القاسم

واتقوا الله تعالى لكان خيرا لهم ومن اعظمهم جرماً عرب الحجاز وعبيد عربها ربما اعتقد بعضهم حل اموال الحجاج وسفك دم امرئ مسلم حاج على درهم ولا يخفى ما في ذلك من الجراءة على الله تعالى وكثير من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعي وانما ياخذونها باليد وربما كانت في عصمة واحد فينزل عليها امير غيره او استاذن اباها واخذها من زوجها فهات قل لي اي ولد حلال ينتج من هذه لاجرم انهم لا يلدون الا فاجراً * ومن قبائحهم انهم لا يورثون البنات ولا يمنعون الزنا في الجواري بل جواريهم يتظاهرون بالزنا مع عبيدهم وكل ذلك من الموبقات العظائم * المثال السادس والثلاثون القاضي وقد استوعبت كتب الفقه ما يتعين له وعليه وخص جماعة من الائمة كتاب القضاء بالتصنيف ونرى ان نخص هذا المكان بالتنبيه على الهدية فنقول قبول الهدايا من اقبح ما يرتكبه القضاة فانسد بابها بالكلية وقد علم ان مذهب الشافعي رضى الله تعالى

وحدده فاخذه الى دار القاهر وانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة ايام ومات وفرج الله تعالى بلطفه * يحكى ان الرشيد قال لبعض خدمه اذا كان الليل فاذهب الى الحجرة الفلانية فافتحها وخذ من رأيت بها فأت به الى موضع من الصحراء فترى فيه قليباً محفوراً فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب قال فجاء الي الحجرة ففتحها فاذا فيها غلام كالبدر حسناً وبهجة فجذبه جذباً عنيفاً واخذه لذلك الموضع فقال له اتق الله فيّ فاني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله ان تلقى جدي بدمي فلم يلتفت اليه فلما تحقق الفتى التلف قال يا هذا انك على فعل ما لم تفعل اقدر منك على رد ما فعلت فدعني اصلي ركعتين وامض ما امرت به فقال له شانك وما تريد فقام الفتى فصلى ركعتين ثم رفع طرفه الى السماء وقال يا خفي اللطف أغثني في وقتي هذا والطف بي بلطفك الخفي فما استتم دعاءه حتى هبت ريح باردة وغبرة فاشتغل كل بنفسه ثم سكنت الريح والغبرة فطلبا الفتى فلم يجداه ووجدا قيوده مرمية فرجعا الى هارون خائبين فلما دخلا عليه قال لهم ما فعلتم فقال الحاجب يا امير المؤمنين الصدق أولى ما اتبع ومثلنا لا يجترئ ان يكذب على امير المؤمنين وانه كان من الخبر كذا وكذا فقال الرشيد والله لقد تداركه الخفي اللطيف بلطفه الخفي والله لاجعلنها من مقدمات دعائي امضيا لشانكما واكتما ما جرى * يحكى ان المتوكل كان يميل الى ابي الحسن احمد بن محمد المدبر ويحبه فخرج المتوكل في بعض الايام يتنزه بالمحمدية فخلا به الكتاب واحكموا القصة على ابي الحسن وكان من اكبر الواشين عليه موسى بن عبد الملك ثم احضر اليهم وهم مجتمعون فقالوا له ان أمير المؤمنين قد امر ان تخرج الى الرقة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين قال فما برحوا حتى وكلوا بي جماعة واخرجوني تلك الساعة فخرجت وأنا في حالة الموت عندي احسن منها وحثوا بي السير فلما قاربت الرقة ادركنا الليل واذا باعرابي ومعه ابل وهو يحدو ويقول

كم مرة حفت بك المكاره ... خار لك الله وانت كاره

فسررت

عنه انه لا يجوز له ان يقبل الهدية ممن لم تكن له عادة ان يهاديه قبل ولايته القضاء ولا ممن كانت له عادة ما دامت له حكومة والمذاهب في المسئلة معروفة وانا اعتقد انه يحرم على القاضي قبول هدية من يهدي للقاضي في العرف ليستميل خاطره لقضاء اربه وذلك يشمل كل من كان هو دون القاضي وممن هو مثله ممن قد يحتاج الى القاضي وكثيراً ممن هو فوقه ويخرج بعض من هو فوق القاضي كالملوك الذين يصل الى القاضي انعامهم ولا يقصدون بذلك استمالة خاطره الى قضاء حوائجهم عنده فان حوائجهم عنده ان كان ممن يراعيهم لا يحتاج الى الهدايا لما لهم من الجاه والا فلا تفيد الهدية فاقول يحرم قبول هدية القسم الاول سواء كانت له عادة قبل القضاء ام لم تكن وسواء ايضاً كانت له حكومة ام لم تكن ويجوز قبول هدية القسم الثاني بشرطين احدهما ان يجد القاضي من نفسه ان حاله لم يتغير في التصميم على الحق وانه قبل

فسررت لحسن الفأل ووصلت الى الرقة واقمت بها وانا اتوقع القتل فما مكثت اياماً حتى ورد عليّ كتاب امير المؤمنين بالخروج الى الشام للتعديل واجري على مائتي الف درهم ويذكر ان هذا الذي جرى على من موسى وقد أبعده وسلب نعمته وانه رآني اهلاً لهذه الخدمة العظيمة فحمدت الله تعالى وخرجت فرأيت كل ما احب حتى لو بذلت لي العراق باسرها على ان افارق تلك الناحية لما سمحت نفسي بذلك * يحكى ان عبد الله بن يزداد لما تقلد الوزارة ظلم ابا ايوب واخذ منه ما اخذه فجاءه احمد بن ابي الاصبع ليسليه وكان صديقاً له فلما دخل عليه رآه على حصير الصلاة وفي المحراب قصة معلقة فجلس يسهل عليه الأمر فقال لست اهتم بذلك لاني رفعت منه قصة الى الله تعالى اذ أعجزني المخلوقون وارجو ان يكون امره قريباً قال فكاد الضحك يغلبني وانصرفت فوالله ما مضت مدة يسيرة حتى صرف ابن يزداد من الوزارة وحصل لابي ايوب الفرج * وقد روى مثل ذلك ابو الحسن التنوخي وذلك ان ابا الفرج محمد بن العباس لما ولي الوزارة اظهر التشزن على الناس وظلم كثيراً من شيوخ العمال وكان ممن ظلمه ابو الحسن التنوخي فانه اخذ منه ضيعة له بالاهواز واخرجها عن يده وكذلك ابو النصر الواسطي احد من كان يتصرف في نواحي الاهواز فانه ادخل يده في ضياعه فتظلم اليه فلم ينصفه قال ابو الحسن فلما كان بعد ايام دخلت الى المشهد بمقابر قريش فزرت قبر موسى بن جعفر رضى الله عنهما وعدلت الى موضع الصلاة لاصلي فاذا بقصة بخط ابي نصر قد كتبها الى موسى بن جعفر يتظلم فيها من محمد بن العباس ويشرح فيها امره ويسأل الله تعالى فيها بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وبنيها واحداً بعد واحد وهو يسميهم الى محمد المنتظر رضى الله عنهم بان يأخذ حقه من محمد بن العباس ويستخلص له ضيعته قال فلما قرأت القصه كاد يغلبني الضحك اذ كانت القصة مكتوبة لرجل ميت وقد علقها عند رأسه ثم انصرفت ورحل محمد ابن العباس الى الاهواز للنظر في الاموال وتقرير الاعمال فلما صار بالمأمونية

الهدية كهو بعدها وهذا يتأتى في هدايا الملوك ولا يتأتى في غيرهم والثاني ان تجري عادة ذلك الملك بفعل هذا مع من هو في منصب هذا القاضي وانما خصصت فصل الهدية بباب القضاء وان كانت تشمل كل ولي امر لانها من القاضي اقبح ومن محاسن الشيخ الامام رحمه الله تعالى كتاب فصل المقال في هدايا العمال يشتمل على فوائد نفيسة فلينظره من شاء ومما يتعين على القاضي تفهيم الملك الحكم الشرعي فيما ينهي اليه من الوقائع ومناضلته عنده عنها وافهامه ان ذلك هو الدين الذي ان حاد عنه هلك وان اعتمده نجا وان ينظر في امر الاوقاف والمستحقين من المحتاجين وغيرهم وهذا يخص قاضي الشافعية في بلادنا البلاد الاسلامية لانه كبير القضاة وله النظر العام في الاوقاف وغيرها فهو بذلك امس ومما هونت بعض القضاة فيه الامر الحكم بالصحة فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك والحيازة وكان الشيخ

قرية من جبال الاهواز ورد من بغداد كتاب الى بكتكين وكان يتقلد الحرب والخراج بكور الاهواز واعمالها بقبض محمد بن العباس فقبض عليه وقيده ومضى ابو نصر الى ضيعته فادخل يده فيها وكفى ذلك الامر واستمرت محنة ابي الحسن ولم تعد ضيعته عليه حتى انكر تلك الحالة فصح لابي نصر ما لم يصح لابي الحسن من تعجيل الفرج مع ان المحنتين واحدة * حكى ابو علي بن مقلة لما عاد من فارس وزيرا قال من اظرف ما اتفق لي في نكبتي التي ادتني الى الوزارة انني اصبحت يوماً وانا محبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت امير فارس في اسوأ حال من ضيق الصدر اذ دخل علينا كاتب ياقوت يسأل عن حالي ويتعرف اخباري فقلت له اريد ان تقرئ على الأمير السلام وتقول له قد ضاق صدري واشتهيت ان اشرب على غناء طيب فان جاز ان يسامحنا بذلك سراً فيتخذ به عندنا يداً فقال السمع والطاعة ومضى ثم جاء فقال الأمير يقول لك كرامةً وعزازة فاحضر الطعاما والشراب والمشام وصفا المجلس فاكلنا وشربنا ثم قلت لرجل كان محبوساً عندي تعال حتى نتفاءل باوّل صوت يغنى به فجاءت المغنية وكان اوّل صوت غنته ·

تواعد للبين الخليط لينبتوا   وقالوا لراعي الذود موعدك السبت
ولكنهم باتوا ولم أدر بغتةً   واقطع شيء حين يفجؤك البغت

فطربت من ذلك وقلت فأل مبارك لعل الله سبحانه ان يفرج عنا في يوم السبت ثم انصرفت المغنية ومضى الاسبوع · فلما كان يوم السبت واذا بياقوت قد دخل علينا فارتعنا فقال أيها الوزير الله الله في واقبل يقبل يدي واخذ يهنيني بالوزارة فبهت فاخرج كتاباً قد ورد عليه من القاهر يعلمه ما جرى من قتل المقتدر ومبايعة الناس له بالخلافة وذكر له تقليده اياي الوزارة ويأمره بطاعتي ثم سلم الى كتاباً من القاهر بمثل ذلك يأمرني فيه بالنظر في أمور فارس واستصحاب ما يمكنني من المال والبدر الى حضرته وانه قد استخلف لي الى حين حضوري لديه الكاوذاني فحمدت

الله

الامام رحمه الله تعالى يشدد النكير في ذلك ويذكر للصحة المطلقة عنده اثنين وعشرين شرطاً كون المبيع مثلا طاهراً منتفعاً به مقدوراً على تسليمه مملوكاً للعاقد او لمن يقع العقد له من طرف كمسلم ومرئياً رؤية لا تتقدم علي العقد بزمان يمكن التغيير فيه معلوماً وفي كل واحد من البائع والمشترى كونه بالغاً عاقلاً رشيداً مختاراً غير محجور عليه في تلك السلعة المبيعة وكون الثمن المعين مستجمعاً لشروط المبيع واما الذي في الذمة فالعلم بقدره ووصفه وكون العقد بايجاب وقبول لا يطول الفصل بينهما ولا يقترن به شرط مفسد وان ينقضى الخيار والحال على ذلك والدعوى والانكار وقيام البينة فيما ليس بظاهر وجوده من هذه الاشياء وسؤال الحاكم الحكم وحضور المحكوم علية او وكيله او المنصوب عنه قال فهذه عشرون شرطاً قال والاعذار مختلف فيه ووصيتي لكل قاض ان لا يحكم الا به ولا يحكم بعلمه بل بالبينة وفي اشتراط الحكم

الله تعالى وشكرته واذا الحداد واقف فتقدم لفك قيودي ودخلت الحمام واصلحت من امرى وجمعت مالاً جليلا في ايام يسيرة وقررت امور البلد وتوجهت للحضرة وقد فرج الله عني وحل عقالي * يحكي عن سليمان بن وهب قال لما قبض المتوكل على ايتاخ وابنه ببغداد قبض عليّ وسلمنى الى اسحق بن ابراهيم وقال له هذا عدوي ففصل عظامه هذا كان يلقاني في ايام المعتصم فلا يبدؤني بالسلام وابدؤه لحاجتي اليه فيرد علي كما يرد المولى على عبده وكل شيء فعله ايتاخ من القبائح فعن رأيه قال فاخذني اسحق وقيدني بقيد ثقيل والبسنى جبة صوف وحبسني في كنيف واغلق علي خمسة ابواب فكنت لا اعرف الليل من النهار ولا آنس الا بالخنافس وبنات وردان وكان لا يفتح الباب في اليوم والليلة الا دفعة واحدة يدفع الي فيها خبز شعير وماء حاراً فاقمت على ذلك نحو عشرين يوماً وكنت اتمنى الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي ان اطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي اللهم ان كنت تعلم ان مافعله ايتاخ وغيره من سفك الدماء لي فيه صنع فلا تخلصني مما أنا فيه وان كنت تعلم انه لاصنع لي في ذلك كله ففرج عني فما استممت الدعا حتى سمعت صوت الاقفال تفتح فلم اشك في انه القتل ففتحت الابواب وجيء بالشموع وحملني الفراشون لثقل حديدي الى مجلس اسحق فاذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج والحسن بن مخلد صاحب ديوان الضياع واحمد ابن اسرائيل الكاتب وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرحت في آخر المجلس فشتمنى اسحق اقبح شتم وقال يافاعل ياصانع تعرضني لاستبطاء امير المؤمنين واساة ظنه في والله لا فرق بين لحمك وعظمك وافعل وافعل ثم اخذت الجماعة تواجهني بكل قبيح الا موسى بن عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بيني وبينه فاقبل من بينهم على اسحق وقال ياسيدي تاذن لي في الخلوة لافصل الامر فقال له اسحق افعل فاستدناني فحملت اليه فسارني وقال عزيز عليّ يا اخي

بالعلم خلاف معروف فيما لو باع ملك ابيه على ظن حياته فبان ميتاً فان شرطناه فهي اثنان وعشرون شرطاً للصحة المطلقة قال واما الصحة بالنسبة الى المتداعيين في شيء يتداعيانه كما اذا ادعى احدهما انه غير مرئي وكان الحاكم لا يرى اشتراط الرؤية فيحكم عليه بالصحة مع عدم الرؤية لانه مذهبه ولم يحصل النزاع الا فيه فهذا حكم بصحة مقيدة لا بصحة مطلقة فلا يمنع حاكماً آخر من الحكم بفساده من جهة اخرى واطال الشيخ الامام الكلام في الصحة المطاقة وفيما عدده من الشروط في كتابه المسمى بوقت الصحة في الحكم بالصحة وهو كتاب لم يتممه ومن كلام الشيخ الأمام رحمه الله تعالى في وصية اخرى للقضاة قال فيها بعد ان ساق حديث القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير الحق فهو في النار ما نصه ونقلته من خطه تنبه أيها القاضي لما

حالك وبالله لو كان خلاصك بنصف ما املكه لافتديتك ولكن حالتك قبيحة فالرأي ان تكتب خطاً بالتزام عشرة آلاف الف درهم تؤديها في عشرة اشهر وتترفه عاجلاً مما انت فيه فقلت والله ما اقدر على اداء ربعها الا بعد بيع عقاري كله فقال انا اعلم انك صادق ولكن اطعني في هذا الامر وانا من وراء الحيلة على صلاحك فقبلت قوله وكتبت ما امرني واستحسن الجماعة هذا الفعل مني ثم التفت الى اسحق وقال له ياسيدي هذا رجل قد صار مديون السلطان وسبيله ان يرفه وينتقل من هذا الحال بانزاله في دار واسعة بفرش وخدم ليعتبره الناس فيبيع املاكه ويسترد ودائعه فقال اسحق افعل ذلك الساعة وامكنه من جميع ما التمست ثم امر اسحق باخذ قيوده وادخاله الحمام وخلع عليه اثواباً نفيسة وحوله الى دار حسنة ووكل به الخدم على وجه الاحسان والاجلال قال فتسامع الناس بامري ومضت على ذلك سبعة وعشرون يوماً وقد اعددت الف الف درهم واذا انا بموسى بن عبد الملك قد دخل الي فقمت اليه فقال ابشر فقد ورد كتاب صاحب مصر بمبلغ مالها في هذه السنة فقرأ عبيد الله ذلك على امير المؤمنين فوقع باخراج دفاتر مصر ليعرف آثار العمال فاخرجتها من ديوان الخراج وجعلت سنتك التي توليت بها عمالة مصر مصدرة وافردت بعدها السنين الناقصة فلما قرأ عبيد الله الفصل على المتوكل قال من كان يتولى مصر في هذه السنة الوافرة فقلت سليمان بن وهب فقال ولم لا يرد الى هذا العمل فقلت يا امير المؤمنين واين سليمان بن وهب ذاك مقتول المطالبة قد استصفي وافتقر فقال تزال عنه المطالبة ويعان بمائة الف درهم وترد ضياعه فتقدم عبيد الله لذلك وقد استاذنته في ان اجيئك وابشرك فاذن لي فقم بنا الى الوزير قال فخرج من وقته وانا معه الى الوزير ووقع له بمائة الف درهم معونة ودفع اليه عهد مصر ولم يؤد من المال حبة وفرج الله عنه * حكى المعتضد قال لما وشى اسماعيل بن بلبل بيني وبين الموفق فاوحشه مني حتى حبسني الحبسة المشهورة وكنت اتخوف القتل صباحاً

انت فيه من الاخطار فطب نفساً اذا حكمت بحق بعلم الله تعالى والا فلا واعلم ان الحلال بين وهو الذي تجده منصوصاً عليه في كتاب الله تعالى او سنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم او مجمعاً عليه او عليه دليل جيد غير ذلك من سائر الادلة الراجعة الى الكتاب والسنة بحيث ينشرح صدرك لانه حكم الله تعالى فهذا حكمك به عبادة تثاب عليه وينبغي لك ان تقصد به وجه الله تعالى فلا يكون حكمك به لمخلوق ولا لغرض من اغراض الدنيا فبذلك تكمل العبادة فيه وتنال الأجر من خالقك وان حكمت به لغرض من اغراض الدنيا صح الحكم ولكن لا يكون لك فيه اجر وما سوى هذا فهو على درجات احداها ان تحكم بذلك من غير قصد القربة ولا غرض من الاغراض الدنيوية فهذا خير من القسم الذي قبله الذي قصد به غرض دنيوي ولكنه ايضاً يظهر انه لا أجر فيه لعدم قصد القربة واعلم انا لا نشترط وجود قصد القربة عند الحكم بل يكتفي

ومساء نخرج الموفق الى الجبل فازداد خوفي واشفقت ان يكاتبه اسماعيل بكذب عني فيامر بقتلي فاقبلت على الدعاء والتضرع وكان اسماعيل يتعاهدني كل يوم مستقصياً خبري فدخل علي يوماً وبيدي المصحف فقال ايها الامير اعطني المصحف لاتفاءل لك فاخذ المصحف وفتحه فكان في اول سطر منه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فاسود وجهه واربد ثم خلط الورق ففتح ثانية فخرج ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين فازداد اضطراباً ففتح ثالثة فخرج وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم فوضع المصحف وقال انت الخليفة والله بلا شك فما حق بشارتي فقلت الله الله في دمي أسال الله تعالى ان يبقي امير المؤمنين وما كنت اعتقد ان عاقلاً مثلك يطلق مثل هذا القول بمثل هذا الاتفاق قال فامسك وما زال يلاطفني ويخرجني من حديث ويدخلني في آخر الى ان جرى حديث ما بيني وبينه فاقبل يحلف بالايمان الغليظة انه ماسعى علي بمكروه فصدقته ولم ازل اخاطبه بما تطيب به نفسه خوفاً من ان يسرع الى تدبير في تلفي فما كان باسرع من ان جاء الموفق من الجبل وقد اشتدت علته ومات فاخرجني الغلمان من الحبس وصيروني مكانه وفرج الله عني ومكنني من عدوي اسماعيل وانفذت الحكم فيه * يحكي انه خرج الرشيد في بعض الايام الى الكوفة فرفع اليه ان رجلاً بدمشق من بقايا بني امية له جاه عظيم ومال جسيم واملاك وضياع وحاشية واتباع وانه يخشى منه فتق يتعذر رتقه فعظم ذلك على الرشيد واستدعى منارة وكان عيبة اسراره ومحل اعتباره فقال له اني دعوتك لامر اهمني وقد منعني النوم وقص عليه خبر الاموي وقال اخرج الساعة واضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى امير دمشق وهذه القيود فابدأ بالرجل فان سمع واطاع فقيده وائتني به والا فتوكل انت ومن معك به لئلا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق ليركب في

به في اصل ولاية القضاء لانه قد يشق استحضاره في كل حكم فيكتفي فيه عند الدخول في اوله كما اكتفي بنية المجاهد في اول خروجه الرتبة الثالثة ان يكون الحكم مختلفاً فيه وحصل ما يجوز الاقدام على الحكم به من الادلة الشرعية مع احتمال يمنع انشراح الصدر له الانشراح الكلي فهذا جائز والاجر فيه دون القسم المجمع عليه لان المصلحة في المجمع عليه اتم فالعبادة فيه اكمل وان كان لا تقصير في هذا * الرتبة الرابعة ان تحصل شبهة تمنع من غلبة الظن بان ذلك حكم الله تعالى فلا يحل الحكم * الرتبة الخامسة ان يعتقد انه خلاف حكم الله تعالى فلا يحل الحكم وان كان بعض العلماء قال به * الرتبة السادسة ان يكون مجمعاً على انه ليس بحكم الله تعالى فلا يحل الحكم وهذه المراتب الثلاث عدم الحل فيها مرتب ترتيباً لا يخفى واعلم ان المرتبة الخامسة والسادسة ما اظن احداً يقدم عليها ان شاء الله تعالى والمرتبة الرابعة قد يكون عند قيام الشك ومخالجة الاحتمال قد تسول لك نفسك

جيشه ويقبض عليه وقد اجلتك ستاً لذهابك وستاً لعودك ويوماً لمقامك
وهذا محمل تحمله في شقة اذا قيدته وتقعد انت معه في الشق الآخر ولا
تكل حفظه الى غيرك واذا دخلت داره فتفقدها وجميع مافيها واعرف
قدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً بحرف من حين
وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به قال منارة فخرجت انا والمائة مملوك
وسرنا نطوى المنازل ونصل البكور بالاصائل حتى انتهيت الى دمشق في
اول الليلة السابعة وابواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهر البلد
الى ان فتحت الابواب فدخلت على هيأتي التي اتيت بها الى باب الرجل
وعليه صفف عظيمة وحاشية وسيمة فلم استأذن ودخلت بغير اكتراث
فلما رأى القوم ذلك سالوا بعض من معي فاخبروهم بخبري فنزلت ودخلت
مجلساً فيه قوم جلوس ظننت الرجل فيهم فقاموا الى ورحبوا بي فقلت
أفيكم فلان قالوا نحن اولاده وهو في الحمام قلت فاستعجلوه واشتد خوفي
من ان يتوارى فجعلت اتفقد الحاشية والدار وقد ماجت باهلها موجاً
شديداً الى ان رأيت شيخاً قد اقبل وحوله جماعة كهول واحداث وصبيان
فعلمت انه الرجل فجاء حتى جلس وسلم علي سلاماً خفيفاً وسألني عن امير
المؤمنين فاخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا باطباق فاكهة
فخاطبني خطاب الخليفة وقال تقدم يامنارة فامتنعت فاقبل يا كل ثم
غسل يده ودعا بالطعام فجاؤا بمائدة عظيمة لم ارمثلها الا للخلفاء فقال
ساعدنا يامنارة فامتنعت كذلك فاقبل يا كل مطمئناً حتى فرغ وغسل
يديه واستدعى بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة فصلى الظهر واكثر من
الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من الصلاة اقبل علي وقال
ما اقدمك يامنارة قلت امر لك من امير المؤمنين واخرجت كتاباً فدفعته
اليه فلما فتحه واستتم قرأته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير
فلم اشك بالغدر فلما تكاملوا قال لهم هذا كتاب امير المؤمنين قد امرني
فيه بالمسير اليه ولست اقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن

والشيطان او احد من الناس
الاقدام على الحكم لغرض من
الاغراض ويسهل عليك لانك
لم تجزم بالتحريم فاياك ان تقدم
على الحكم فتدخل في قوله قاض
قضي وهو لا يعلم فاذا كان الذي
قضي بالحق وهو لا يعلم في النار
فالذي قضى بغير الحق وهو لا
يعلم والمقضي به متردد بين الحق
والباطل كيف يكون حاله وفي
هذه المرتبة تجد كثيراً من اخوان
السوء يسوّلون لك الحكم فاياك
ثم اياك واستحضر بقلبك غداً
يوم القيامة اذا انتصب الجبار
لفصل القضاء وجيئ بالنبيين
والشهداء وجيئ بك يا مسكين
وانت كالقمحة بل كالذرة بين
ارجل الناس بل اقل من ذلك
وفي ذلك الموقف رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الذي انت
نائبه وقد بلغك شريعته وجبريل
الذي نزل بها عليه ورسل الله تعالى
وملائكته وانبياؤه والصديقون
والشهداء كالسرج المضيئة في
ذلك المشهد بين يدي الله تعالى
ويسألك الله تعالى بغير واسطة
بينك وبينه لم حكمت في هذا

ورائي من الحرم ثم حلف بايمان غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج
والصدقة والوقف ان اجتمع منهم اثنان في موضع وان ينصرفوا ويدخلوا
بيوتهم ولا يصحبه منهم احد والتفت الي وقال هات يامنارة قيودك
فدعوت بها وقيدته ثم امرت الغلمان الذين معي بحمله حتى حصل في
المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم الق امير البلد ولا
غيره فلما خرجت من البلد اخذ يحادثني بانبساط وكلما مررنا على بستان
مليح او مزارع حسان او غير ذلك يقول هذا انشأته وهذا اشتريته وهذا
لي وهذا لولدي وهذا غرست فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت فاشتد
غيظي منه وقلت ما تعجبت من احد مدة عمري كتعجبي منك فقال ولم
ذاك قلت ألست تعلم ان امير المؤمنين قد اهمه امرك حتى ارسل اليك
من انتزعك من بين اهلك وولدك واخرجك عن جميع مالك وحيداً
متقيداً لاتدري الى ماتصير اليه وانت مع ذلك فارغ القلب مطمئن
الخاطر قليل الفكر تصف بساتينك وضياعك ولا تطلب مني التدبير في
امرك فقال سبحان الله أخطات فراستي فيك يامنارة لاني قدرتك رجلاً
كامل العقل وانك ما حللت هذا المحل من الخلفاء الا بعد ان عرفوك
بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه عقول العوام وكلامهم اما قولك في امير
المؤمنين وازعاجه اياي فاني على ثقة بالله عزوجل الذي بيده ناصية امير المؤمنين
ولا يملك امير المؤمنين لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً الا باذن الله تعالى ومشيئته
على انه لاذنب لي عند امير المؤمنين اخافه واني اعتقد فيه انه اذا تحقق
امري وعلم صلاحي وبراءة ساحتي وان الحسدة رموني عنده بما لست في
طريقه تحرج من اذاي ولم يستحل مني فردني مكرماً او أقامني ببابه معظماً
وان كان سبق في علم الله جل جلاله انه يبدر لي منه بادرة سوء وقد حضر
اجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الانس والجن واهل الارض
والسماء على صرف ذلك ما استطاعوا فلم حينئذ أتعجل المكروه واتسلف الغم
فيما قد فرغ منه وقد كنت احسبك تعرف هذا فاذا قد عرفت مبلغ

الامر ومن بلغك عني هذا ونظرت
يميناً وشمالاً فلم تجد هنالك سلطاناً
ولا اميراً ولا كبيراً ممن سوّل
لك ذلك الحكم ورأيت نفسك
وحيداً ذليلاً حقيراً ونظرت الى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم
الذي ترجو شفاعته وقد حكمت
بغير شريعته كيف يبقى وجهك
معه او كيف يبقى حالك عنده
وسائر الانبياء والرسل والملائكة
واهل ذلك الموقف من الصالحين
ينظرون اليك والله تعالى ينظرك
هل ينفعك ذلك الوقت احد من
اهل الدنيا او مال او جاه او غير
ذلك كلا والله لا ينفع فانظر يا
مسكين هذا الموقف فما علمت
انه ينجيك فيه فلا تستحي بسببه
فيه فافعله وما سوى ذلك كن
منه على حذر ولو طلبه منك
اكبر ملوك الارض بملئها ذهباً وان
قيل لك قد يكون توقفك تركا
للحكم الواجب فقل انما يكون واجباً
اذا ظهر وعند الشك لا واذا دار
الامر بين الترك مع الشك
والاقدام مع الشك كان الترك
اسهل لانه أخف واقل جرأة

فهمك واني آليت ان لا اكلمك بكلمة حتى تفرق بيننا حضرة امير المؤمنين ان شاء الله تعالى ثم اعرض عني فما سمعت منه لفظة بغير القرآن والتسبيح الا بطلب ماء للوضوء اوالشرب اوحاجة تجري مجراها الى ان شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر وقد استقبلني النجب على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني اسرعو منقدمين بالخبر الى الرشيد فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت رحلي ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ماعندك واياك ان تخل منه بلفظة واحدة فسقت الحديث من اوله الي ان انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة فرأيت الغضب يتزايد في وجه الرشيد فلما ذكرت مساءلته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وحاشيته وحلفه لهم وصرفه اياهم ومد رجليه حتى قيدته اسفر وجه الرشيد وما زال يتهلل حتى انتهيت الى ماخاطبني به عند توبيخي اياه لما ركبنا في المحمل قال صدق والله ما هو الا رجل محسود على النعمة بريء الساحة من هذه الوصمة ولعمري لقد بالغنا في أذيته وارعاب اهله وعشيرته فبادر الى نزع قيوده وائتني به قال فخرجت ونزعت قيوده عنه وادخلته الى الرشيد فلما وقع بصره عليه رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه السلام رداً جميلا وامره بالجلوس فجلس فاقبل عليه الرشيد يلاطفه ويساله عن حاله ثم قال انه بلغنا عنك هيئة جميلة وآثار جليلة احببنا ان نراك بجميل صفاتك ونسمع محاسن كلماتك فنعطف بسبب ذلك عليك ونؤدي شكر نعمة الله تعالى علينا بالاحسان اليك فاذكر حاجتك وهي مقضية فاجاب الاموي جواباً رائقاً وشكر ودعا وقال اما حاجتي فما هي الا ان يردني امير المؤمنين الى اهلي وبلدي قال نفعل ذلك ولكن ماتحتاج اليه من امر جاهك ومعاشك فقال عمال امير المؤمنين موصوفون بالانصاف الكامل واحوالي على كمال الاستقامة في ظل عدله الشامل وقد استغنيت عن المسألة بعدله وانما كنت فانا مغمور بفضله فقال

فهذا الذي تيسر ذكره مما اوصيك ايها القاضي * المثال السابع والثلاثون كاتب القاضي ومن حقه ان يعرف مدلولات الالفاظ العرفية واللغوية وان يكون حسن الفهم عن اللافظين من عوام الواقفين والمقرين وغيرهم وان ينبه كل لافظ على ما لعله يشك في ارادته له ولقد ضاع كثير من اوقافنا في مدلولات الفاظ الواقفين ضياعاً منشؤه الشروطيون وقد كثر من الشروطيين يكتبوا في بيع التربة مثلا خلا مافيها من مسجد لله تعالى ومقبرة وملك لاربابه ووقف يذكرون ذلك بعد تحديد القرية ولا يحددون هذا المستثنى فيورث ذلك الجهل بالمبيع قال الشيخ الامام وان كانت تلك المواضع معروفة للمتعاقدين صح البيع والا فيحتمل ان يفسد لان جهالتها تقتضي جهالة الباقي المعقود عليه ويحتمل ان يقال الجملة معلومة فلا تضر جهالة القدر المستثنى قال ولم ارفيه نقلا واما كتابة الشروطيين الصداق في الحرير فمختلف في

له الرشيد انصرف راشداً محفوظاً ولا يكون امر بالشام الا برأيك فاكتب الينا بامر ان عرض لك فودعه الاموي خارجاً ثم اتبعه الرشيد بجائزة سنيه وخلعة بهيه وامر منارة بايصاله الى المجلس الذي اخذه منه مكرماً * يحكي ان ابا العباس بن ثوابة الانباري دخل على الوزير ابي الحسن بن الفرات في محبسه وكان بينهما احقاد وعداوة فطالبه بمال لا يقدر على اداء بعضه وجرى بينهما بسبب ذلك كلام طويل فخرج ابو العباس الى ام موسى وسالها ان تستاذن السادة في انزال المكروه به ويعني بالسادة والدة المقتدر وخالته وخاطف ودستنويه ام ولد المعتضد لانهم كانوا اذ ذاك يدبرون امور الملك لحداثة المقتدر قال ابن الفرات فعاد ابن ثوابة وقال قد اذن لي السادة في جميع ما اريد فعله بك وكان محبسي ضيقاً في حر شديد فامر بكشف البواري حتى صرت في الشمس وقيدني بقيد ثقيل وغلني بغل والبسني جبة صوف قد نقعت في ماء الاكارع واقفل باب الدار وانصرف فاشرفت على التلف وتذكرت ذنوبي فوجدتني قد عوملت بجميع ما عاملت به الناس من المصادرات ونهب المنازل وقبض الضياع وتسليم الناس الى اعدائهم وحبسهم وتقييدهم وهتك حريمهم وافرادهم في الحبوس واقامتهم في الشمس والباسهم جبة الصوف ولم يخطر ببالي انني قد غللت احداً ثم فكرت فرأيت اني كنت امرت الحسين المعروف بالمعلوف وكان عسوفاً بان يغل الترسى كاتب الطائي لمال عليه ثم تندمت بعد ان غل ساعتين فامرت باخذ غله فلما تجاوز الساعتان وانا في الغل تذكرت شيئاً آخر وهو اني كنت كتبت الى بعض عمال المشرق بمطالبة سبكري فكتب الى بالظاظه فامرت بان يغل ثم تحرجت فكتبت ان يحل غله فوصل الكتاب الاول فغل ووصل الكتاب الثاني بعد ساعتين فحل غله فلما ان مضى على اربع ساعات اذا بصوت غلمان مجتازين في الممر الذي فيه محبسي فقال لي الخدم هذا بريد الحرمي وهو ضيعة لك فاستنجده فصحت يا ابا الخير ان لي عليك حقوقاً وقد ترى حالي فالله الله في فرجع من وقته الى السادة

جوازه وافتى النووي رحمه الله تعالى بتحريمه وعزاه الى جماعات من اصحابنا ولكن الاظهر حله لانه لمصلحة النساء وقد كان الشيخ الامام اولا امتنع من كتابة الصداق على الحرير ثم رايته يكتب عليه وهذا آخر الامرين منه والتردد في المسئلة شبيهة باختلاف الاصحاب في الواح الصبيان * المثال الثامن والثلاثون حاجب القاضي ومن حقه الاستئذان على ذوي الحاجات ورفع الامور الى القاضي حسبما ذكره الفقهاء * المثال التاسع والثلاثون نقيب القاضي ومن حقه تنبيه القاضي على الشهود وتنبيه الشهود على القاضي * المثال الاربعون امناء القاضي وعليهم التحفظ في اموال الايتام والغائبين والصحيح عندنا تبعاً للشيخ الامام انه لا يجوز للقاضي اقراض مال اليتيم وعلى الامناء اذا امر القاضي بصرف زكاة اليتيم تاديتها لمن يعينها له مهيأة متيسرة ولا يجوز اخراجها قبل الحول سلفاً ومن احوج ام اليتيم ان تتردد الى اتيانه لاخذ نفقة

وذكر لهم خدمتي في تثبيت دولتهم وافتتاحي لهم البلدان وغير ذلك مما رققهم علي ولم يبرح حتى امروا باطلاقي وادخالي الحمام وتغيير لباسي وترفيهي فجاءني بذلك وقال يقولون لك لن ترى بعدها بؤساً ابداً * حكي سليمان ابن وهب قال كنت انا وابو العباس احمد بن الخصيب مع خلق كثير معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك الزيات في آخر وزارته للواثق فطالبنا ببقايا مصادرات وشدد علينا في ذلك حتى آيسنا من الفرج فاعتل الواثق واشتد مرضه وحجب عن الناس فبينا هو كذلك اذ دخل عليه القاضي احمد بن ابى داود فقال له الواثق يا ابا عبدالله قد ذهبت مني الدنيا والآخرة قال كلا يا امير المؤمنين قال بلى والله ذهبت الدنيا بما ترى من حضور الموت وذهبت الآخرة بما اسلفت من العمل القبيح فهل عندك من دواء قال نعم يا امير المؤمنين قد غرك ابن الزيات وملأ الحبوس من العمال والكتاب وهم عدد كثير ووراءهم الف يد ترفع الى الله عز وجل بالدعاء عليك فتامر باطلاقهم لترتفع تلك الايدي بالدعاء لك فلعل الله تعالى ان يمن علينا بعافيتك وعلى كل حال فانت محتاج الى ان تقل خصومك فقال نعم ما اشرت به ووقع الى ابن الزيات باطلاقهم واطلاق كل من في الحبوس وامر ايتاخ ان يتقدم بالتوقيع ولا يدعه يعمل شيئاً حتى يطلقهم فتوجه ايتاخ اليه وما تركه يبرح من مكانه حتى اطلقهم قال سليمان فخرجنا من الحبس ووقفنا لابى عبدالله على الطريق ننتظر عوده من دار الخليفة فحين رأيناه ترجلنا ودعونا له فاخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره ثم ان ابا عبدالله رجع الى دار الخليفة عشياً فقال له الواثق قد تبركت برأيك يا ابا عبدالله ووجدت خفة من العلة ونشطت للاكل فقال له ابو عبدالله يا امير المؤمنين تلك الايدي التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك الا انهم قد صاروا الى دور خربة واحوال ذميمة ولم يبق لهم كسوة ولا دواب ولا ضياع يعيشون بها فلو امرت ان يرد عليهم بعض ما اخذ منهم واطلقت

عن

اليتيم من ماله فقد ظلم ظلماً عظيماً * المثال الحادي والاربعون وكلاء دار القاضي وقد مدحهم قوم فقالوا هم اناس نصبوا انفسهم لخلاص حقوق الخلق وذمهم آخرون فقالوا هم اناس فضل عليهم الفضول فباعوه لغيرهم والحق عندنا ان من اراد منهم وجه الله تعالى محمود وان تناول اجرته ومن اراد الخصام وابطال الحقوق مذموم ومن حقهم التفهيم عن الموكل ومعرفة الواقعة والحق في اي الطرفين فلا يتوكل على المحق معتذراً بانه وكيل ولا يبدي من الحجة الا ما يعرفه حقاً او يقوله الموكل وهو يجهل الحال فيعتمد عليه فان علمه باطلا وادلى به فهو في جهنم * المثال الثاني والاربعون الشهود وبهم قوام غالب المعاش والمبادلات وقد ذكر الفقهاء مالهم وعليهم فاستوعبوا وذمهم قوم وقالوا ان سفيان الثوري قال الناس عدول الا العدول وان عبدالله بن المبارك قال هم السفلة وانشدوا

قوم اذا غضبوا كانت رماحهم
بث الشهادة بين الناس بالزور

عن ذلك فوقع عنه احمد بن ابي دواد قال سليمان فما شعرنا من الغد الا وقد رجعت نعمتنا ومات الواثق بعد ثلاثة ايام * يحكي ان أبا ثعلب فضل الله بن ناصر الدولة استوحش من اخيه عدة الله محمد بعد موت ابيهما فقبض عليه واستصفى ماله ونعمته وثقله بالحديد وانفذه الى قلعة حصينة تعرف باردمشت من اعمال الموصل فحبسه فيها ووكل بها عجوزاً يثق بها يقال لها بازبانو وامرها ان تخفى موضعه عن حفظة القلعة فاقام على ذلك ثمان سنين ثم اتفق ان انحدر ابو ثعلب الى بغداد معاوناً لبختيار بن معز الدولة على محاربة عضد الدولة فكانت بينهما الوقعة المشهورة التي قتل فيها بختيار وانهزم ابو ثعلب فدخل الموصل وخاف من تخلص اخيه فكتب الى غلام له كانت القلعة مسلمة اليه يقال له طاسم وامره ان يقتل اخاه فلما اراد ان يمضي ما امر به منعته بازبانو وقالت لا امكنك من ذلك الا بكتاب يرد علي فارسل يراجع أبا ثعلب ويعلمه بما وقع ووافق ذلك دخول عضد الدولة الى الموصل بعد فتحها واجفل عنها أبا ثعلب ولم يصل اليه الكتاب وكان لمحمد المحبوس خادم اسود يسمى ناصحاً انتظم الى عضد الدولة وصار من وجوه خدمه فلما فتحت الموصل اذكره ناصح بامر مولاه فكتب عضد الدولة ان يطلق وينفذ اليه مكرماً فحين دخل ناصح ومعه جماعة من حاشية عضد الدولة على محمد في محبسه جزع جزعاً شديداً ولم يشك في انهم قد دخلوا بأمر ابي ثعلب في قتله فقال له ناصح لا خوف عليك واخبره بالقصة فسجد شكراً لله تعالى وبكى بكاءً طويلاً ثم انهم جاؤا به وادخلوه بين يدي عضد الدولة فقبل الارض ودعا له وشكر فحمله عضد الدولة على فرس فاره بمركب مذهب وقيد بين يديه خمس دواب مسومة وخمسة بجلالها وثلاثين بغلاً محملة مالاً صامتاً وولاه امارة بلاده واعمالها * حكى المعتضد قال لما اشتدت علة ابي التي مات فيها وانا في حبسه ازداد خوفي على نفسي ولم اشكك في ان اسمعيل بن بليل سيحتال بحيلة يحمله فيها على قتلي فنمت تلك الليلة وقد كنت صليت كثيراً ودعوت الله عز وجل ورأيت في

هم السلاطين الا ان حكمهم
على السجلات والاملاك والدور

وقال آخر

اياك احقاد الشهود فانما
احكامهم تجري على الحكام
قوم اذا خافوا عداوة قادر
سفكوا الدما باسنة الاقلام

وقال آخر

احذر حوانيت الشهو * د الاخسرينا الارذلينا
قوم لئام يسرقو * ن ويحلفون ويكذبونا

وكل هذا عندنا غلو وافراط وتجاوز ومن سلك منهم ما امر به واجتنب ما نهي عنه ماجور غير انه غلب على اكثرهم التسرع الى التحمل وذلك مذموم واخذ الاجرة على الاداء وهو حرام وقسمة ما يتحصل لهم في الحانوت وذلك منهم شركة ابدان وهي غير جائزة فعليهم النظر في ذلك كله ومراقبة الحق سبحانه وتعالى واما شهود القيمة فعلى خطر عظيم * المثال الثالث والاربعون ناظر الوقف ونحوه من المباشرين من حقه العمارة والقسمة وقول الاصحاب ان ولي اليتيم لا يجب عليه المبالغة في الاستنماء وانما الواجب عليه ان يستنمي قدر مالا يؤكل النفقة والمؤن المال

منامي كأني على شاطئ الدجلة ورجل جالس على الشط وهو يدخل يده في الماء فيقبض عليه فتقف الدجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده فيقف كالطود العظيم فاذا أخرج يده من الدجلة يجري الماء فهالني ما رأيت فدنوت منه وسلمت عليه وقلت من أنت يا عبدالله الصالح قال انا علي بن ابي طالب قلت يا امير المؤمنين ادع الله لي قال ان هذا الامر صائر اليك فاعتضد بالله تعالى واحفظني في ولدي فانتبهت وكأني اسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأني اتقلد الخلافة وقلت لغلام كان معي في الحبس اذا اصبحت فامض الى السوق وابتع لي فصاً واكتب عليه احمد المعتضد بالله وصغه خاتماً وآتني به ففعل ولبسته وقلت اذا وليت الخلافة جعلت لقبي المعتضد بالله تيمنا بقول أمير المؤمنين علي رضى الله عنه وما مضى الا ايام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية ولم يشكك الغلمان انه قد مات فأخرجوني وادخلوني الى بيتٍ فيه الموفق فلما رأيته علمت انه غير ميت فجلست عنده هنية ثم مات الموفق في ليلته تلك ووليت مكانه قال ابن حمدون فما تعرض المعتضد في ايامه للعلويين ولا اذاهم ولا قتل منهم احداً * حكى احمد بن يزيد المهلبي قال كنا ليلة بين يدي المعتمد فحمل عليه النبيذ وجعل يخفق برأسه نعاساً فقال لا يبرح احد منكم ثم نام مقدار نصف ساعةٍ وانتبه وكأنه ما شرب شيئاً فقال احضروا لي من الحبس رجلاً يعرف بمنصور الجمال فاحضر فقال له منذ كم انت محبوس فقال مند ثلاث سنين قال فاصدقني عن خبرك قال انا رجل من اهل الموصل كان لي جمل اعمل عليه واعود بكرائه على اهلي فضاق الكسب علي فخرجت الى سر من رأى لكون العمل فيها اكثر فبينا انا قريب منها اذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق وكانوا عشرة انفار فاعطاهم واحد من العشرة مالاً على انهم يطلقونه فاطلقوه وقبضوني مكانه واخذوا جملي فناشدتهم الله وعرفتهم خبري فأبوا وحبسوني فمات بعض القوم واطلق بعضهم وبقيت وحدي فقال المعتمد

صحيح ولكن الزيادة من شكر النعمة ومما تعم به البلوى مدرسة غير محصور عدد فقهائها فترك القاضي او الناظر فيها اشخاصاً وقدر لهم من المعلوم ما يستوعب قدر الارتفاق فهل يجوز تنزيل زائد قال ابن الرفعة لا يجوز قال الشيخ الامام وهو الذي استقر عليه رأيي بشرط ان يكون في مدرسة قدر للفقيه مثلاً قدر معين اما لو وقف عشرة فقهاء مثلا ولم ينص في معاليمهم على قدر ولا جزء معين من اصل قدر الوقف وهو غالب ما يقع في المدارس التي ليست بمحصورة فلا يمتنع * ومنه ناظر وقف يؤجر حانوتاً او نحوه خربا بشرط ان يعمره المستأجر بماله ويكون ما انفقه محسوباً من اجرته وهذه الاجارة باطلة لانه عند الاجارة غير منتفع به اما ان كان الحانوت منتفعاً به فآجره باجرة معلومة ثم اذن للمستاجر في صرفها الى العمارة جاز صرح به الرافعي في اوائل الاجارة ولا يجوز اجارة الحمام بشرط ان يكون مدة تعطله بسبب عمارة او نحوها محسوبة على المستاجر ولا على المؤجر *

احضروا لي خمسمائة دينار فجاؤا بها فقال ادفعوها اليه واجرى عليه في كل شهر ثلاثين ديناراً وفوض اليه امر جماله ثم اقبل علينا فقال رأيت الساعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا احمد وجه الساعة الى الحبس واخرج منصورا الجمال فانه مظلوم واحسن اليه ففعلت ما رأيتم قال ثم نام من وقته وانصرفنا * حكى ابو عصمة قال كان ممن يتصرف في الاعمال رجل من العرب يقال له حامد بن عمرو الحسراتي وكان اذا تعطل يبرم في الطلب ويخاطب خزيمة بن حازم بكلام يؤذيه ولم يكن في طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا من الجبروتية والكبر الذي كان فيه فاتفق ان خزيمة نظر الى الرجل وهو في داره ووافق من خزيمة ضجراً بشيء حدث من امور المملكة فحين خاطبه الرجل صاح فيه وامر باخراجه من داره اخراجاً عنيفاً ثم دعا كاتبه الحسن بن سلمة فقال والله لئن دخل هذا الرجل داري لاضربن عنقه فحذره وتقدم الى البوابين واخبرهم بذلك وكان خزيمة اذا وعد وتوعد فليس الا الوفاء قال الحسن فخرجت الى الحجاب وعرفتهم ما قاله ومضيت خارج الدار فاذا الرجل واقف فاعلمته ان دمه مرتهن بنظرة ينظرها اليه خزيمة وحذرته تحذيراً شديداً فشكرني على تحذيره وانصرف كئيباً فلما اصبحنا من غدٍ غدوت الى دار خزيمة على رسمي في الملازمة فرأيت الرجل بالباب منتظراً لركوبه فعظم ذلك عليّ وقلت يا هذا أتحب ان تقتل نفسك فقال والله ما اتيته جهلاً مني ولا اغتراراً وستري من لطف الله عز وجل ما تعجب منه قال الحسن فزاد عجبي منه ودخلت الدار فحين نظرني خزيمة قال لي ما فعل حامد بن عمرو فاخبرته بخبره فسكت خزيمة وخرج فحين رآه حامد ترجل له فصاح خزيمة لا تفعل والحقني الى دار امير المؤمنين قال وسرنا ودخل خزيمة الى دار الرشيد ووصلنا الى حيث جرت عادتنا ان نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد الخليفة فبينما نحن كذلك اذ طلب حامد بن عمرو وادخل الى حيث كان موسوماً بان يدخل اليه من يخلع عليه فلم يكن باسرع من

المثال الرابع والاربعون وكيل بيت المال فمن حقه ان لا يبيع من املاك بيت المال ما المصلحة في بقائه ولا يبيع الا بغبطة ظاهرة او حاجة كما في البيع على اليتامى وكثر في زماننا من وكلاء بيت المال من يبيع من الشارع ما يفضل عن حاجة المسلمين وقد افتى ابن الرفعة والشيخ الامام الوالد رحمهما الله تعالى ان ذلك حرام وفقهاء العصر يترددون في انعزال وكيل بيت المال بانعزال الامام الاعظم او موته وكان الشيخ الامام يرى انه لا ينعزل بذلك * المثال الخامس والاربعون المحتسب وعليه النظر في القوت وكف غمة المسلمين فيما تدعو حاجتهم اليه من ذلك والاحتراز في المشروب فطالما اوهم الخمار انه فقاعي أو اقسماوي والماكول فطالما اوهم الطباخ ان لحم الكلاب لحم ضان فليتق الله ربه ولا يهمل شيئاً * يدخل جوف المؤمنين مما كرهه الله تعالى لهم من الخبائث ويحرم عليه التسعير في كل وقت على الصحيح وقيل يجوز في زمان الغلاء وقيل يجوز اذا لم يكن مجلوباً بل كان

ان خرج وعليه خلع الخليفة وبين يديه لوآء عقد له وقد ولى طريق الفرات باسره فقمت اليه وهنيته واقمت بمكاني الى ان خرج خزيمة فسرت معه الى داره فلما استقر فيها دعاني ثم قال اظنك قد انكرت ما جرى بحامد بن عمرو قلت اي والله ايها الأمير قال اعلم اني لما امرت فيه بما امرت وكنت في نهاية الغيظ عليه فرأيت البارحة في منامي كانه قائم يصلي وقد رفع يديه الى الله عز وجل يدعو عليّ قال فصحت به لا تفعل وادن مني فانفتل من صلاته ووقف بين يدي فقلت له ما يحملك على ان تدعو علي قال لانك اهنتني واخرجتني من دارك آيساً ذليلاً واشمت بي اعدائي وقطعت املي في طلب رزقي وهددتني بالقتل ظلماً فانا اشكو الى الله عز وجل واستعين به عليك قال فكاني اقول له طب نفساً ولا تدع عليّ فاني احسن اليك غداً واوليك عملاً فلما انتبهت عجبت من المنام وعلمت اني ظلمت الرجل وان المنام موعظة في امره وحث على حفظ النعم وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف اسأت اليه بغير جرم وماذا عليه اذا الح في طلب الرزق ثم اني عزمت على انجاز ما وعدته به في المنام فكان ما رأيت قال الحسن فصوبت رأيه ودعوت له وانصرفت فجاءني من العشاء حامد بن عمرو مسلماً ومودعاً فقلت له اخبرني بامرك فقال لما انصرفت من باب خزيمة قلقاً مرعوباً واخبرت عيالي بما جرى كان في داري مأتم عظيم ولم نطعم يومنا وليلتنا طعاماً فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ما شاء الله وتضرعت اليه عز وجل فحملتني عيني وانا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كذا وكذا وساق حديث خزيمة بتمامه فكثر تعجبي من اتفاق المنامين وبكرت الى خزيمة وحدثته الحديث فعجب منه وامر له بصلة وكسوة ولم يزل بعد ذلك معتمداً اكرامه * حكي ابو القاسم السعدي قال كنت وانا حدث السن مشغوفاً بغلام لي شغفاً شديداً وكنت منهمكاً على الفساد وربما هجرني فاترضاه بكل ما اقدر عليه فغضب علي يوماً وهرب مني واستتر حتى لحقني من

يزرع في البلد وكان عند الشتاء واذا سعر الامام انقاد الرعية لحكمه ومن خالفه استحق التعزير * ومن مهمات المحتسب لا سيما في بلاد الشام امران ارتبطا به احدهما النقود من الذهب والفضة المضروبين ولا يخفى ان في زغلهما هلاك اموال البشر فعليه اعتبار العيار بمحك النظر والتثبت في سكة المسلمين وثانيهما المياه فعليه الاحتراز في سياقها وقد جرت عادة اناس في الشام ان يشتري بعضهم قدراً معلوماً من نهر بثوراً و باناس مثلاً ويتحيل لصحته بان يورد العقد على مقره بماله فيه من حق الماء وهو كذا اصبعا ثم يسوقه ويحمله على مياه الناس برضى طائفة يسيرة منهم وكان الشيخ الامام رحمه الله تعالى يشدد النكير في هذا وله كتاب فيه سماه الكلام على انهار دمشق والحاصل ان الخلق في انهار دمشق سواء يقدم الاعلى منهم فالاعلى ولا يجوز بيع شيء من الماء ولا مقره ولا يفيد رضى قوم ولا كلهم لانهم لا يملكون الا الانتفاع بل

الحيرة والوله ما قطعني عن النظر في امري واجتهدت في صرف ذلك عني فلم اقدر وحضر وقت خروج الناس الى الحائر فكتبت رقعة اسأل الله فيها الفرج مما انا فيه متوسلاً بالامام الشهيد الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ودفعت الرقعة الى بعض من خرج من اصحابي وسألته ان يدفنها في ناحية من القبر الشريف واتت ليلة النصف من شعبان ففزعت الى الله تعالى في كشف ما بي ثم غلبني النوم فرأيت في منامي كانني في مقابر قريش والناس مجتمعون فيها اذ قيل لي جاء الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فتشوقت لرؤيتهما فاذا بالحسين رضي الله عنه في صورة كهل وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة رضي الله عنها متنقبة بنقاب ابيض فاعترضت الحسين وقلت له يا ابن رسول الله كتبت اليك رقعة في حاجة لي فلم يجبني ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة معه وكأن قوماً قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما فلم ازل اتوصل الى ان دخلت فاعدت الخطاب عليه فلم يجبني فخاطبت فاطمة رضي الله عنها وقلت يا سيدتي اسألك ان تنظري في امري فقالت على شرط ان تتوب قلت نعم فقالت الله قلت الله فكررت علي ثلاثاً ثم أومات الى جماعة ممن كانوا قياماً ودفعت اليهم خاتماً كان في يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكري بخيط شديد شداً قوياً ثم وضعوا على الشد طيناً وختموه بذلك الخاتم فورد علي من الالم ما ايقظني فانتبهت واثر الخيط في الموضع وصار اثر الختم كالجدري مستديراً حوله واصبحت ولم يبق في قلبي شيء من الغلام فاشتريت الجواري وتمتعت بهن ثم طالبتني نفسي بالغلمان وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم اقدر عليه وبطل العضو فلما فارقته انعظت فجربت ذلك مراراً مع عدة غلمان فكانت الصورة واحدة فجددت توبة بعد ذلك وما نقضتها الى الآن * يحكى انه كان ببغداد امرأة علوية اقامت خمس عشرة سنة مزمنة لا تنقلب من جنب الى جنب حتى تقلب وكان لها من يخدمها وكانت فقيرة لا قوت لها ولا

ولا رضى اهل الشام بجملتهم لان رضاهم لا يكون رضا من بعدهم ممن يحدث من الخلق * المثال السادس والاربعون العلماء وهم فرق كثيرة منهم المحدث والمفسر والفقيه والاصولي والمتكلم والنحوي وغيرهم وتتشعب كل فرقة من هؤلاء شعوباً وقبائل ويجمع الكل انه حق عليهم ارشاد المسلمين وافتاء المستفتين ونصح الطالبين واظهار العلم للسائلين فمن كتم علماً الجمه الله تعالى بلجام من نار وان لا يقصدوا بالعلم الرياء والمباهاة والسمعة ولا جعله سبيلا الى الدنيا فان الدنيا اقل من ذلك قال الفضيل رحمه الله تعالى اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني افتقر وعالم تلعب به الدنيا وانشد بعضهم

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
ومن يشتري دنياه بالدين اعجب

فاقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاءها وان تعلم انهما متضادتان وانهما ضرتان متى ارضيت واحدة اسخطت الاخرى وكفتا ميزان

لخادمتها الاما تبرها الناس قالت فضجرت من نفسي ضجرًا شديدًا ودعوت الله عز وجل بالفرج مما انا فيه او بالموت وبكيت بكاءً متصلاً ونمت وانا قلقة حزينة فرأيت في منامي كان رجلاً وضيء الوجه بهي المنظر دخل عليّ فقلت يا هذا كيف تستحل ان تراني فقال انا ابوك محمد رسول الله فبكيت وقلت يا رسول الله ادع الله لي بالعافية قالت فحرك شفتيه بشيء لم افهمه ثم قال هاتي يديك فاعطيته فاخذها وجذبني بهما فقمت فقال امش على اسم الله تعالى فمشيت ثم اجلسني وهما في يديه حتى فعل بي ذلك ثلاث مرات ثم قال قد وهب الله عز وجل لك العافية فاحمديه واتقيه وتركني ومضى فانتبهت وصحت بالخادمة وشرحت لها المنام فسرت بذلك وأتت فاجلستني ثم قمت ومشيت متوكأة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات حتى مشيت في الاخيرة منهن وحدى قال الرواة وما زالت قوتها تنمو الى ان صلح حالها وزوجت من رجل علوي ولا تعرف الا بالعلوية المزمنة ☼ يحكى ان المامون لما وجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى بن ماهان واقام هو بخراسان ثم ورد عليه الخبر بضعف طاهر وقوة علي فوقع في نفوس العسكر ما وقع ولحق المأمون من ضيق الحال ونفود المال وتفرق الرجال ما افضى الى امر أصلح ما فيه الهرب فبقى حائرًا متفكرًا وكان نازلاً في دار ابوابها من حديد وفيها مشرفة يجلس فيها فبينما هو جالس وعدة غلمانه ستة عشر غلاماً لم يبق عنده غيرهم اذا بالقواد والجيش جميعًا قد هجموا عليه وطلبوا ارزاقهم وولعوا يشتمونه ويكلمونه بكل قبيح وكان الفضل بن سهل بين يديه فامر باغلاق الابواب وقال للمامون قم فاصعد الى المشرفة اشفاقًا عليه من دخولهم واخذهم له فقال له المامون ويحك ما يغني الصعود والقوم يدخلون الساعة لياخذوني فقال له اصعد فمن ساعة الى ساعة فرج قال المامون فجعلت اهزأ به واردت الهرب من بعض الابواب فلم يكن الى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالابواب كلها فلما علم العسكر بصعودي اشتد شتمهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والتهديد ثم جمعوا شوكاً كثيرًا وجعلوا فيه النار وادنوه

اذا رجحت احداهما خفت الاخرى وكالمشرق والمغرب متى قربت احداهما بعدت الاخرى وكقدحين احدهما مملوء فقدر ماتصب منه في الآخر يفرغ من الاول فمن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء الى ذلك فكيف يكون في العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر لا ايمان له فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم انهما ضرتان والجمع بينهما بعيد فهو جاهل ومن علم هذا كله وآثر الدنيا على الآخرة فهو اسير الشيطان وقد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من العلماء من هذه درجته وحق الحق اني لا عجب من عالم يجعل علمه سبيلا الى حطام الدنيا وهو يرى كثيرًا من الجهال وصلوا من الدنيا الى ما ينتهي هواليه فاذا كانت الدنيا تنال مع الجهل فما بالنا نشتريها بانفس الاشياء وهو العلم وينبغي ان يقصد بالعلم

من الدار ونقبوا في سورها عدة نقوب فذهبت نفسي جزعًا وعلمت اني بين ان احترق وبين ان يصلوا الي فيقتلوني فهممت ان القي نفسي اليهم وقدرت انهم ان رأوني انصرفوا عني رحمةً او حياءً فجعل الفضل يقبل يدي ورجلي ويناشدني ان لا افعل فلما علا الامر واستحكم البأس وعظم الخطب واستشعرت اليأس قال لي الفضل قد والله اتاك الفرج اني ارى شبحًا في الصحراء يلوح فنظرت وجعل الشبح يزيد تبيانًا حتى قرب من العسكر فقوى قلبي ورأى الجند ذلك فتوقفوا وخالطهم فسالوه فاذا هو يقول البشرى هذا رأس علي بن عيسى معي في المخلاة فلما سمعوا ذلك امسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء لي والسرور بالفتح والظفر واطفا الله عز وجل تلك النائرة ووهب السلامة وقلدني الخلافة ثم ظفرت من اموال علي بن عيسى بما اصلحت به امر الجند وغيره بفضل الله وحسن معونته ☼ يحكى ان رجلاً من اهل بغداد كان يبيع لرجل من الخراسانية كل سنة متاعًا فينتفع من سمسرته بالوف من الدراهم فلما كان سنة من السنين تأخر ذلك الخراساني عن الحج فاثر ذلك في حال الرجل ثم توالت عليه محن حتى اغلق دكانه واستتر في بيته من ديون ركبته فلما كان وقت ورود الحاج خرج ليتعرف خبر الخراساني طمعًا في اصلاح حاله فلم يعط خبرًا عنه فرجع الى جهة الدجلة وهو مغموم فسبح وخرج فلما خطا علق برجله قطعة رمل فانكشف عن سير جلد فولع به فانجر فلم يزل يجره حتى ظهر له هميان فاخرجه فاذا هو مملوء ذهبًا فاخفاه وجاء به الى منزله وفتحه فاذا فيه الف دينار عينًا فقويت به نفسه وقال اللهم لك على متى صلحت حالي بهذه الدنانير وعلمت صاحب الهميان رددته عليه قال ثم احتفظت بالهميان وتصرفت بالدنانير حتى صلحت حالي وعدت الى رسمي في التجارة وصار عندي الوف دنانير فلما كان بعد ثلاث سنين ورد الحجاج واذا برجل قائم حيال دكاني فظننته سائلاً واومات الى دريهمات لاعطيه فاسرع في الانصراف فقمت ولحقته فاذا هو صاحبي الخراساني فبكيت رحمة له وسالته عن حاله

وجه الله تعالى والترقي الى جوار الملأ الاعلى والكلام في العلماء وما ينبغي لهم يطول ولكنا ننبه على مهمات فمن هؤلاء من يطلب العلم للعلو فى الدنيا والتردد الى ابواب السلاطين والامراء كما ذكرناه وحب المناصب والجاه فيؤدي ذلك الى ان قلبه يظلم بهذه الاكدار ويزول صفاه بهذه الامور التي تظلم القلوب وتبعد عن علام الغيوب والى انه يشتغل بهم وبها عن الازدياد في العلم فكم رأينا فقيها تردد الى ابواب الملوك فذهب فقهه ونسى ماكان يعلمه والى فساد عقيدة الامراء في العلماء فانهم يستحقرون المتردد اليهم ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى يسالهم في حوائجه ويؤل ذلك الى انهم يظنون في اهل العلم السوء ولا يطيعونهم فيما يفتون وينقصون العلم واهله وذلك فساد عظيم وفيه فساد العالم وان قال لك فقيه ان التردد الى ابواب السلاطين لاعزاز الحق ولنصرة الدين ولغرض من الاغراض الصحيحة فقل له ان صح ما تقول وانت اخبر بنفسك فانت على

فقال حديثي طويل فحملته الى البيت والبسته ثياباً نظافاً بعد ان ادخلته الحمام واطعمته ثم سالته عن خبره فقال انت تعرف حالي ونعمتي واني لما اردت الخروج الى الحج في السنة التي كانت آخر اجتماعي بك قال لي امير بلدي عندي قطعة ياقوت احمر كالكف لا قيمة لها عظماً وجلالة ولا تصلح الا للخليفة فخذها معك وبعها ببغداد واشتر لي ببعض الثمن عطراً وطرفاً بكذا وكذا واحمل الباقي الي مالاً فاخذت القطعة وجعلتها في هميان من صفته كيت وكيت قال ووصف الهميان الذي عندي وجعلت في الهميان الف دينار عيناً من مالي وحملته في وسطي فلما جئت الى بغداد نزلت اسبح في دجلة فلما صعدت ولبست ثيابي انسيت الهميان فلم اذكره الا من غد فغدوت لطلبه فلم اجده وكان الارض ابتلعته فهونت المصيبة على نفسي وقلت لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار واغرمها له فذهبت الى الحج وقضيت نسكي ثم رجعت الى بلدي وانفذت الى الامير ما اوصاني به من العطر وغيره واخبرته بخبري وقلت له خذ مني تمام خمسة آلاف دينار فطمع وقال قيمة الحجر خمسون الف دينار وقبض على جميع ما املكه من مال ومتاع وضياع وعقار وانزل بي صنوف المكاره وحبسني سبع سنين كنت اتردد فيها في العذاب فلما كان هذه السنة سأله الناس في امري فاطلقني فلم يمكني القيام في بلدي من ضيق الحال وجوع العيال وشماتة الاعداء واعراض الاصدقاء فخرجت على وجهي اعالج الفقر حتى مشيت اكثر الطريق وجئتك الآن لأشاورك في معاش اتعلق به فقلت يا اخي قد رد الله عليك ضالتك وان الهميان الذي وصفته عندي ثم شرحت له الخبر فلما سمع مني ذلك شهق شهقة ظننته قد تلف منها وخر ساجداً فما افاق الا بعد ساعة ثم قال لي يا سيدي ائتني بالهميان فجئته به واحضرت كيساً فيه الف دينار فطلب سكيناً وخرق به اسفل الهميان واستخرج منه قطعة ياقوت احمر كالكف اشرق البيت من شعاعه واقبل يشكرني ويدعو لي فقلت له وهذه دنانيرك فخذها فحلف بكل يمين انه لا يأخذ منها الا ثمن ناقة ومحمل ونفقة تبلغه

خطر عظيم لانك قد انغمست في الدنيا وانت تدعى انك تقصد بها الآخرة وان ثبت هذا فما نأمن عليك ان تنجر مع الدنيا ولذلك كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا دعوك لتقرأ عليهم قل هو الله احد فلا تمض ولا تقرأها وبالجملة فانت اخبر بنفسك فابحث عنها انشدني الحافظ ابو العباس بن المظفر الاشعري بقراءتي عليه قال انشدنا الحسن ابن علي بن ابي بكر بن محمد بن الخلال بقراءتي قال انشدنا جعفر الهمداني سماعاً انشدنا ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن يحيى العثماني الديباجي الامام قال كتب الى العلامة ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري من مكة المشرفة واجازني حينئذ وكتب الى احمد بن علي الحنبلي وزينب بنت الكمال وفاطمة بنت ابي عمر عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ ابن ابي طاهر السلفي عن الزمخشري قال انشدنا احمد ابن محمد بن اسحاق الخوارزمي ابو سعد المحسن بن محمد الجشمي انشدنا الحاكم ابو الفضل اسماعيل

فاجتهدت به حتى اخذ ثلاثمائة دينار واحلني بالباقي فلما كان في العام المقبل جاءني بمثل ما كان يجيئني به سالفاً فسألته عن خبره فقال مضيت وشرحت لأهل بلدي خبري وأريتهم الحجر فذهب معي وجوههم الى الأمير واعلموه بالقصة وخاطبوه في انصافي فاخذ الحجر ورد على جميع ما كان اخذه مني ووهب لي مالاً من عنده وقال اجعلني في حل مما آذيتك به فاحللته وعادت نعمتي على ما كانت عليه بفضل الله عز وجل وبركتك قال وكان يجيئني بعد ذلك في كل سنة الى ان مات * يحكى ان الوزير ابن الزيات كان قليل الخير لا يرعى ذماماً ولا يحب صنيعةً ولا احتراماً فاضجره رجل من ولد عمر بن هبيرة يقال له ابراهيم بن عبد الله بطول الملازمة وكثرة الترداد وكان من قبل يبغضه فحلف بايمان غليظة انه لا يوليه تصرفاً وامر كاتبه احمد بن اسرائيل بتبليغ ذلك اليه قال احمد بن اسرائيل فصرت الى منزلي ووجهت الى الهبيري فجاءني فاخبرته بما قاله الوزير فقال الهبيري قد سمعت ما اديته الي فهل انت مؤد عني اليه ما اقوله قلت نعم قال قل له قد كنت آتيك في صبيحة كل يوم فوالله لآتينك في كل غدوة وعشية وان قدر الله جات قدرته لي على يديك رزقاً لآخذنه على رغم منك قال فرجعت الى ابن الزيات واعلمته قوله فقال دعه فوالله لا يرى مني خيراً ابداً ثم ان الهبيري لازمه غدوة وعشية فكان اذا رآه ابن الزيات التفت الي وقال جاء البغيض فمكث مدة على ذلك وركب ابن الزيات يوماً من الايام مسرعاً الى الواثق وهو بالهاروني بسر من رأى بطلب حثيث من الواثق وكنت معه فدخل الى الخليفة وجلست انتظر خروجه فلما خرج نظر اليّ واكثر التعجب فسألته فقال لما دخلت الى الخليفة قال لي اني اريد اعزل عامل فارس لكثرة ما بلغني عنه من الظلم فهل من احد على بابنا يصلح لهذا العمل فلم يخطر ببالي احد غير الهبيري وكأن الله سبحانه محا عن قلبي معرفة الخلق جميعاً قال فامسكت فقال اكلمك فلا تجبني واعجلني عن الفكر فقلت رجل من اعداء امير المؤمنين واعداء دولته يقال له ابراهيم

ابن محمد الحسن انشدنا القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه

يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن اكرمته عزة النفس اكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
واني اذا مافاتني الامر لم ابت
اقلب كفي اثره متندما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لي سلما
اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرساً واجنيه ذلة
اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو أن اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اذلوه فهان ودنسوا
محياه بالاطماع حتى تجهما

فلقد صدق هذا القائل لو عظموا العلم لعظمهم وانا اقرأ قوله لعظما بفتح العين فأن العلم اذا عظم تعظم وهو في نفسه عظيم ولهذا اقول ولكن اهانوه فهانوا ولكن الرواية فهان ولعظم بضم العين والاحسن ما اشرت اليه ولقد نحا شيخ الاسلام تقي الدين ابن

ابن عبدالله الهبيري من صنائع بني امية فقال نصطنعه ليشكرنا قلت انه لامعنى في ذلك قال كم تدفعني عنه قلده الساعة عمل فارس قلت ليس عنده نفقة تحمله اليها فقال أعطه ثلاثين الف درهم واثبت له من الغلمان مائة رجل قال احمد بن اسرائيل فوالله ما خرج اليوم حتى قبض المال وولى اعمال فارس واثبت له العدة * يحكى ان ابراهيم الحراني الكاتب كان خاصاً بالمهدي وكان انفذه مع ابنه موسى الى جرجان فاتصل بالمهدي عنه اشياء اغضبته عليه فكتب المهدي الى ابنه بانفاذه اليه مصفداً بالحديد فدافعه عنه اياماً فلم يندفع وكتب اليه ان لم تنفذه خلعتك من العهد واسقطت منزلتك فلم يجد موسى بداً حتى انفذه اليه واتفق انه ورد والمهدي يريد الركوب الى الصيد فقيل له عنه فقال وما حاجتنا الى الصيد وهل صيد اطيب من ابراهيم الحراني قال ابراهيم فادنيت منه وهو على ظهر فرسه فقال ابراهيم قلت لبيك يا امير المؤمنين قال لا لبيك والله لاقتلنك ثم كررها ثلاثاً امض به يا خادم الى المضرب فحملت وقد يئست من الحياة وانصرف المهدى واكل اللوزينج المشهور الذي كان فيه السم فمات من وقته وتخلصت بفضل الله تعالى وحسن اعانته * يحكى ان الرشيد لما صار الى طوس واشتدت علته اتصل خبره بالامين وكان ولي عهده فوجه بكر بن المعتمر الى الرشيد ودفع اليه كتاباً الى الربيع بن الفضل واسمعيل بن صبيح وغيرهما يأمرهم بالاحتياط على ما في الخزائن وحملها اليه ان حدثت الحادثة بالرشيد وأمر بكر بان يوصل الكتب سراً فلما ورد بكر على الرشيد اوصل الكتب الظاهرة واخفى الكتب الباطنة فاتصل خبرها بالرشيد فاحضره وطالبه بها فجحدها وكان الرشيد جدد العهد للمأمون والمأمون حينئذ بمرو فجلس الرشيد جلوساً عاماً في مضرب خزٍ اسود استدارته اربعمائة ذراع في اركانه اربع قباب وعليه جبة خزٍ سوداء وفوقها دراعة خزٍ اسود وقلنسوة طويلة وعمامة خزٍ اسود وجعل الخدام من ورائه يمسكونه لئلا يميل بدنه والفضل ابن الربيع واقف بين يديه فقال للفضل مر بكراً باحضار مامعه من الكتب

دقيق العيد نحو هذه الابيات فقال
يقولون لي هلا نهضت الى العلا
فما لذ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيس حتى تحلها
بمصر الى ظل الجناب المرفع
ففيها من الاعيان من فيض كفه
اذا شاء اروى سيله كل بلقع
وفيها قضاة ليس يخفى عليهم
تعين كون العلم غير مضيع
وفيها شيوخ الدين والفضل والاولى
يشير اليهم بالمعلى كل اصبع
وفيها وفيها والمهانة ذلة
فقم واسع واقصد باب رزقك واقرع
فقلت نعم اسعى اذا شئت ان ارى
ذليلا مهاناً مستخفاً بموضع
واسعى اذا مالذ لي طول موقفي
على باب محجوب اللقاء ممنع
واسعى اذا كان النفاق طريقتي
اروح واغدو في ثياب التصنع
واسعى اذا لم يبق في بقية
اراعى بها حق التقا والتورع
فكم بين ارباب الصدور مجالساً
تشب بها نار الغضا بين اضلعى
وكم بين ارباب العلوم واهلها
اذا بحثوا في المشكلات بمجمع
مناظرة تحمى النفوس فينتهى
وقد سرعوا فيها الى سر مسرعي
من السفه المزري بمنصب اهله
او الصمت عن حق هناك مضيع
فاما توقى مسلك الدين والتقى
واما تلقى غصة المتجرع
ومنهم من يضيع كثيراً من وقته
في طلب القضاء وغيره من

السريّة فانكرها فقال للفضل توعده بالقتل فاقام بكر على الانكار فقال الرشيد بصوتٍ خفيٍ قنبوه فنحى بكر وجيء بالقنب فقنب من فرقه الى قدمه قال بكر فيئست من نفسي وقلت لا بد من القتل ان اقررت او اقمت على انكاري فانا على ذلك واذابها رون اخي رافع وقد احضر مع قرابته الذين كانوا معه فقال الرشيد لهارون ايظن أخوك أنه يقتلني والله لاقتلنك انت وقرابتك فقال الله الله يا امير المؤمنين في دمى فان الله تعالى يعلم واهل خراسان اني بريء من اخي وملازم مسجدي منذ عشرين سنة فاغتاظ الرشيد وقال عليَّ بجزارين فقال قرابة هارون افعل ما شئت فانا نرجو ان نكون نحن وانت بين يدي الله تعالى في اقرب مدة فاستشاط غضباً وامرهم فقطعوا عضواً عضواً قال بكر فوالله ما فرغ منهم حتى مات الرشيد فجاءني الفضل وانا اتوقع القتل فقال اعظم الله اجرك في امير المؤمنين واخذ بيدي وادخلني بيتاً فاذا الرشيد مسجي فيه فلما رأيته ميتاً سكنت فقال هات الكتب الباطنة فسلمتها له واخذت الاجوبة وانصرفت * يحكى انه كان في نصيبين اخوان ورثا عن ابيهما مالاً جليلاً فاقتسماه فأسرف احدهما في حصته فلم يبق له شيء حتى احتاج الى ما في ايدي الناس وثمر الآخر حصته فزادت ثم عرض له سفر في تجارة فجاءه اخوه الفقير فقال يا اخي انك تريد تستاجر غلاماً في سفرك فاجعلني بدل غلام تستخدمه فظن الاخ ان اخاه قد تأدّب ورقّ عليه فاخذه معه وكان للاخ الغنى حمار فاره يركبه وقد استأجر بغالاً لاحماله فاركب أخاه احدها وسارا وليس معهما الاَّ المكاري فلما استتم بهم السفر حصلوا في جبلٍ فيه عين ماء فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل واخذ اخوه الفقير والمكاري الدواب ومضيا ليسقياها فغابا طويلاً ثم جاء الاخ الفقير وحده وبيده حجارة يرمي اخاه بها فقال الغني ويحك ما تريد قال اريد قتلك يا ابن الفاعلة اخذت مال ابي وجعلتني غلامك ثم رفسه فالقاه على ظهره ووثقه كتافاً واثخنه شجاجاً بالحجارة وكان في وسطه سكين طويل فرام استخراجها من القراب

المناصب فان كان مراده القوت فالقوت يجيء بدون ذلك وان كان مراده الدنيا فقد كان اشتغاله بصنعة الاجناد والدواوين وغيرهم من العامة مالعله انجح من مقصده فان الدنيا في ايدي اولئك ومن هذه الطائفة من يقول اكرهت على القضاء وانا الى الآن لم ارمن اكره على القضاء الاكراه الشرعي وقد ضرب جماعة من السلف على ان يلوا القضاء فابوا وسمر باب علي ابن خيران مدة وما ذاك الا لانهم يخشون ان لا يقيموا فيه الحق لفساد الزمان والا فالقضاء اذا امكن فيه نصر الحق من اعظم القربات ولكن أين نصر الدين وهم لا يدخلون فيه الا بالسعي وربما بذلوا عليه الذهب ومذهب كثير من العلماء ان من يبذل الذهب على القضاء لا تصح احكامه ولا يخفى انه اذا فسق ببذل الذهب لم يكن نافذ الاحكام وكأنى باحمق من الفقهاء يقول تعين على طلب القضاء وانا لا يخفى على ماقاله الفقهاء فيمن تعين عليه ولكن من الذي تعين

ليذبحه بها فجذبها بقوّةٍ وسرعةٍ فخرجت بحمية الجذبة فذبحته فوقع يخور في دمه وينزف الى ان مات وصار الغنى مشدوداً لا يقدر على الحركة فاقام بقية يومه وليلته كذلك حتى اجتازت قافلة بهم وشاهدوا الحال فاستنطقوا الرجل بعد ان حلوا كتافه فاخبرهم الخبر ثم طلبوا المكاري فوجدوه ميتاً في الماء قد غرّقه الفقير فحملوا ثقل التاجر على بغاله وسيروه معهم * يحكى ان قافلةً من هيت سارت على طريق السماوة قاصدةً دمشق الشام وكان بينهم رجل من حاشية الوزير المهلبي انفذه الى عامل دمشق ومعه جماعة من غلمانه فساروا في البرية ثلاثة ايام بلياليها فبينما هم سائرون اذ غشيتهم اللصوص ووضعوا فيهم السيوف وكان ذلك الرجل الذي هو من حاشية الوزير شجاعاً فقاتل القوم قتالاً شديداً فحملوا عليه حملةً واحدةً واثخنوه بالجراحات وهشموا لحمه بالسيوف فوقع بين القتلى ميتاً ثم ان القوم اخذوا الجمال والامتعة والاسارى ورجعوا فلما كان بعد ساعةٍ أفاق الرجل وهو عطشان ووجد في نفسه قوة فقام وجراحاته تجري دماً ومشي بين القتلى في طلب الماء ولم يزل يتحامل حتى عثر بشيء عظيم في الظلمة لا يدري ما هو وتسطح عليه بطوله وقدّره رجلاً من الاعراب فاذا هو اسدٌ هائل فحين علم ذلك طار عقله وخاف ان يفترسه اذا استرخى فعانق رقبته بيده عناقاً قوياً ونام على ظهره وعلق شعر الاسد بافواه الجراحات فصار سداداً لها وعوناً على ان أمسك نفسه فوقه لكونه صار كالملتصق به فلما احسّ الاسد بذلك اخذ يجري كما يجري الفرس واعضاء الرجل تتقصف من شدة سيره ولم يشك انه يقصد اجمته فيلقيه الى لبوته فتفترسه وكلما همّ ان يربض ضرب الرجل خصيتي الاسد برجله فيطير فلم يزل تمام ليلته على هذا الحال الى ان اقبل الفجر فاذا هو ببياض ماء الفرات وفيه ناعورة تدور وعلى شاطئها تل ابيض فصعد الاسد على التل ووجد شرعة فنزل منها الى الماء واقبل يسبح فوجد الرجل فرصة وما زال يرفق بنفسه حتى خلص شعره من افواه الجراحات وسقط عنه الى الماء فما سبح قليلاً حتى رفعت

عليه فقائل هذا الكلام اما ان لبست عليه نفسه واستزله الشيطان من حيث لا يدري او ممن يريد التلبيس على الناس فهو ابليس من الابالسة نعوذ بالله تعالى منه وما فعلت هذه الطائفة ولا كان ثمرة علمها الا ان جعلت العلم الذي هو من اقرب الطاعات الى الله تعالى سبيلا الى حطام الدنيا ثم اخذت تداجي في دين الله تعالى وتلبس على الخلق وتاكل الدنيا بالدين فقبحها الله تعالى من طائفة * اخبرتنا شقراء بنت يعقوب بن اسماعيل ابن عبد الله بن عمر قاضي اليمن قراءة عليها وانا اسمع قالت اخبرنا جدي اسماعيل واخوه اسحاق قالا انبأنا عبد اللطيف ابن شيخ الشيوخ انبأنا أبي شيخ الشيوخ ابو البركات اسماعيل بن ابي سعيد بن احمد النيسابوري الصوفي أنبانا الشيخ ابو القاسم علي ابن محمد الكوفى النيسابوري سنة تسعين واربعمائة قال سمعت القاضي ابا مسعود يعني صالح بن احمد بن القاسم بن يوسف من مشايخي يقول سمعت ابا الحسن علي بن احمد البصروي التمار

له

له جزيرة فطرح نفسه عليها كالتالف فلم يحس الاّ بحمو الشمس فزحف الى شجر راٰه في الجزيرة ليستظل به من الشمس فرأى السبع مقيماً على شاطىء الفرات حيال الجزيرة وهو ينظر اليه فورد عليه من الفزع اكثر مما ورد عليه من قبل واذا بزورق منحدر وفيه جماعة فصاح بهم فوقفوا ثم استنجدهم وأومألهم الى الاسد فرقوا له وحملوه وكان بين الموضع الذي حصل فيه على السبع وبين الموضع الذي حمله اهل الزورق اربعون فرسخاً فسبحان من قدرته تجل عن التحديد والبيان ولطفه اسرع من لمح الطرف اذا احاطت نوائب الزمان * يحكي ان رجلاً في بلاد الهند كان معاشه صيد الفيلة وكان يستخفي في غيضةٍ يجتازفيها قطيع الفيلة فيرمى آخرها بسهم مسموم فاذا مات نزل واقتلع انيابه وسلخ جلده وباع ذلك فانتفع به فاتفق ان يوماً من الأيام اجتاز به قطيع فرمى آخره بسهم فخر واضطرب واسرعت الفيلة عنه فاذا اعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل السهم والجرح ورجعت الفيلة فوقفت بوقوفه وما زال قائماً والفيل المجروح يضطرب الى ان مات فضج ذلك الفيل العظيم ضجيجاً شديداً وضجت الفيلة معه وانتشرت في الغيضة ففتشوها شجرة شجرة وانتهى الفيل العظيم الى الشجرة التي أنا عليها فلما رآني احتك بالشجرة فاذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها وسقطت الشجرة الى الارض فايقنت بالهلاك ثم ان الفيل وقف يتأملني فلما رأى قوسي وسهامي لف خرطومه على برفق فاشالني من غير اذى حتى وضعني على ظهره ورجع يريد الطريق الذي كان اقبل منه الى ان بلغ المآء والفيلة خلفه فاذا بثعبان عظيم قد خرج ينفخ فاجحمت الفيلة عنه ثم ان الفيل انزلني عن ظهره واشار لي عن الثعبان واخذ يتملق بين يدي فشددت سهماً الى الثعبان فصبته وتابعت الرمي فانصرع مثخناً فتقدم الفيل اليه وداسه ثم عاد فأخذني بخرطومه وجعلني على ظهره ورجع يهرول والفيلة خلفه حتى جآء بي الى غيضة لم اكن أعرفها وفيها فيلة ميتة لا يحصيها الاّ الله عز وجل واكثرها قد بلى وبقيت عظامه فما زال يتتبع الانياب ويجمعها ويومئ الى فيل بعد فيل فيعبي عليه ما

يقول سمعت ابا بكر محمد بن يحيى العدوي يقول سمعت عبد السميع بن سليمان يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول وقد بلغه عن ابن علية رحمهما الله تعالى انه قد ولي الصدقات بالبصرة فكتب اليه بهذه الابيات

ياجاعل العلم له بازيا
يصطاد اموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها
بعد ما كنت دواء للمجانين
اين رواياتك فيما مضى
عن ابن عون وابن سيرين
اين رواياتك في سردها
في ترك ابواب السلاطين
ان قلت اكرهت فما كان ذا
زل حمار العلم في الطين

فلما بلغت هذه الابيات ابن علية بكى واستعفى وانشأ يقول

اف لدنيا ابت تواتيني
الا بنقضى لها عرى ديني
عيني لحيني ضمير مقلتها
تطلب ما ساءها لترضيني

وانشدنا بعضهم في قاضيين عزل احدهما وولي الآخر

يمكنه ان يحمل الى ان لم يدع هناك نابًا الا جمعه واوقر به تلك الفيلة ثم اركبني على ظهره واخذني على طريق العمارة واتبعته الفيلة فلما شارف القرى وقف وأومأ الى الفيلة فطرحت احمالها ثم انزلني بخرطومه برفق وتركني عند الانياب وقد صارت تلالاً عظيمة فجلست عندها متعجبًا من سلامتي ومشيت الى اقرب القرى واجتهدت في نقل الانياب الى القرية وما زلت ابيعها في المدن حتى حصل لي مال عظيم كان سبب غناي * يحكى ان رجلاً وفد على هشام بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت في طريقي عجبًا قال وما هو قال بينما أنا أسير بين جبلي طي فاذا عن يميني أسد كالبغل وعن يساري ثعبان كالجبل وهما مقبلان نحوي فرفعت طرفي الى السماء وقلت

يا دافع المكروه قد تراهما * فنجني يا رب من اذاهما
ومن اذى من كادني سواهما * لا تجعلن شلوي من قراهما

قال فقربا مني وتشمماني حتى لم اشك في الموت ثم صدرا عني ونجوت * يحكى ان عبد الملك لما قتل ابن الزبير اهدر دم عبد الله بن الحجاج فهرب في البلاد واشتد عليه الطلب ولم يجد بداً حتى استسلم فجاء ليلاً ودخل على عبد الملك وهو يعشي الناس فجلس كالمستخفي يأكل معهم وعبد الملك ينظر اليه ثم وثب وانشد

منع القرار فجئت نحوك هاربًا * جيش يجرّو مقنبٌ يتطلع

فقال أي الاخابيث انت فقال

ارحم اصيبيةً هديت كأنهم * حجلٌ تدرّج بالشرية جوّع

قال أجاع الله بطنك انت أجعتهم فقال

مالٌ لهم مما يظنّ جمعته * يوم القليب فحيز عنهم اجمع

قال كسب سوء خبيث فقال

ولقد وطئت بني سعيدٍ وطأةً * وابن الزبير بعرشه متضعضع

قال الظالم مخذول فقال

عندي حديث ظريف
بمثله يتغنى
في قاضيين يعزى
هذا وهذا يهنى
هذا يقول اكرهونا
وهذا يقول استرحنا
ويكذبان جميعاً
ومن يصدق منا

فاذا ابتلى الله تعالى اهل هذه الخرقة بولاية الجهال عليهم ووصول وظائف القضاء ومناصب الدين لغير اهله أليس ذلك عدلاً من الله تعالى * ومنهم المؤرخون وهم على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على اعراض الناس وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من كاذب او صادق فلا بد ان يكون المؤرخ عالمًا حافظًا عدلا عارفًا بحال من يترجمه ليس بينه وبينه من الصداقة ماقد يحمله على التعصب له ولا من العداوة ما يحمله على الغض منه وربما كان الباعث له على الضعة انه من اقوام مخالفة العقيدة واعتقاد انهم على ضلال فيقع فيهم او يقصر في الثناء عليهم لذلك وكثيرًا ما يتفق هذا الشيخنا الذهبي في

وارى الذين رجوا تراثَ محمدٍ * أفلت نجومهم ونجمك يسطع

قال الحمد لله على ذلك فقال

أدنو لترحمني وتقبل توبتي * واراك تدفعني فاين المدفع

قال الى النار فقال

ضاقت ثياب الملبسين فاولني * عرفًا والبسني فثوبك اوسع

قال فرمي اليه بطرف خزٍ كان عليه فلبسه ثم قال آمنت والله فقال له عبد الملك كن من شئت الا عبدالله بن الحجاج قال فانا والله عبدالله بن الحجاج وقد آمنتني أكلت طعامك ولبست ثيابك فايّ خوفٍ عليّ قال ما هداك الى هذا الا جدك وامضي له الأمان * حكى الفضل بن الربيع قال لما استترت من المأمون اخفيت نفسي عن عيالي وحاشيتي وكنت انتقل من موضع الى موضع وحدي الى ان افضيت الى منزل بزازٍ كنت اعرفه فاشتاط المأمون غضبًا وجد باسحاق بن ابراهيم في طلبي واغلظ عليه في الوعيد والتهديد فخرج اسحاق من حضرته وجد باصحاب الشرط حتى اوقع ببعضهم المكاره وتتابع النداء في بغداد بان من جاءَ بي فله عشرة آلاف درهم واقطاع غلتها في كل سنة ثلاثة آلاف دينار وان من وجدت عنده بعد النداء هدمت داره واخذ ماله وضرب خمسمائة سوط وحبس طول عمره قال فجاءني صاحب الدار واخبرني بخبر النداء وقال ما اقدر بعد هذا على سترك ولا آمن زوجتي ولا غلامي ان تشره نفوسهم الى المال فيدلون عليك وألحّ عليّ فاخرجني تلك الساعة في اول وقت العصر فخرجت بعد ان اخذت اكثر لحيتي بالمقراض وغطيت رأسي ولبست ثوبًا باليًا وصرت امشي في المشارع وانا ميت جزعًا حتى بلغت الجسر فلما توسطته اذا انا بفارس من الجند الذين كانوا يخدمونني ايام وزارتي فعرفني وعدل الى ليقبضني فمن حلاوة النفس دفعته ودابته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر فظن الناس انه زلق بنفسه فتعادوا الى خلاصه وزدت انا في المشي ودخلت في طريق فيه باب دار مفتوح وعنده امرأة فاستجرت بها فأجارتني وأومأت

حق الاشاعرة والذهبي استاذنا والحق احق ان يتبع لا يحل لمؤمن يومن بالله تعالى واليوم الآخر ان يعتمد عليه في الضعة من الاشاعرة وقد أطلنا في تقرير هذا الفصل في الطبقات الكبرى وحكينا في ترجمة احمد بن صالح المصري ماذكره الشيخ الامام في شروط المؤرخ ومن كلام ابي عمر بن عبد البر وغيره ما يزداد به الانسان بصيرة ومن ذلك فقهاء عصر واحد فلا ينبغي سماع كلام بعضهم في بعض وقد عقد ابن عبد البر بابًا في ان كلام العلماء بعضهم في بعض لا يقبل وان كان كل منهم بمفرده ثقة حجة ومنهم من ياخذه في الفروع الحمية لبعض المذاهب ويركب الصعب والذلول في العصبية وهذا من سوء اخلاقهم ولقد رأيت في طوائف المذاهب من يبالغ في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض الى غير ذلك مما يستقبح ذكره ويا ويح هؤلاء اين هم من الله تعالى ولو كان الشافعي وابو حنيفة حيين لشددا النكير على

الى غرفة في الدار فصعدتها فلما كان بعد ساعة دخل صاحب الدار وهو مشدود الرأس يتأوّه من شجة لحقته فنظرت من الغرفة فاذا هو صاحبي الذي على الجسر فقال لزوجته فاتتني الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف ذلك قال ظفرت بالفضل بن الربيع فأردت ان اقبض عليه فدفعني وانهزم وكأن الارض ابتلعته فقالت له امرأته احمد الله تعالى على ان كفاك امره ولم تكن سبباً في سفك دمه قال ولما اختلط الظلام صعدت المرأة الى وقالت لعلك صاحب القصة قلت نعم قالت قد سمعت ما قاله فاتق الله في نفسك واخرج فدعوت لها وخرجت فرأيت رجلاً غريباً يفتح باب دار فدنوت منه وقلت له استرني سترك الله فادخلني وبت ليلتي عنده فلما اصبحنا بكر وعاد نصف النهار ومعه حصير ومخدة وقدور جدد وغضائر فيها لحم وخبز وفاكهة وثلج فدخل واغلق الباب ثم قال لي انا رجل مزين واخاف ان تستقذرني وقد افردت هذا لك فاطبخ أنت واطعمني في غضارة اجيء بها من عندي فشكرته وكنت افعل ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع استحييت منه وضاق صدري فطلبت الخروج فقال لا تفعل فاني وحيد ولست ممن يطرق فاقم الى ان يفرج الله عنك فاعتذرت وخرجت ثم اني قصدت منزل عجوز من موالينا فدققت الباب فخرجت فلما رأتني بكت وحمدت الله تعالى على رؤيتي وادخلتني فلما كان وقت السحر بكرت وانا نائم فسعت بي الى بعض اصحاب اسحق بن ابراهيم فما شعرت الا باسحق في خيله ورجله قد أحاط بالدار واستخرجني منها حتى اوقفني بين يدي المامون حافياً حاسر الرأس فلما ابصرني المأمون سجد طويلاً ثم رفع رأسه فقال يا فضل اتدري لم سجدت قال نعم يا امير المؤمنين شكراً لله تعالى على ان اظفرك بعدو دولتك والمغري بينك وبين أخيك قال ليس هذا ولكني سجدت شكراً لله تعالى على ما الهمنيه من العفو عن هذا الرجل ثم التفت الي وقال حدثني بخبرك فشرحته من اوله الى آخره فامر باحضار الجندي وامرأته والمزين والعجوز وكانت تنتظر الجائزة فقال للعجوز ما حملك على ما فعلت مع انعامه عليك

هذه الطائفة وليت شعري لم لا تركوا امر الفروع الذي العلماء فيه على قولين من قائل كل مجتهد مصيب ومن قائل المصيب واحد ولكن المخطيء يؤجر واشتغلوا بالرد على اهل البدع والاهواء وهولاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله تعالى الحمد في العقائد عقيدتهم واحدة كلهم على رأي اهل السنة والجماعة يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة ابى الحسن الاشعري لا يحيد عنها الا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بالاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا باهل التجسيم وبرأ الله تعالى المالكية فلم نر مالكياً الا اشعري العقيدة وبالجملة عقيدة الاشعري هي ماتضمنه عقيدة ابي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة وقد ختمنا كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا ان سلف الامة عليها وهي وعقيدة الطحاوي وعقيدة ابى القاسم القشيري والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات في اصول اهل السنة

قالت

قالت رغبت في المال ثم سأل الجندي بمثل ما سأل العجوز فقال مثل قولها فامر بضرب العجوز مائتي سوط وتخليدها في الحبس وامر بان يسلم الجندي الى المزينين ليتعلم الحجامة ويجعل المزين جندياً مكانه وان يجعل رزقه له وامر باستخدام زوجة الجندي في دور حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة واطلقني الى داري فرجعت اليها في آخر النهار آمناً مطمئناً * ومثل ذلك ما يروى عن فطن بن معاوية الكلابي انه قال كنت ممن خرج مع ابراهيم على ابي جعفر المنصور فلما قتل ابراهيم طلبني المنصور فاختفيت فقبض على اموالي ودوري ولحقت بالبادية فجاورت بني نصر ثم بني كلاب ثم بني فزارة ثم بني سليم ثم في بوادي قيس ولم ازل انتقل من موضع الى موضع حتى ضقت ذرعاً بالاستخفاء وتشوهت صورتي من مكابدة الضر والجفاء فازمعت للقدوم على ابي جعفر والاعتراف له وشخصت حتى قدمت بغداد فنزلت خاناً ثم قلت لغلماني اني ذاهب الى امير المؤمنين فامهلوا ثلاثاً فان جئتكم والا فانصرفوا ومضيت حتى دخلت دار الربيع والناس ينتظرونه فلما خرج تمثلت بين يديه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال من انت قلت فطن ابن معاوية قال انظر ما تقول قلت اناهو فاقبل على الخدام وقال احتفظوا بهذا ووثب فدخل على ابي جعفر ولم يطل حتى خرج خصي فاخذ بيدي وادخلني قصر الذهب ثم اتى بيتاً حصيناً فادخلنيه وأغلق علي وانطلق فلحقتني الندامة وايقنت بالبلاء فلما ارخى الليل سدوله اتاني الخصي فانطلق بي الى ستور مسدولة فخرج علينا خادم فادخلني فاذا ابو جعفر وحده والربيع قائم ناحية منه فاكب ابو جعفر هنيهة مطرقاً ثم رفع رأسه فقال هيه فقلت يا امير المؤمنين انا فطن بن معاوية قد والله جهدت عليك جهدي ونقضت عهدك وواليت عدوّك وخرجت على ان اسلبك ملكك فان عفوت فانت اهل لذلك وان عاقبت فباصغر ذنوبي تقتلني قال فسكت هنيهة ثم قال هيه فاعدت مقالتي قال فان امير المؤمنين قد آمنك وعفا عنك قال فقلت يا امير المؤمنين ضياعي ودوري مقبوضة فان رأى امير المؤمنين ان يردها

والجماعة فقل لهؤلاء المتعصبين في الفروع ويحكم ذروا التعصب ودعوا عنكم هذه الاهوية ودافعوا عن دين الاسلام وشمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسب الشيخين ابا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها الذي نزل القرآن ببراءتها وغضب الرب تعالى لها حتى كادت السماء ان تقع على الارض ومن يطعن في القرآن وصفات الرحمن والجهاد في هؤلاء واجب فهلا شغلتم انفسكم به ويا ايها الناس بينكم النصارى واليهود قد ملئوا بقاع البلاد فمن الذي انتصب منكم للبحث معهم والاعتناء بارشادهم بل هؤلاء اهل الذمة في البلاد الاسلامية تتركونهم هملا تستخدمونهم وتستبطنونهم ولا نرى منكم فقيها يجلس مع ذمي ساعة واحدة يبحث معه في اصول الدين لعل الله تعالى يهديه على يديه وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين أن تصرفوا بعض همتكم الى هذا النوع فمن القبائح ان بلادنا

عليَّ فعل قال فدعا بالدواة ثم امر خادماً له فكتب باملائه الى عبد الملك ابن ايوب النميري وهو يومئذٍ على البصرة ان امير المؤمنين قد رضي عن فطن بن معاوية وقد رد عليه ضياعه ودوره وجميع ماقبض له فاعلم ذلك وانفذه انشاء الله تعالى ثم ختم الكتاب ودفعه الي فخرجت من ساعتي وجلست بالباب الى جانب الحرس فلم البث ان خرج الربيع فقمت اليه فقال انطلق ايها الرجل فقد والله سلمت فمضى بي الى منزله فعشاني ولما اصبحت ودعته وانصرفت * يحكى عن ابي عبد الله الجصاصي انه قال كنت يوم قبض المقتدر عليَّ جالساً في داري وانا متلبس بضيقٍ لا اعرف سببه وكان دأبي اذا لحقني مثل ذلك ان اخرج جواهر كانت عندي قيمتها خمسون الف دينار فاضعها في صينية واقلبها فيزول ضيق صدري قال فاستدعيت الجواهر وفرغتها في حجري ورددت الخادم لياتيني بالصينية وانا جالس على بستان في صحن داري فيه انواع الزهور اذ دخل اعوان الخليفة بالصياح والمكروه فدهشت ونفضت ما في حجري بين تلك الزهور وقمت فقبضوا عليَّ وحملوني الى الحبس ثم صودرت بجميع ما املكه حتى لم يبق في بيتي الحصير وتقلبت الفصول على البستان فجففت ما فيه ولم يفكر احد في قلعه وزراعته وبقيت في الحبس مدة طويلة حتى ايست من الفرج ثم سهل الله اطلاقي من وجه لم يكن في الحساب فخرجت وانا ساقط الحال خلق السربال لا ادرى كيف اصنع فقلت في نفسي الاماتة ولا الشماتة وعزمت على بيع الدار والخروج بعيالي الى بلدة اخرى فحين جئت الى داري ورأيت البستان وقد جفت زهوره وتغير ما كان عليه فاخذت امشي فيه باكياً متحسراً واذا بواحدة من الجواهر فاخذتها وكدت اتلف فرحاً ثم حرصت على طلب الباقي الى ان سردت جميع البستان فوجدت جميع الجوهر ما ضاع منه حبة فسجدت شكراً لله تعالى وعلمت انه بقيت لي بقية من الاقبال صالحة وعاد حالي بذلك بعد مدة الى احسن ما كنت عليه *حكى مسرور الكبير قال استدعاني المامون فقال قد ذكر لي بان شيخاً ياتي خرابات

ملأى من علماء الاسلام ولا نرى فيها ذمياً دعاه الى الاسلام مناظرة عالم من علمائنا بل انما يسلم من يسلم منهم اما لامر من الله تعالى لا مدخل لاحد فيه اولغرض دنيوي ثم ليت من يسلم من هؤلاء يرى فقيها يمسكه ويحدثه ويعرفه دين الاسلام لينشرح صدره لما دخل فيه بل والله يتركونه هملا لا يدري ما باطنه هل هو كما يظهر من الاسلام او كما كان عليه من الكفر لانهم لم يروا من الآيات والبراهين ما يشرح صدره فيا ايها العلماء في مثل هذا فاجهدوا وتعصبوا واما تعصبكم في فروع الدين وحملكم الناس على مذهب واحد فهو الذي لا يقبله الله تعالى منكم ولا يحملكم عليه الا محض التعصب والتحاسد ولو ان الشافعي واباحنيفة ومالكاً واحمد احياء يرزقون لشدوا النكير عليكم وتبرؤا منكم فيما تفعلون فلعمر الله لا احصى عدد من رأيته يشمر عن ساعد الاجتهاد في الانكار على شافعي يذبح ولا يسمى او حنفي يلمس ذكره ولا

البرامكة فيبكي وينتحب طويلاً ثم ينشد شعراً يرثيهم به وينصرف فاركب انت والاصمعي ودينار بن عبد الله وأركيون الخادم واستتروا بين الجدران فاذا وافى الشيخ فامهلوه حتى تشاهدوا ما يفعل فاذا اراد الانصراف فاقبضوا عليه وائتوني به قال مسرور فركبت انا والقوم غلساً ووافينا الموضع واستترنا فيه فلما اصبحنا اذا بخادم اسود قد اقبل ومعه كرسي واذا رجل كهل على حماره قد وافى ونزل فجاس على الكرسي وتلفت يميناً وشمالاً ثم انتحب وبكى حتى قلت قد فارق الدنيا وانشا يقول

بكيت على الدنيا وايقنت انما * قصارى الفتى يوماً مفارقة الدنيا
أللفضل ابكي ام ليحيى بن خالد * ام اسحق ام يعقوب ابكيه ام موسى
ام الملك المصلوب من بعد عزه * ام ابكي بكاء المعولات لذى الثكلي

قال فلما فرغ من انشادها واراد الانصراف قبضنا عليه وحملناه حتى ادخلناه الى المامون فلما مثل بين يديه زجره وانتهره وقال من انت وبم استوجب البرامكة منك هذا الصنيع فقال غير هائب ولا محتشم يا امير المؤمنين ان للبرامكة على ايادي خضرة ان رسم امير المؤمنين حدثته باحدها قال هات فقال انا المنذر بن المغيرة الدمشقي من ذوي الحسب والنسب وقد نشأت في ظل نعمة قديمة فزالت كما تزول النعم عن اربابها واملقت الى غاية لا اقدر على وصفها فخرجت هائماً على وجهي من الشام ومعي نيف وعشرون امرأة واولاداً صغاراً حتى دخلت بهم مدينة السلام فانزلتهم في مسجد ثم خرجت لا ادري اين اقصد وتركت عيالي وليس معهم ما يبتاعون به رغيفاً فافضيت الى مسجد مزخرف فيه جماعة عليهم الوقار فطمعت في مخاطبتهم وجلست معهم اردد في صدري كلاماً يمنعني عن اظهاره الخجل اذ لم تكن لي عادة بمثله فانا كذلك اذ جاء خادم وطلب القوم فقاموا وقمت معهم فادخلوا داراً ذات صحن واسع واذا رجل بهي قاعد على سرير في وسط بستان فسلم القوم وجلسوا فجلست معهم وتامل الخادم الجماعة فاذا نحن مائة رجل ورجل فغاب ثم خرج ومعه مائة خادم وخادم في يد كل

يتوضأ اومالكي يصلي ولا يبسمل اوحنبلي يقدم الجمعة على الزوال وهو يرى من العوام ما لا يحصى عدده الا الله تعالى يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك واحمد ضرب العنق ولا ينكرون عليه بل لو دخل الواحد منهم بيته لرأي كثيراً من نسائه يتركون الصلاة وهو ساكت عنهن فيا لله للمسلمين اهذا فقيه على الحقيقة قبح الله تعالى مثل هذا الفقيه ثم مابالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تنكرون المكوس والمحرمات المجمع عليها ولا تاخذكم الغيرة لله تعالى فيها وانما تاخذكم الغيرة للشافعي وابي حنيفة والمدارس المزخرفة فيؤدي ذلك الى افتراق كلمتكم وتسلط الجهال عليكم وسقوط هيبتكم عند العامة وقول السفهاء في اعراضكم مالا ينبغي فتهلكون السفهاء بكلامهم فيكم لان لحومكم مسمومة على كل حال لانكم علماء وتهلكون انفسكم بما ترتكبونه من العظائم * ومنهم طائفة تبعت طريقة ابي نصر الفارابي وابي علي بن سينا وغيرهما

واحد مجمرة ذهب فيها قطعة عنبر اشهب وعليهم افخر الثياب بمناطق الذهب المرصع فطافوا بالمجامر ثم اقبل القاضي فخطب وعقد نكاح ابن عم صاحب السرير من بنت سميت بعائشة بنت نوبهار على صداق قدره مائة الف درهم ثم اخذوا في نثار فتات المسك وبنادق العنبر والتقط الناس والتقطت ثم اقبل تلك الخدم وفي ايديهم صواني الفضة فوضعوا بين يدي كل واحد منا صينية فيها الف دينار فاقبلت الجماعة يجعلون الدنانير في اكمامهم والصواني تحت آباطهم وينصرف الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية وما فيها والحاجة تمنعني عن تركها ففطن صاحب السرير لامري فاستدناني وسألني عن حالي وقصتي فصدقته ولما بلغت الى تركي لعيالي في المسجد بكى وقال لولده موسى يا بني هذا رجل من اولاد النعم قد رمته الايام بصروفها والنوائب بحتوفها فخذه واصطنعه لنفسك فاخذني موسى الى داره واكرمني اجمل الاكرام ثم اخذني العباس من غد فكان يومي عنده احسن من امس واقبلوا يتداولوني واحداً بعد واحد الى عشرة ايام وانا قلق من عيالي الا اني لا اذكرهم اجلالاً للسادة فلما كان اليوم العاشر جاءني خادم فقال لي يا هذا قم لعيالك فقمت والخادم يمشي بين يدي حتى ادخلني الى دار بهية وفيها من صنوف الفرش والآلات ما ادهشني واذا بعيالي يرتعون في الديباج والشنوف وقد حمل اليهم مائة الف درهم وعشرة آلاف دينار ثم سلمني الخادم صكا في ضيعتين وقال هذه الدار وما فيها والضيعتان بغلاتهما لك فاقمت مع البرامكة نحو عشرين سنة في اخفض عيش الى ان نزلت بهم النازلة فقصدني عمرو بن مسعدة وألزمني بخراج الضيعتين عن السنين الماضية فلحقتني شدة اعظم من الاولى وتتابعت على المحن فصرت كلما زاد بي الالم اقصد دورهم وابكي فاجد لذلك راحة قال فلما سمع حديثه المامون بكى واستدعى بعمرو بن مسعدة وامره ان يرد على الرجل كل ما استخرجه منه ويقرر عليه الضيعتين وضيعتين آخرتين فعند ذلك بكى الشيخ بكاءً شديداً فقال له المامون الم نستأنف بك

من الفلاسفة الذين نشؤا في هذه الامة واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم وسموها الحكمة الاسلامية ولقبوا انفسهم حكماء الاسلام وهم احق بان يسموا سفهاء جهلاء من اين يسمون حكماء اذهم اعداء انبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام والمحرفون الكلم الشرعي عن مواضعه عكفوا على دراسة ترهات هولاء الاقوام وسموها الحكمة واستجهلوا من عري عنها ولا تكاد تلقى احداً منهم يحفظ قرآنا ولا حديثاً عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولعمر الله ان هؤلاء لاضر على عوام المسلمين من اليهود والنصارى لانهم يلبسون لباس المسلمين ويزعمون انهم من علمائهم فيقتدي العامي بهم وهم لا يعتقدون شيئاً من دين الاسلام بل يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة

وما انتسبوا الى الاسلام الا
لصون دمائهم ان لا تسالا
فياتون المناكر في نشاط
وياتون الصلاة وهم كسالى

فالحذر الحذر منهم وقد افتى

الاحسان فما سبب بكائك قال بلى يا امير المؤمنين ولقد زدت والله في الفضل لكن هذا ايضاً من بركة القوم فاني لو لم ازر خراباتهم كيف كنت اتوصل الى مثل هذا فقال المامون نعم هذا ايضاً من بركة القوم رحمهم الله تعالى فامض آمنا وأقم على شكرهم فان الوفاء مبارك وحسن العهد من الايمان * يحكى انه لما خرج ابراهيم بن المهدي على المامون ثم انهزم واستتر مدةً الى ان عاف حياته من شدة ما هو فيه من الضيق فخرج ليلةً من الموضع الذي كان فيه مستخفياً يريد موضعاً آخر في زي امرأة فاحس به رجل من الحرس وعرفه فلما اراد قبضه قال له ابراهيم خذ خاتمي قيمته ثلاثون الف دينار وأطلقني فابى وحمله الى صاحب الشرطة فاتى به المامون فلما ادخل الدار وعرف خبره جلس المامون مجلساً عاماً وادخل ابراهيم بين يديه وفي عنقه الغل وفي رجليه قيدان فقال له المامون هيه يا ابراهيم فقال يا امير المؤمنين ان ولي الثار محكم من القصاص والعفو اقرب للتقوى ومن تناولته يد الاغترار بما مدله من اسباب الرجاء أمن عادية الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذي عفو كما جعل كل ذي ذنب دوني فان تؤاخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قال

ذنبي اليك عظيم * وانت اعظم منه
فخذ بحقك اولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالى * من الكرام فكنه

فرق له المأمون واقبل على اخيه ابي اسحق وابنه العباس وسائر القواد وقال ماترون في امره فالكل أشار بقتله وانما اختلفوا في القتلة فقال بعضهم يضرب عنقه وبعضهم يقرض لحمه والبعض قال تقطع اطرافه ويترك حتى يموت فالتفت المأمون لاحمد بن ابى خالد وقال له ما تقول انت يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيراً وان عفوت لم نجد مثلك قد عفا عن مثله فاطرق المأمون ملياً ثم رفع رأسه وقال اعدما قلت يا احمد فاعاده فقال بل ننفرد بالفضل ولا نقبل الشركة فكشف ابراهيم المقنعة عن رأسه وكبر تكبيرة عالية وقال عفا والله امير المؤمنين عني وبكى

جماعة من ائمتنا ومشيختنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال في الفلسفة *واما المنطق فقد ذكرنا كلام الائمة والشيخ الامام فيه في اوائل شرح مختصر ابن الحاجب والذي نقوله نحن انه حرام على من لم ترسخ قواعد الشريعة في قلبه ويمتلئ جوفه من عظمة هذا النبي الكريم وشريعته ويحفظ الكتاب العزيز وشيئاً كثيراً جداً من حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على طريقة المحدثين ويعرف من فروع الفقه ما يسمى به فقيها مفتياً مشاراً اليه من اهل مذهبه اذا وقعت حادثة فقهية ان ينظر في الفلسفة واما من وصل الى هذا المقام فله النظر فيها للرد على اهلها ولكن بشرطين احدهما ان يثق من نفسه بانه وصل الى درجة لا يزعزعها رياح الاباطيل وشبه الاضاليل واهواء الملاحدة والثاني ان لا يمزج كلامهم بكلام علماء الاسلام فلقد حصل ضرر عظيم على المسلمين بمزج كلام الحكماء بكلام المتكلمين وادى الحال الى طعن المشبهة وغيرهم من رعاع

فقال له المأمون لا بأس عليك ياعم قد عفوت عنك فاستأنف الطاعة ورد ماله وضياعه *حكي ابو الحسان الزيادي قال اضقت اضاقة بلغت مني الجهد حتى ألح على القصاب والخباز والبقال وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة فبينا انا على تلك الحال اذ دخل علي غلامي فقال رجل بالباب يستأذن فقلت ائذن له فدخل رجل خراساني فسلم وقال الست ابا الحسان فقلت نعم ما حاجتك قال انا رجل غريب من خراسان ومعي بدرة فيها عشرة آلاف درهم فاريد ان اضعها عندك الى ان اقضي حجي وارجع فقلت هات البدرة فاحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم ثم احضرت المعاملين واديت منها كل من كان له علي دين وقلت اضمن المال للخراساني فالى ان يجيء يأتي الله بالفرج فكنت يومي ذلك في سعة فلما اصبحت من غد دخل الغلام فقال الخراساني بالباب فقلت ائذن له فدخل وقال اني كنت عازماً على ما اعلمتك به فلما خرجت من عندك ورد علي الخبر بوفاة والدي وقد عزمت على الرجوع الى بلدي فتأمر لي بالمال الذي اعطيتك امس فورد علي من الالم والحيرة ما اخرسني ثم فكرت وقلت له عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز فلما اخذت مالك بالامس وجهت به الى من اثق فتعود في غد وتقبضه فانصرف وبقيت متحيراً لا ادري ما اصنع وادركني الليل فلم اقدر على الغمض ولا القرار حتى طلع الفجر فقمت للغلام وقلت اسرج البغلة وركبت وانا لا اعرف اين اتوجه والبغلة تسير بي فعدلت بي الى الجسر واخذت يمنة دار المأمون فتركتها الى أن قربت دار المأمون والدنيا مظلمة في عيني واذا بفارس قد تلقاني وقال ألست ابا الحسان الزيادي فقلت نعم قال الامير حسن بن سهل يطلبك فدخلت اليه فقال يا ابا الحسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطعت عنا قلت لاسباب وذهبت اعتذر اليه من التخلف فقال دع عنك هذا انت في لوثة وضيق فاني رأيتك البارحة في تخليط كثير فابتدرت وشرحت له الحال فقال لا يغمك الله يا ابا الحسان هذه بدرة للخراساني وبدرة اخرى تتسع بها

الخلق في اصحابنا وما كان ذلك الا في زماننا وقبله بيسير منذ نشأ نصير الطوسى ومن تبعه لاحياهم الله تعالى فان قلت فقد خاض حجة الاسلام الغزالى والامام فخر الدين الرازى في علوم الفلاسفة ودونوها وخلطوها بكلام المتكلمين فهلا تنكر عليهما قلت ان هذين امامان جليلان ولم يخض واحد منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين وضربت الامثال باسمهما في معرفة علم الكلام على طريقة اهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم فاياك ان تسمع شيئاً غير ذلك فتضل ضلالاً مبيناً فهذان امامان عظيمان وكان حقاً عليهما نصر المؤمنين واعزاز هذا الدين بدفع ترهات اولئك المبطلين فمن وصل الى مقامهما لا يلام عليه بالنظر في الكتب الفلسفية بل هو مثاب ماجور واما طائفة في زماننا هذا او قبله بيسير عكفت على هذه الحكمة المفتنة من حين نشأت لا تدري شيئاً سواها اشتبه عليها اقوال كفارها باقوال

فاذا نفدت اعلمنا فرجعت من ساعتي وقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله سبحانه عني *حكي احمد بن ابي دواد قال ما رأيت رجلاً عاين الموت فما اذهله ثم خلصه الله تعالى من القتل بعد ان بلغه الا تميم بن جميل فاني رأيته بين يدي المعتصم وقد بسط له النطع وجرد له السيف وكان رجلاً وسيماً فاحب المعتصم ان يستنطقه ليعلم منظره من مخبره فقال له تكلم قال اما اذا أذن امير المؤمنين في الكلام فالحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا امير المؤمنين جبر الله بك الدين ولم بك شعث المسلمين ان الذنوب تخرس الالسنة وتخلع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك وابقاؤك وانشأ يقول

ارى الموت بين النطع والسيف كامناً * يلاحظني من حيث لا اتلفت
واكثر ظني انك اليوم قاتلي * واي امرئ مما قضى الله يفلت
وما جزعي من ان اموت وانني * لأعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * واكبادهم من حسرة تتفتت
كأني اراهم حيث انعى اليهم * وقد خدشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا حافظين بغبطة * اذود الردى عنهم وان مت موتوا

فاستعبر المعتصم ثم قال يا تميم قد عفوت عن الهفوة ووهبتك للصبية وامر بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على الفرات *يحكى ان رجلاً ببغداد ورث من ابيه مالاً جليلاً فاسرف فيه واتلفه حتى أفضى الى بيع ابواب داره وسقوفها وبقي مدة لا قوت له الا من غزل امه فرأى ليلة في المنام كأن قائلاً يقول له غناك بمصر فاخرج اليها فلما اصبح ذهب الي بعض معارفه وطلب منه نفقة تبلغه مصر وخرج ماشياً حتى حصل بمصر فلما دخلها وقد نفدت نفقته بقي متحيراً واستمر يمشي في الطريق حتى ادركه الليل وتأبى نفسه المسألة من الناس الى ان مضى من الليل نصفه فلقيه الطائف فقبض عليه وسأله عن حاله فلم يصدقه فبطحه وضربه مقارع فصاح واستغاث وقال

علماء الاسلام وتصرفت فيها بعقل خسيف لم يقم بكتاب وسنة ولم يضيء له نور ببرهان من النبوات ثم تعتقد انها على شيء فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة وقد اعتبرت ولا ينبئك مثل خبير فلم اجد اضر لاهل عصرنا وافسد لعقائدهم من نظرهم في الكتب الكلامية التي انشأها المتاخرون بعد نصير الدين الطوسى وغيره ولو اقتصروا على مصنفات القاضى ابي بكر الباقلاني والاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني وامام الحرمين ابي المعالي الجويني وهذه الطبقة لما جرى الا الخير ورأيي فيمن اعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحا نحوه وترك قول المسلمين قال ابو بكر وقال عمر رضي الله تعالى عنهما وقال الشافعي وقال ابو حنيفة وقال الاشعري وقال القاضي ابو بكر الى قوله قال الشيخ الرئيس يعني ابن سينا وقال خواجا نصير ونحو ذلك ان يضرب بالسياط ويطاف به في الاسواق وينادي عليه هذا

له أنا اصدقك فقال هات فقصّ عليه القصة من اولها الى آخرها فقال له الطائف ما رأيت رجلاً احمق منك والله لقد رأيت منذ كذا كذا سنة في المنام كأن قائلاً يقول لي ببغداد في الشارع الفلاني بالمحلة الفلانية دار يقال لها دار فلان قال فذكر شارعه ومحلته وداره فسكت واصغى فأتم الشرطي الحديث وقال فيها بستان وفي البستان سدرة تحتها مدفون ثلاثون الف دينار امض فخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وقلت اضغاث احلام وانت تفارق اهلك ووطنك بسبب منام ثم استقل بعقله واطلقه فقوي قلبه بذلك وخرج في غد من مصر وقدم بغداد فقلع السدرة فوجد تحتها ثلاثين الف دينار فأخذها ودبر امره واثرى * حكى ابراهيم الخواص الصوفي قال ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر بنا فنجا منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا الى ساحل لا ندري اي مكان هو فاقمنا فيه اياماً لا نجد ما نقتاته فايقنا بالموت وقال بعضنا لبعض تعالوا حتى نجعل لله عز وجل علينا نذراً ان نجانا مما نحن فيه فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا لا نفطر الدهر كله وقال بعضنا اصلي كل يوم كذا وكذا ركعة وقال بعضنا أدع اللذات الى ان قال كل واحد منا شيئاً وانا ساكت فقالوا لي قل انت شيئاً فلم يجر على لساني الا ان قلت لا آكل لحم فيل ابداً فقالوا ما هذا الهزل في مثل هذا الحال فقلت والله ما تعمدت الهزل ولكن منذ بدأتم لا زلت اعرض على نفسي شيئاً ادعه لله تعالى فلا يخطر على قلبي غير ما لفظت قال فلما كان بعد ساعة اخذنا نطوف الارض متفرقين فوقع احدنا على ولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض واجتمعنا فاحتال اصحابنا حتى شووه وجلسوا يأكلون وكلفوني فأبيت وقلت لا انقض عهدي ولو مت جوعاً ثم ان اصحابي اكلوا وأقبل الليل فتفرقنا الى المبيت واذا بفيل عظيم قد وافى وهو ينعر والصحراء تندكدك من شدة جريه وضجيجه فاخذنا في الاستغفار والتشهد وطرح القوم وجوههم على الارض فجعل الفيل يقصدنا واحداً بعد واحد فيشمه من اول جسده الى آخره ثم يرفع احدى قوائمه

فيضعها

جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل باباطيل المبتدعين اوما يستحي من يتخذ اقوال ابن سينا وتعظيمه شعاراً من الله تعالى اذا قرأ قوله تعالى أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه ويذكر انكار ابن سينا لحشر الاجساد وجمع العظام ومنهم اعني هؤلاء فرقة ضمت الى هذا القدر من الحكمة النظر في كتاب الكشاف للزمخشري من التفسير وقالت نحن متشرعون وعارفون بتفسير كتاب الله تعالى واعلم ان الكشاف كتاب عظيم في بابه ومصنفه امام في فنه الا انه رجل مبتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر النبوة كثيراً ويسيء ادبه على اهل السنة والجماعة والواجب كشط ما في الكشاف من ذلك كله ولقد كان الشيخ الامام يقرئه فاذا انتهى الى كلامه في قوله تعالى في سورة التكوير انه لقول رسول كريم الآية اعرض عنه صفحا وكتب ورقة حسنة سماها سبب الانكفاف عن اقراء الكشاف وقال فيها قد رأيت كلامه على قوله تعالى عفا الله عنك وكلامه في سورة التحريم وغير ذلك من الاماكن التي اساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعرضت عن اقراء كتابه حياء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما في كتابه من الفوائد والنكت البديعة فانظر كلام الشيخ الامام الذي برز في جميع العلوم واجمع الموافق والمخالف على انه بحر البحار منقولا ومعقولا في هذا الكتاب التي اتخذت الاعاجم دراسته في هذا الزمان ديدنها والقول عند نافيه انه لا ينبغي ان يسمح بالنظر فيه الا لمن صار على منهاج السنة لا تزحزحه شبهات القدرية ومنهم فرقة ترفعت عن هذه الفرقة وقالت لا بد من ضم علم الحديث الى التفسير فكان قصاراها النظر في مشارق الانوار للصاغاني فان ترفعت ارتفعت الى مصابيح البغوى فظنت انها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين وما ذاك الا لجهلها بالحديث فلو حفظ من ذكرنا

فيضعها عليه فيفسخه فاذا علم انه قد اتلفه قصد الآخر الى ان لم يبق غيري فقصدني وفعل بي كما فعل باصحابي ثم اعاد تشممي مرتين وثلاثاً ولم يكن فعل ذلك باحد منهم ثم لف خرطومه فأشالني على ظهره وانطلق مهرولاً ولم يزل على ذلك حتى طلع الفجر فاذا به قد لف خرطومه عليّ فقلت قد حضر الأجل واكثرت من الاستغفار فاذا هو قد انزلني من ظهره وتركني على الارض ورجع فأخذتني غشية فلم ارفع رأسي حتى احسست بالشمس فقمت واذا انا على محجة عظيمة فمشيت نحواً من فرسخ فانتهيت الى بلدة كبيرة فدخلتها وعجب اهلها مني وسألوني عن قصتي فاخبرتهم فزعموا ان الفيل قد سار تلك الليلة مسيرة ايام واستظرفوا سلامتي * يحكى عن محمد ابن علي بن مقلة قال كنت عند ابي علي بن يحيى العلوي بالكوفة اذ دخل عليه غلام له فقال يا مولاي اخذ الاسد فلاناً وكيلنا وذهب به الى الاجمة الفلانية فانزعج وقال من اي موضع أخذه قال من موضع كذا فقال ابو علي سبحان الله منذ كذا كذا سنه اخذ الاسد أبا هذا الشاب من هذا الموضع بعينه وادخله الى تلك الاجمة قال ثم سليناه وعدنا الى المحادثة فبينا نحن كذلك اذ دخلوا عليه غلمانه متبادرين فقالوا قد وافى فلان ودخل الرجل فسأله ابو علي فقال له اخذني السبع وحملني حتى ادخلني الاجمة وقد زال عقلي فلم اعرف من امري الا انني افقت فلم اره ووجدت اعضائي سالمة فقمت امشي فعثرت بشيء فتأملته فاذا هو هميان فاخذته وشددت به وسطي ومشيت الى ان بعدت عن الموضع فلما طلعت الشمس احسست بكلام المارين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت بغل احدهم ثم فتحت الهميان فاذا فيه رقعة بخط ابي يذكر فيها مقدار الدنانير وما انفقه منها ثم اخرج الهميان والرقعة فرأيناه وعجبت الجماعة من ذلك فسبحان اللطيف الواهب * والموصل رغائبه الجليلة من وجوه المصائب * يحكى ان فتى من الكتاب ورث من ابيه مالاً جليلاً اتلفه في القيان حتى احتاج الى نقض داره فانقطع عن الناس وكان لابيه صديق يتعاهده قال فدخل

عليه يوماً فوجده نائماً في البيت على حصير خلق وقد تغطى بقطن كانه حشو لحاف وهو بين ذلك القطن كانه السفرجل الطري فقال له الصديق ويحك بلغت هذا الحال وبكى فقال له لي اليك حاجة قال وما هي قال ان تحملني الى دار فلانة حتى اراها ويعني بها المغنية التي كان يعشقها واتلف ماله بسببها قال الرجل فاردت صرفه عن ذلك فلم ينصرف وبكى بكاءً شديداً فرققت له ومضيت الى منزلي فجئته بثياب وادخلته الحمام وحملته الى بيتي فاطعمته وبخرته ثم قصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك في ان حاله قد صلحت وانه جاءها بدراهم فبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن حاله حتى انتهى الى ذكر الثياب فقالت له في الحال قم فاخرج من الدار قال لم قالت لئلا تأتي سيدتي فتراك وليس معك شيء فتغضب على لما ادخلتك ولكن اذا خرجت من الدار أصعد فاكلمك من روزنة الدار قال فلما خرج وجعل ينتظرها صعدت وقلبت عليه من الروزنة مرقة سكباج وصيرته آية ونكالاً ثم ضحكت ضحكاً مؤذياً فلما رأى الفتى ذلك بكى وقال يا أبا فلان بلغ امري الى ههنا اشهد الله واشهدك اني تائب عنها فاخذت اعنفه وقلت بعد هذا الحال ما تنفعك التوبة ثم رددته الى بيته ونزعت ثيابي عنه وتركته بين القطن كما كان اولاً وايست منه فما عرفت له خبراً نحو ثلاث سنين فانا ذات يوم في باب الطاق واذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسي فاذا به على برذون فاره وثياب حسنة فحين رأيته علمت ان حاله صلحت فقبلت خده وقلت يا سيدي ابو فلان قال نعم البيت البيت فقلت له اي شيء هذا قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر قال فتبعته حتى انتهيت الى باب داره فاذا بالدار الأولى قدرمها وبني فيها بيوتاً حسنة وفرشها بفرش لطيفة ورأيت في الدار ثلاث غلمان وخادماً كان لابيه قد رده واقامه على حرمه وشيخاً كان يصحبهم قديماً جعله بواباً وخادماً آخر جعله وكيلاً يتسوق له فادخلني حجرة كان يخلو بها قديماً وقد اعادها وزخرفها ثم جاء الغلمان بفاكهة نظيفة وبعدها طعام لطيف ثم بالمشام

والرياحين

هذين الكتابين عن ظهر قلب وضم اليهما من المتون مثليها لم يكن محدثاً ولا يصير بذلك محدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط فان رامت بلوغ الغاية في الحديث على زعمها اشتغلت بجامع الاصول لابن الاثير وان ضمت اليه كتاب علوم الحديث لابن الصلاح او مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووي ونحو ذلك حينئذ ينادي من انتهى الى هذا المقام محدث المحدثين وبخاري العصر وما ناسب هذه الالفاظ الكاذبة فان من ذكرناه لا يعد محدثاً بهذا القدر وانما المحدث من عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال والعالي والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند احمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثية هذا اقل درجاته فاذا سمع ما ذكرناه وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم على العلل والوفيات والاسانيد كان في

والرياحين والكل متوسط من غير سرف ثم مدت ستارة فنام ولم تكن تلك عادته فبعد هنيهة انتبه فتوضا وتبخر بقطعة ند جيد وقام فصلى صلاة حسنة فقلت يا سيدي ما هذه الترتيبات التي لست اعرفها قال دع عنك وخذ ما نحن فيه واقبل يشرب وحضرت ثلاث جوار في نهاية الغناء فجلسن من وراء الستارة وشرعن في غناء ما سمعت بمثله فلما طابت نفسي ونفسه قال يا ابا فلان تذكر يوم عاملتني المغنية فلانة بما عاملتني به وما كنت فيه من الشدة قلت نعم والحمد لله الذي كشف عنك ذلك فقال كل ما سبق كان تأديباً من الله سبحانه وما استفدته من العقل والمعرفة بامر الدنيا مسلاة عما ذهب مني فقلت يا سيدي من اين هذه النعمة قال مات ابن عم لي وخادم كان مولى لابي في يوم واحد فحصل لي من تركتهما اربعون الف دينار ووصل اكثرها وانا بين ذلك القطن الذي رايتني فيه فحمدت الله تعالى وعقدت بعده التوبة ودبرت امري فعمرت هذه الدار بألف دينار واشتريت من الآلات والفرش والجواري بسبعة آلاف دينار وسلمت الى بعض الثقات من التجار اربعة الاف دينار يتجر لي فيها واودعت بطن الارض عشرة آلاف دينار للشدائد والحوادث وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد على مقدار نفقتي وانا اتقلب في نعم الله عز وجل ومن تمام النعمة ان لا اعاشرك ولا احداً ممن كان يحب السرف يا غلمان اخرجوه قال فاخرجت وما اذن لي في الدخول عليه بعدها * يحكى انه كان ببغداد رجل من اولاد النعم ورث من ابيه مالاً جزيلاً وكان يعشق مغنية فانفق عليها شيئاً كثيراً ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل الى ان افلس فصبرت معه على الشدة مدة ثم قالت له قد رأيت لك رأياً قال ما هو قالت أن تبيعني وتتجر بثمني واحصل انا في نعمة فان مثلي لا يشتريها الا موسر فنتخلص مما نحن فيه فحملها الى السوق وباعها من رجل هاشمي من اهل البصرة بالف وخمسمائة دينار قال الرجل فحين لفظت بالبيع ندمت واندفعت في البكاء وصارت الجارية في اقبح من صورتي وجهدت في

اول درجات المحدثين ثم يزيد الله تعالى من يشاء ما يشاء * ومنهم فرقة ترفعت وقالت نضم الى الحديث الفقه فكانت غايتها البحث في الحاوي الصغير لعبد الغفار القزويني والكتاب المذكور اعجوبة في بابه بالغ في الحسن اقصى الغايات الا ان المرء لا يصير به فقيها ولو بلغ عنان السماء وهذه الطائفة تضيع في تفكيك الفاظه وفهم معانيه زماناً لو صرفته الى حفظ نصوص الشافعي وكلام الاصحاب لحصلت على جانب عظيم من الفقه ولكن التوفيق بيد الله تعالى * ومنهم طائفة صحيحة العقائد حسنة المعرفة للفروع الا انها لم ترع جانب الله تعالى حق الرعاية فكان علمها وبالاعليها في الحقيقة قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس عذاباً عالم لم ينفعه الله تعالى بعلمه وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم اول مايسعر النار يوم القيامة رجل عالم فيندلق لسانه فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه اهل النار فيقولون ياهذا اليس كنت تامرنا

الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيـــل واخذت الدنانير وانا لا ادري الى اين اذهب فلما رجعت دخلت في طريقي الى مسجد وجلست ابكي وافكر فيما اعمل فحملتني عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فما شعرت الا بانسان قد جذب الكيس من تحت رأسي فانتبهت فزعاً واذا بشاب قداخذ الكيس وهو يعدو فقصدت اعدو وراءه فاذا رجلاي مشدودة بخيط قنبٍ الى وتدٍ مضروب في ارض المسجد فناني امرٌ اشدّ من الاول فجئت الى دجلة ورميت نفسي في الماء لاغرق فظنّ الحاضرون ان ذلك لغلط وقع فطرح قوم نفوسهم خلفي فاخرجوني وسألوني عن امري فاخبرتهم فمن بين راحم ومستجهل ثم عن لي أن اقصد واسطاً وكان لي بها اقارب فجئت الى الكثيبين فاذا بزلال كبير وقماش فاخر ينقل اليه فسألت عمن يحملني الى واسط فقال احد ملاحي الزلال نحن نحملك ولكن هذا الزلال لرجل هاشمي من اهل البصرة ولا يمكننا حملك معه على هذا الحال فالرأي ان نلبس من ثيابنـــا وتجلس كانك واحد منا فحين سمعت بالهاسمي طمعت ان يكون مشترى جاريتي فغيرت لباسي وجلست معهم فما كان باسرع من ان اقبلت الجارية ومعها جاريتان يخدمانها ثم جاء الهاشمي ومعـــه اخوته فنزلوا في الزلال وانحدروا فاقبل الهاشمي على الجارية وقال الى كم هــذه المدافعة ولزوم البكاء ما انت اول من فارق مولى وما زالوا يرفقون بالجارية الى ان استدعت بالعود واندفعت تغني

ان الخليط بمن عرفت فادلجوا عمداً لقتلك ثم لم يتحرجوا
وغدت كأنّ على ترائب نحرها جمر الغضا في ساعةٍ تتاجج

ثم غلبها البكاء وقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت انا مغشياً على فظنّ الملاحون اني قد صرعت فاذّن بعضهم في اذني فافقت بعد ساعةٍ وما زالوا يدارونها و يرفقون بها الى ان اصلحت العود ثانياً واندفعت تغني

فوقفت انشد بالذين تحملوا وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم اسائل عنهم والدار خالية المنازل بلقع

بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه وفي الحديث ايضاً ان اشد الناس حسرة يوم القيامة رجلان رجل علم علماً فيرى غيره يدخل به الجنة لعمله به وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار وكان الشيخ ابو اسحاق الشيرازي يستعيذ بالله من هذا العلم حيث كان يقول نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا و ينشد

علمت ماحلل المولى وحرمه
فاعمل بعلمك ان العلم للعمل

وفي مثل هذه الطائفة يقول الشاعر وهو ابو الاسود الدؤلي رضى الله تعالى عنه

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام من الضنا
ومن الضنا مذ كنت انت سقيم
واراك تلقح بالرشاد عقولنا
ابداً وانت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم

ثم شهقت شهقةً كادت تتلف ولحقني مثل ذلك و بلغنا الى قرب المدائن فقال الهاشمي اصعد وابنا الى الشط فطرحوا الزلال وصعدت الجماعة فتفرقوا لحوائجهم وخلا المكان فمشيت حتى صرت خلف الستارة واخذت العود وغيرت طريقته ورجعت الى موضعي فلما فرغ القوم اخذوا يسألون الجارية في أن تتكلف الغناء فاخذت العود وجسته فشهقت وقالت قد والله اصلح هذا العود مولاي على طريقة من الضرب كان بها معجباً فقال لها الهاشمي والله لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته ثم جدوا في طلبي فعرفتهم بنفسي وجاؤا بي الغلمان الى الرجل فحين رآني قال ويحك ما الذي اصارك الى هــذا الحال فصدقته عن امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته رقةً لنا ثم قال يا هذا والله ما وطئت هذه الجارية ولا سمعت غناءها الا اليوم وانا لله الحمد رجل موسعٌ عليّ وعنــدي عدّة مغنيات في البصرة فحيث كنتما على هذه الحال فانا اغتنم المكرمة والثواب واشهد الله اني اذا وصلت الى البصرة عتقتها وزوجتك بها على شريطة ان لا تمنعاني غناء كما فقلت وهل ابخل بهذا على من يرد حياتي واخذت اقبل يده فاستدعى غلاماً له وامره بتغيير لباسي ثم عدت واحضر النبيذ والرياحين واندفعت الجارية تغني بنشاطٍ وسرور فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك اياماً الى ان بلغنا الى نهر معقل فصعدت الى الشط وحملني السكر على النوم فنمت واندفع الزلال واصبحوا فلم يجدوني وما انتبهت الاّ بحر الشمس فجئت الى الشطّ فلم ارَ لهم عيناً ولا اثراً فبقيت على شاطئ النهر كاوّل يومٍ بدأت بي المحنة ثم اجتازت بي جماعة فصرت معهم الى البصرة فلما دخلتها جئت الى بقّال كان على باب الخان الذي نزلته وطلبت منه ورقةً ودواة وجلست اكتب فاستحسن البقال خطى وعرف اني ممتحن فسالنى عن حالي فشرحت له امري فدعاني الى ان اتزوج ابنته ويشاركني في الدكان ففعلت ولزمت الدكان والحال يقوي الا انني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط و بقيت على ذلك مدة الى ان اقبل الربيع فرأيت اهـل اللعب

فهناك يقبل ان وعظت و يقتدي
بالقول منك ويقبل التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

فهذه الطائفة اذا واخـذها الله تعالى فلا ينبغى ان تعتب وتقول نحن من اهل العلم فان صنعها ليس بصنع اهل العلم بل هؤلاء كما قال الله تعالى لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا الآية فما قوبلوا الا بعدل من الله تعالى * ومنهم طائفة لا تترك الفرائض ولكنها احبت العلم والمناظرة وان يقال فلان اليوم فقيه البلدة حباً اختلط بعظمها ولحمها واستغرقت فيه اكثر اوقاتها واستهانت بالنوافــل ونسيت القرآن بعد حفظه وشمخت بآنافها مع ذلك وقالت نحن العلماء واذا قامت لصلاة الفريضة قامت اربعاً لا يذكر الله تعالى فيها الا قليلا مزجت صلاتها بالفكر في باب الحيض ودقائق الجنايات وربما جاء ليقول اياك نعبد واياك نستعين فسبق لسانه الى ماهو فيه مفكر من جزئيات الفروع فينطق به ثم اذا سألت واحداً من هذه الطائفة اصليت

والظرفاء مجتازين فسالت عن السبب قالوا هذا يوم في السنة يخرج فيه
الناس الى الابلة بالطعام والشراب والقيان فقلت انظر هذا المنظر وخرجت
فحين وصلت الى الابلة اذا بالزلال بعينه سائرًا في نهر الابلة واصحابى على
سطحه ومعهم عدة مغنيات فلما رأيتهم لم اتمالك فرحًا وطرحت نفسي اليهم
فحين رأوني عرفوني وكبروا وسألوني عن قصتي فاخبرتهم بها فقالوا لما
فقدناك لم نشك انك بالسكر وقعت في النهر وغرقت فخرقت الجارية
ثيابها وجزت شعرها وكسرت العود فما منعناها عن شيء من هذا والآن
قد لبست الثياب السود وعملت قبرًا في بيت من الدار وجلست عنده
ثم اخذوني معهم فحين دخلت الدار ورأيتها بتلك الصورة شهق كل منا
شهقة كدنا نتلف واعتنقنا فما افترقنا بعد ساعة طويلة ثم ان الهاشمي عتقها
وزوجني بها كما وعدني ودفع الينا ثيابًا كثيرة وحمل الى خمسمائة دينار
واجرى على كل شهر ما يقوم بنفقتي ونفقة الجارية على الشرط في المنادمة
وسماع الغناء * حكى عبدالله الجوهري قال لما نكبني المقتدر وصادرني بجميع
ما املكه حتى لم يبق في بيتي ما اقتات به يومًا واحدًا اصبحت في بعض الايام
وانا من الضيق الوبيل والحبس الطويل اتمنى الموت العاجل . واضرع الى الله
تعالى في البكور والاصائل . اذ جاءني خادم السيدة اعني ام المقتدر فقال
لك البشري قد شفعت فيك السيدة وبعثتني لاطلقك واحملك اليها فقمت
معه حتى اجتاز بي في بعض دور الخليفة فوقعت عيني على اعدال خيش
لي اعرفها وكان مبلغها مائة عدل وكانت هذه الاعدال قد حملت الي من
مصر في كل عدل منها الف دينار من مال كان لي هناك ووضع فوقها
الخيش خوفًا من اللصوص في الطريق وكنت ما اخرجته من الاعدال
لاستغنائي عنه فلما صودرت بجميع مالي اخذ الخيش في جملة ما اخذ
ولخسته طرح في جانب من دار الخليفة فلما رأيته طمعت في خلاصه وقوى
قلبي بذلك فلما كان بعد ايام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي
اليها وسالتها ان تدفع الى ذلك الخيش لا بيعه وانتفع بثمنه حيث لم تبق

سنة الظهر قال لك قال الشافعي
رضي الله تعالى عنه طلب العلم
افضل من صلاة النافلة او قلت
له أخشعت في صلاتك قال
لك ليس الخشوع من شرائط
صحة الصلاة او قلت له أنسيت
القرآن الحكيم قال لك لم يقل
ان نسيانه كبيرة الاصحاب
العمدة وما الدليل على ذلك وأنا
لم انس الجميع فاني احفظ الفاتحة
وكثيرًا من القرآن غيرها فقل
له أيها الفقيه كلمة حق اريد بها
باطل ان الشافعي لم يعن ما اردت
فكلامه تقرير لسنا له الآن
ويخشى على من هذا شانه المروق
من الدين رأسًا * اخبرنا الحافظ
ابو العباس بن المظفر بقراءتي عليه
انبأنا احمد بن هبة الله بن عساكر
بقراءتي عليه اخبرنا الامام ابو
بكر القاسم بن الامام ابي سعيد
عبدالله بن عمر الصفار اجازة
ناجدى الامام عصام الدين ابو
حفص عمر بن احمد بن منصور
ابن الصفار قال سمعت جدي
يقول سمعت الاستاذ ابا القاسم
القشيري يقول من استهان بادب
من الآداب الاسلامية عوقب

لي قدرة على شيء فرقت لي واستحمقتني وقالت مايكون مقدار الخيش ردوه
عليه واتبعته بعطية من مالها فاخذت الخيش واخرجت منه المائة الف
دينار ماضاع منه ولا دينار واحد فحمدت الله تعالى وقلت في نفسى قد
عادت لي بقية اقبال صالحة * حكى معن بن زائدة الشيباني قال لما استترت
من المنصور واضطررت لشدة الطلب قمت يومًا في الشمس حتى لوحت
وجهي وخففت من عارضي ولحيتي ولبست جبة صوف غليظة وركبت
جملاً من الجمال النقالة وخرجت اريد البادية قال فلما خرجت من باب
المدينة تبعني عبد اسود متقلد سيفًا فقبض على خطام الجمل حتى اناخه ثم
التفت الى فقال لي انت طلبة امير المؤمنين ولا بد من اخذك اليه فقلت
ومن انا حتى يطلبني امير المؤمنين فقال انت معن بن زائدة قلت ياهذا
اتق الله وأين انا من معن فقال دع هذا عنك فانا اعرف بك منك فلما
حققت القصة قلت له الله الله في دمى وهذا عقد جوهر حملته معي يساوي
اضعاف مابذله المنصور واخرجته اليه فنظر ساعة وقال صدقت في قيمته
ولست اقبله منك حتى اسالك عن شيء فان صدقتني اطلقتك قلت ماهو
فقال ان الناس قد وصفوك بالجود فهل وهبت قط مالك كله قلت لا قال
فنصفه قلت لا قال فثلثه قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت أظن اني
قد فعلت ذلك قال ما أراك فعلته انا والله رجل ضعيف من الجند ورزقى
من ابي جعفر المنصور عشرون درهمًا وهذا الجوهر قيمته آلاف دنانير وقد
وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم ان في الدنيا
اجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ولاتتوقف
عن مكرمة ثم رمى بالعقد في حجري وانصرف فقلت ياهذا قد والله فضحتني
ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ العقد فاني غني عنه فضحك وقال
اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا آخذه ولا اريد على المعروف من
ثمن ثم مضى فوالله لقد طلبته بعد ان آمنني المنصور وبذلت لمن جاءني به
ماشاء فما عرفت له خبرًا وكان الارض ابتلعته وكان السبب في خلاص

بحرمان السنة ومن ترك سنة
عوقب بحرمان الفريضة ومن
استهان بالفرائض قيض الله تعالى
له مبتدعًا يوقع عنده باطلاً فيوقع
في قلبه شبهة قلت وبلغنا ان
الامام الغزالي ام مرة باخيه احمد
في صلاة فقطع اخوه احمد
الاقتداء به فلما قضى الصلاة
سأله الغزالي فقال لانك كنت
متضمخًا بدماء الحيض ففكر
الغزالي فذكر انه عرضت له في
الصلاة فكرة في مسألة من مسائل
الحيض فانظر فهؤلاء اهل الله تعالى
الذين هم اعرف منك ايها الفقيه
قد عرفوك ان ماتعتمده يجرك الى
الكفر والعياذ بالله تعالى ومنهم
فرقة سلمت من جميع ماذكرناه
الا أنها استهانت ببعض صغائر
الذنوب كالغيبة والاستهزاء بخلق
الله تعالى وغير ذلك او كان لها
معصية ابتلاها الله بها فلم تستتر
وقالت علمنا يغطي معصيتنا وهذا
جهل لا علم فالصغيرة تكبر من
هذا العالم فان هو تجاهر بها ازداد
امرها والمعصية مع العلم فوق
المعصية مع الجهل من وجوه واذا
كان النبي صلى الله تعالى عليه

معن انه جاء يوم الهاشمية مستترًا فقاتل قتالاً شديداً واستقبل المنصور وكان راكباً على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له تنح عن البغلة فاني احق بلجامها في هذا اليوم فقال المنصور صدق ادفعه اليه فاخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشف تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله ابوك قال انا طلبتك يا امير المؤمنين معن بن زائدة قال آمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ثم اخذه معه وخلع عليه وولاه اليمن * يحكى ان ابن النمير الثقفى كان تشبب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج فلما سمع بذلك الحجاج تهدده بالقتل وجد في طلبه فهرب النميرى الى اليمن وقال في هربه

اتتني من الحجاج والبحر بيننا * عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً واجهشت خيفة * ولم آمن الحجاج والامر قاطع
وحل بي الخطب الذي جاءني به * سميع فليست تستقر الاضالع
فبت ادير الامر والرأي ليلتي * وقد اخضلت خدي الدموع الهوامع
فلم ار خيراً لي من الصبر انه * اعف واحرى اذ عرتني الفواجع
وما أمنت نفسي الذي خفت شره * ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
الى ان بدالي رأس اسبيل طالعاً * واسبيل حصن لم تنله الاصابع
فلي عن ثقيف ان هممت بنحوه * مهامه يعمى بينهن الهجارع
وفي الارض ذات العرض عند ابن يوسف * اذا شئت مابي لا ابالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً * فان الذي لا يحفظ الله ضائع

ثم طالت عليه الغربة والشدة ولم يجد بداً حتى استسلم للقضاء واتخذ الثقة بالله تعالى عـدة فجاء حتى وقف على رأس الحجاج فقال له ايه يانميري أنت القائل

فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً

فقال بل انا الذي اقول

اخاف من الحجاج مالست خائفاً * من الاسد العرباض لو نهنه الذعر
اخاف يديه ان ينالا مفاصلي * بابيض عضب ليس من دونه ستر

وأنا

وسلم يقول من بلي من هذه القاذورات بشيء فليستتر بستر الله تعالى الحديث فالعالم اولى ان يستتر ان لم يرجع فانه قـدوة ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه الا على اشرف احواله خوفاً ان يقتدي به في سيئها او يسوء ظنه فلا ينتفع فينبغي للعالم الكف عن صغائر المعاصي وكبارها فان هو لم يكف فلا اقل من التستر صيانة لمنصب العلم والى هذا المعنى اشار الشيخ الجليل فتح الدين علي بن منصور الدمياطي فانشد لنفسه

ايها العالم اياك الزلل
واحذر الهفوة والخطب الجلل
هفوة العـالم مستعظمة
اذ بها اصبح في الخلق مثل
وعـلى زلته عمدتهم
فبها يحتج من اخطا وزل
لا تقل يستر علي زلتي
بل بها يحصل في العلم الخلل
ان تكن عندك مستحقرة
فهي عند الله والناس جبل
ليس من يتبعه العالم في
كل ما دق من الامر وجل
مثل من يدفع عنه جهله

وانا الذي اقول

فها انا ذا طوّفت شرقاً ومغرباً * وابت وقد دوخت كل مكان
فلو كانت العنقاء منك تطير بي * لخلتك الا ان تصيد مكاني

قال فتبسم الحجاج وآمنه وقال لا تعاود ما تعلم وخلى سبيله * يحكى ان حارثة بن بدر العداني كان سعى في الارض فساداً فهدر علي بن ابي طالب رضي الله عنه دمه وجدّ في تحصيله فهرب واستجار باشراف الناس فلم يجره احد فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله ان يجيرك فقصد سعيداً حتى اخذ بلجام دابته وقال اجرني اجارك الله فقال مالك ويحك قال هدر امير المؤمنين دمي قال وفيم قال سعيت في الارض فساداً قال ومن انت قال انا حارثة بن بدر العداني قال اقم وانصرف الى علي رضي الله عنه فوجده قائماً على المنبر يخطب فقال يا امير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً قال أن يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض قال يا امير المؤمنين الا من تاب وآمن قال الا من تاب وآمن قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد اجرته فقال أنت رجل من المسلمين وقد اجرناه ثم قال على رضي الله عنه ايها الناس كنت هدرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له فانصرف اليه سعيد واعلمه ثم كساه واجازه فقال فيه حارثة

الله يجزي سعيد الخير نافلة * اعني سعيد بن قيس قرم همدان
قد رد مني روحي بعد ما زهقت * لولا شفاعته البست اكفاني
قالت تميم بن مر لا تخاطبه * وقد ابت ذلكم قيس بن غيلان

الباب الرابع

فيما ورد من الاشعار مع ابيات مجربة لصرف النوازل والاكدار

فمن ذلك قصيدة ابي عبدالله احمد بن محمد الاندلسي القرشي المسماة بالمنفرجة ما تلاها احد في الصباح والمساء ايام محنته الا كشف الله عنه غام غمته ولها حكايات مشهورة ذكرها السبكي في الطبقات ومحمد التبريزي في الغرة اللائحة وغيرها . وهي

ان اتى فاحشة قيل جهل
انظر الانجم مهما سقطت
من رآها وهي تهوي لم يبل
فاذا الشمس بدت كاسفة
وجل الخلق لها كل الوجل
وتراءت نحوها ابصارهم
في انزعاج واضطراب ووجل
وسرى النقص لهم من نقصها
فغدت مظلمة منها السبل
وكذا العالم في زلته
يفتن العالم طرا ويضل

ومنهم فرقة سلمت عن جميع ماذكرناه الا انه غلب عليها الطعن في امة قد سلفت والاشتغال بعلماء قد مضوا وغالب مايؤتي هؤلاء من المخالفة في العقائد فقل ان نرى من قبل الحنابلة الا ويضع من الاشاعرة وهذا شيخنا الذهبي كان سيد زمانه في الحفظ مع الورع والتقوى ومع ذلك يعمد الى ائمة الاسلام من الاشاعرة فيظهر عليه من التعصب عليهم ما ينفر القلوب عنه والي طائفة من المجسمة فيظهر عليه من نصرتهم مايوجب سوء الظن به وما كان والله الا تقيا نقيا ولكن حمله التعصب واعتقاده ان

اشتدى ازمة تنفرجى * قد آذن ليلك بالبلج
وظلام الليل له سرج * حتى يغشاه ابو السرج
وسحاب الخير لها مطر * فاذا جاء الابان تجى
وفوائد مولانا جمل * لسروح الانفس والمهج
ولها ارج محي ابداً * فاقصد محيا ذاك الارج
فلربتما فاض المحيا * ببحور الموج من اللجج
والخلق جميعاً في يده * فذوو سعة وذوو حرج
ونزولهم وطلوعهم * فالى درك وعلى درج
ومعايشهم وعواقبهم * ليست في المشي على عوج
حكم نسجت بيد حكمت * ثم انتسجت بالمنتسج
فاذا اقتصدت ثم انعرجت * فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج * قامت بالامر على الحجج
ورضاً بقضاء الله حجى * فعلى مركوزته فعج
واذا انفتحت ابواب هدى * فاعجل لخزائنها ولج
واذا حاولت نهايتها * فاحذر اذ ذاك من العرج
لتكون من السباق اذا * ماجئت الى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته * فالمبتهج ولمنتهج
فهج الاعمال اذا ركدت * فاذا ماهجت اذاً تهج
ومعاصي الله سماجتها * تزدان لذى الخلق السمج
ولطاعته وصباحتها * انوار صباح منبلج
من يخطب حور الخلد بها * يظفر بالحور وبالغنج
فكن المرضى لها بتقى * ترضاه غدا وتكون نجى
واتل القرآن بقلب ذي * حرق وبصوت فيه شجي
وصلاة الليل مسافتها * فاذهب فيها بالفهم وجي
وتأملها ومعانيها * تأتي الفردوس وتفترج

مخالفيه على خطأ وقل ان ترى اشعريا من الشافعية والحنفية والمالكية الا ويبالغ في الطعن على هؤلاء ويصرح بتكفيرهم واذا كانت الائمة المعتبرون كالشافعي وابى حنيفة ومالك واحمد والاشعري على ان لانكفر احداً من اهل القبلة فلم هذا التعصب وما لنا لا نسكت عن اقوام مضوا الى ربهم ولم ندر على ماذا ماتوا وان يبدلنا احد بدعة قابلناه واما الاموات فلم ننبش عظامهم هذا والله مالا ينبغي ومن الفقهاء متنسكة تجري على ظواهر الشرع وتحسن امتثال اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه الا انها تهزأ بالفقراء واهل التصوف ولا تعتقد فيهم شيئاً ويعيبون عليهم السماع واموراً كثيرة والسماع قد عرف اختلاف الناس فيه وتلك الامور قل ان يفهمها من يعيبها والواجب تسليم احوال القوم اليهم وانا لا ناخذ احداً الا بجريمة ظاهرة ومتى امكننا تاويل كلامهم وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لاسيما من عرفناه منهم بالخير ولزوم

واشرب

واشرب تسنيم مفجرها * لا ممتزجاً وبممتزج
مدح العقل الآتيه هدى * وهوى متول عنه هجي
وكتاب الله رياضته * لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهم * وسواهم من همج الهمج
واذا كنت المقدام فلا * تجزع في الحرب من الرهج
واذا ابصرت منا رهدي * فاظهر فرداً فوق الثبج
فاذا اشتاقت نفس وجدت * ألماً بالشوق المعتلج
وثنايا الحسنا ضاحكة * وتمام الضحك على الفلج
وعباب الاسرار اجتمعت * بامانتها تحت الشرج
والرفق يدوم لصاحبه * والخرق يؤل الى الهرج
صلوات الله على المهدى * الهادي الناس الى النهج
وابي بكر في سيرته * ولسان مقالته اللهج
وابي حفص وكرامته * في قصة سارية الخلج
وابى عمرو ذي النورين * المستحيي المستحيى البهج
وابي حسن في العلم اذا * وافى بسحائبه الخلج
وعلى السبطين وامهما * وجميع الآل بهم فلج
وعلى الاصحاب بجملتهم * بذلوا الاموال مع المهج
يا رب بهم وبآلهم * عجل بالنصر وبالفرج

وقول الامام الشافعي رحمه الله تعالى

وهو ايضاً من المجربات . في صرف الآفات . قال ابو العباس احمد السرجي في كتابه الفوائد ان هذه الابيات ما توسل بها احد في مصيبة الا كشفت ولا ذو حاجة الا قضيت .

يامن تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه امر الخلق عائد
ياحي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد

الطريقة ثم لو ندرت لفظة عن غلطة او سقطة فانها عندنا لا تهدم ما مضى وهذه الطائفة من الفقهاء التي تنكر على المتصوفة مثلها مثل الطائفة التي من الترك التي تنكر على الفقهاء وقد جربنا فلم نجد فقيها ينكر على الصوفية الا ويهلكه الله تعالى وتكون عاقبته وخيمة ولا وجدنا تركياً يهزأ بالفقهاء الا و يهلكه الله تعالى وتكون عاقبته شديدة فلتسأل هذه الطائفة التوبة الى الله تعالى وحسن الظن بخلق الله تعالى اولى لا سيما من انقطع الى الله تعالى واعتكف على عبادته ورفض الدنيا وراء ظهره هذا علاج داء هذه الطائفة وانا اظنهم يتوبون فاني جربت فوجدت القلوب منقسمة الى قابل للصلاح وطريق الفقر وذلك تراه منقاداً لطريق الفقهاء معتقداً من غير تعليم وغير قابلة فلا تراها تنقاد وان انقادت في الظاهر لم يفدها الانقياد لان هؤلاء القوم لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم الا الباطن ومحض الصفاء وهم اهل الله تعالى وخاصته نفعنا الله تعالى بهم واكثر من يقع

انت الرقيب على العبا * دوانت في الملكوت واحد
انت العليم بما بليـ * ـت به وانت عليه شاهد
انت المنزه يا بديـ * ـع الخلق عن ولد ووالد
انت المعز لمن اطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها قلبي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوائد
نخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجاً قريـ * ـباً يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد أيسـ * ـت من الاقارب والاباعد
ثم الصلاة على النبي * وآله ما خرّ ساجد

وقول سيدي محمد زين العابدين
الصديقي وهو مجرب لدفع النقم

ما ارسل الرحمن او يرسل * من رحمة تصعد او تنزل
في ملكوت الله او ملكه * من كل ما يختص او يشمل
الاّ وطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل
واسطةٌ فيها واصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذ به في كل ما ترتجي * فانه المقصد والمأمل
وعذ به من كل ما تختشي * فانه الملجأ والمعقل
وحطّ احمال الرجا عنده * فهو شفيعٌ دائماً يقبل
وناده ان ازمةٌ انشبت * اظفارها واستحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة * فرّجت كرباً بعضه يذهل
ولن ترى اعجز مني فما * لشدّة اقوى ولا احمل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى * ولست ادري ما الذي افعل

فيهم لا يفلح * ومن اهل العلم طائفة طلبت الحديث وجعلت دأبها السماع على المشايخ ومعرفة العالي من المسموع والنازل وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة الا ان كثيراً منهم يجهد نفسه في تهجي الاسماء والمتون وكثرة السماع من غير فهم لما يقرؤه ولا تتعلق فكرته باكثر من اني حصلت جزأ من ابن عرفة عن سبعين شيخاً جزء الانصاري عن كذا كذا شيخاً جزء ابن الفيل جزء البطاقة نسخة ابي مسهر وانحاء ذلك واما كان السلف يسمعون فيقرؤن فيرحلون فيفسرون ويحفظون فيعملون ورأيت من كلام شيخنا الذهبي في وصية لبعض المحدثين في هذه الطائفة ماحظ واحد من هؤلاء الان يسمع فيروى فقط فليعاقبن بنقيض قصده وليشهرنه الله تعالى بعدان ستره مرات وليبقين مضغة في الالسن وعبرة بين المحدثين ثم ليطبعن الله تعالى على قلبه ثم قال فهل يكون طالب من طلاب السنة يتهاون بالصلوات او يتعاطى تلك

فبالذي خصك بين الورى * برتبة عنها العلى تنزل
عجل باذهاب الذي اشتكي * وان توقفت فمن اسأل
وانت باب الله اى امرئٍ * اتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت * زهر الروابي نسمة شمأل
والآل والاصحاب ماغردت * ساجعة املودها مخضل
مسلماً ما فاح نشر الصبا * فضاع منه الند والمندل

وقول الامام ابي محمد عبد الرحمن السهيلي
وهو غاية في ذلك كله

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * انت المعدّ لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلةٌ * وبالافتقار اليك فقري ادفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * ولئن رددت فاي باب اقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك ان تقنط عاصياً * الفضل اجزل والمواهب اوسع

وقول الشبلي قدس سره

وهو ايضاً من المجربات في دفع النوازل قال ابو العباس السرجي وغيره من كررها في جوف الليل استجاب الله له وفيها اشارة الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حي كريم يستحي ان يمد العبد اليه يده فيردها صفراً . انتهى

طرقت باب الدجى والناس قد رقدوا * وقمت اشكو الى مولاي ما اجد
وقلت يا املي في كل نائبة * ومن عليه لكشف الضر اعتمد
اشكو اليك اموراً انت تعلمها * مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذلّ صافرة * اليك يا خير من مدّت اليه يدُ
فلا تردنها يا رب خائبة * فبحر جودك يروى كل من يرد

القاذورات وانحس منه محدث يكذب في حديثه ويختلق الفشار فان ترقت همته المهينة الى الكذب في النقل والتزوير في الطباق فقد استراح وان تعافى في سرقة الاجزاء او كشط الاوقاف فهذا لص ليس بمحدث فان جمل نفسه بتلوط او قيادة فقد تمت له الافادة وان استعمل من العلوم قسطاً فقد ازداد مهانة وخبطا الى ان قال فهل في مثل هذا الضرب خير لا كثر الله تعالى منهم انتهى ولبعضهم

ان الذي يروي ولكنه
يجهل مايروي وما يكتب
كصخرة تنبع امواهها
تسقي الاراضي وهي لا تشرب

وقال بعض الظرفاء في الواحد من هذه الطائفة وهو نثر انه قليل المخبرة والمعرفة يمشي ومعه اوراق ومحبره ومعه اجزاء يدور بها على شيخ وعجوز لا يعرف مايجوز وما لا يجوز وقال الشاعر

ومحدث قد صار غاية علمه
اجزاء يرويها عن الدمياطي
وفلانة تروى حديثاً عالياً
وفلان يروى ذاك عن اسباط

﴾ ومن الاشعار المنجية ﴿

قول القاضي رضى الدين الغزي وكان ينشدهما كثيرًا في الشدائد

يا رب من كل الأمور تضيقت   واستد من كل الجهات المخرج
ان لم تفرجها بلطف واسع   عني والامن سواك يفرج

﴾ وقول الآخر ﴿

يا من أياديه عندي غير واحدة   ومن مواهبه تغنى عن العدد
ما مسني في زماني قط نائبة   الا وجدتك فيها آخذًا بيدي

﴾ وقول ابي اسحاق ابراهيم الموصلي ﴿

قال الصفدي في تاريخه يقال انهما رددهما من نزلت به نازلة الا فرجت عنه

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعًا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا تفرج

﴾ وقول ابي الفضل البكري ﴿

قال ابو العباس السرجي عن ابي الفضل الناظم قال وقعت في شدة عجز عن دفعها ارباب الجاه فعملت هذين البيتين وعلقتهما تجاه القبلة فكشفت تلك الشدة عني .

يا رب ما زال لطف منك يشملني   وقد تجدد بي ما انت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرمًا   فمن سواك لهذا العبد يرحمه

﴾ وقول الشيخ ايوب الشامي ﴿

يارب ان العدى يسعون في تلفي   ويزعمون باني لست بالناجي
وقد قصدتك في ابطال ما صنعوا   وانت يا رب كهف الخائف الراجي

وقول الآخر وهو كذلك مجرب لصرف النوازل قال الشيخ ابو العباس السرجي اخبرني بعض الصالحين انه كانت له حاجة الى الله تعالى فمكث ثلاثين سنة يسأل الله فيها ومع ذلك لم ييأس منها فاخذ مضجعه ذات ليلة فاذا بقائل يقول له خذ الاقسام التي تحت رأسك واقسم بها في حاجتك قال فلما انتبهت وجدت هذه الاقسام مكتوبة في درج حروفًا مقطعة فوالله

والفرق بين عزيرهم وغريزهم
وأفصح عن الخياط والخباط
وابو فلان ما اسمه ومن الذي
بين الانام ملقب بسباط
وعلوم دين الله نادت جهرة
هذا زمان فيه طي بساطي

ومن العلماء طائفة استغرق حب النحو واللغة قلبها وملأ فكرها فاداها الى التقعر في الالفاظ وملازمة حواشي اللغة بحيث خاطبت به من لا يفهمه ونحن لا ننكر ان الفصاحة من المطلوب واستعمال غريب اللغة عزيز حسن ولكن مع اهله ومن يفهمه كما حكى ان ابا عمرو بن العلاء قصده طالب ليقرأ عليه فصادفه بكلاء البصرة وهو مع العامة يتكلم بكلامهم لا يفرق بينه وبينهم فنقص من عينه ثم لما نجز شغل ابي عمرو مما هو فيه تبعه الرجل الى ان دخل الجامع فاخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه وعلم انه كلم كل طائفة بما يناسبها من الالفاظ فهذا هو الصواب فان كل احد يكلم على قدر فهمه ومن اجتنب اللحن وارتكب العالي من اللغة والغريب

ما اقسمت بها في حاجة الا قضيت من ساعتها وهذه صورتها متصلة

بخشوع القلوب عند السجود   لك يا سيدي بغير جحود
وبك الله يا جايل فلا شي   ء يدانيك في غليظ العهود
وبكرسيك المكلل بالنو   ر الى عرشك العظيم المجيد
وبما كان تحت عرشك حقًا   قبل خلق السماء وصوت الرعود
ذاك أذ كنت مثل ما لم تزل   قط الهًا عرفت بالتوحيد

وقول الآخر وهو ايضًا غاية في دفع الخطوب حتى قال ابو العباس السرجي ان لها فضلاً عظيمًا وان كثيرًا من الناس وقع في امر عظيم ضاق به ذرعه وعدم الحيلة فيه فلما توسل بالابيات فرج الله عنه من وجه لم يكن في خاطره وقصة الجوهرة في ذلك مشهورة * وهي

وكم لله من لطف خفي   يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتي من بعد عسر   وفرّج كربة القلب الشجي
وكم امر تساء به صباحًا   وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الاحوال يومًا   فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبي فكل عبد   يُغاث اذا توسل بالنبي

﴾ ومن الاشعار المنجية والمسلية قول الآخر ﴿

اني لارجو عطفة الله ولا   اقول ان طال متى ذاك متى
لا بد ان ينشر ما كان طوى   جودًا وان يطر ما كان زوى
وربما يسر ما كان زوى   وربما قدّر ما كان لوى
وكل شيء ينتهي الى مدى   والشيء يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى   كلمحة الطرف اذا الطرف رنا
كم فرج بعد اياس قد اتى   وكم سرور قد اتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا   من كل ما يخشى ونال ما ارتجا
من حسن الظن بذي العرش جنى   حلو الجنى الرائق من شوك السفا
من فوض الامر الى صرف القضا   قابل امر الله منه بالرضا

منها وتحدث بذلك مع كل احد فهو ناقص العقل وربما أتى بعض هذه الطائفة من ملازمة هذا الفن بحيث اختلط بلحمهم ودمهم فسبق لسانهم اليه وان كانوا يخاطبون من لا يفهمه كما اخبرنا احمد بن علي الحريري اذنا عن محمد بن عبد الهادي عن الحافظ ابي طاهر السلفي انبانا المبارك ابن عبد الجبار انا عبد الكريم ابن محمد المحاملي انا اسماعيل بن سعيد المعدل ثنا محمد بن احمد ابن قطر السمسار قال قال ابو العباس احمد بن ابراهيم الوراق ازدحموا على عيسى بن عمر النحوي وقد سقط عن حماره وغشى عليه فلما افاق واخذ في الاستواء للجلوس قال مابكم تكأكأتم على ولا تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عنى قوله تكأكأتم اي تجمعتم وافرنقعوا اي تنحوا بلغة اهل اليمن فهذا الرجل كان اماما في اللغة وكانت هذه الحالة لا تقتضي انه يقصد هذه الالفاظ بل هي دأبه فسبق لسانه اليها * وحكي انه لما ولي يوسف بن عمر العراق اخذ عيسى بن عمر النحوي

فطالبه بوديعة ذكر ان ابن هبيرة الوزير اودعه اياها فامر بضربه فقال والسياط تاخذه والله ان كانت الا اثيابًا في اسفاط قبضها عشاروك ولعيسى بن عمر من هذا النمط كثير * وحكى ان علي ابن الهيثم كان لما غلب عليه من ذلك تاتيه العامة افواجًا لسماع كلامه وانه مر به فارسى قد ركب حمارة خلفها جحش وبيده عذق قد ذهب بسره الا قليلا يقود به بقرة يتبعها عجل لها فناداه علي بن الهيثم ياصاحب البيدانة القمرا يتلوها ثولب بيده شملول يطبي به خوزمة نقفوها عجول أنقابض بعجولك جحجحًا زهمًا قال فالتفت اليه الفارسى وقال يابابا فارسى هم ندانم البيدانة الاتان والقمرا البيضاء الوجه والثولب ولد الحمار والشملول العذق ويطبي يدعو والخوزمة البقرة الوحشية والجحجح الكبش والزهم السمين فهذا علي بن الهيثم ان لم يكن قصد المؤانسة لبعض الحاضرين ولم تكن ندرت هذه الالفاظ عن غير قصد فهو خسيف العقل ولا ينكر انهم ياتون بالالفاظ

من يتجرع غصص الصبر يذق — حلاوة النجح وان طال المدى
سبحان من يفعل ما يشا بما — يشا ويقضي ما قضى لما اقضا
سبحان من يعفو ونهفو دائمًا — ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يخطي ولا يمنعه — جلاله عن العطا لذي الخطا

ومن الابيات المسلية قول وهب بن ناجية المرى

كن لما لا ترجو من الامر ارجى — منك يومًا لما له أنت راجي
ان موسى مضى ليقبس نارًا — من شعاع اضاء والليل داجي
فاتى اهله وقد كلم الله — وناجاه فهو خير مناجي
وكذا الامر كلما ضاق بالامر — فيتلوه سرعة الانفراج

وقول الآخر ويعزى لامير المؤمنين علي كرم الله وجهه

اذا اشتملت على الياس القلوب — وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنت — وارست في اماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا — ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث — يجيء به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت — فموصول بها فرج قريب

وقول ابي الفضل العباس بن عمر الدمشقي

تخفف عن القلب الهموم مسليًا — لعل الذي تخشاه ليس يكون
وكن واثقًا بالله في كل حالةٍ — فما شدةٌ الاّ وسوف تهون

قيل لما حوصر الامام عثمان رضي الله عنه انشد .

ووسع صدري للاذى كثرة الاذى — وقد كنت احيانًا يضيق به صدري
وصيرني يأسي من الناس راجيًا — لطائف صنع الله من حيث لا ادري
الى الله كل الامر في الخلق كله — وليس للمخلوق شيءٌ من الامر
اذا انا لم اقبل من الدهر كل ما — تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ويروى انه لما قتل رضي الله عنه وجد في خزانته ورقة في صندوق مكتوب فيها .

غني النفس يغني النفس حتى يكفها — وان مسها حتى يضربها الفقر
فما عسرة فاصبر لها ان لقيتها — بكائنة الاّ ومن بعدها يسر

وما ألطف قول امير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما

اذا ما عضك الدهر * فلا تحتج الى الخلق * ولا تسأل سوى الله * تعالى قاسم الرزق
فلو عشت وطوف * ت من الغرب الى الشرق * لما صادفت من يقد * ر ان يسعد او يشقي

وقول ابي عبد الله محمد بن ظفر

أيا من يعوّل في المشكلات — على ما رآه وما دبره
اذا اشكل الامر فابرأ به — الى من يرى منه ما لم تره
يكن بين عطفٍ يقيك المخو — ف ولطفٍ يهوّن ما قدره
اذا كنت تجهل عقب الامور — ومالك حولٌ ولا مقدره
فلم ذا العيا وعلام الاسى — وفيم الحذار وفيم الشره

ومما يعزى للشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره

اذا كنت في امر وضقت بحمله — واصبحت في عسر وامسيت في حرج
فصلّ على المختار من آل هاشمٍ — كثيرًا فان الله يأتيك بالفرج

قيل كان الحجاج اذا تعارضت آراؤه في بعض الخطوب انشد

كن راضيًا كل ما يقضى الاله به — يزول عنك جميع الضرّ والبوس
دعها سماويةً تجري على قدَرٍ — لا تفسدنها برأيٍ منك منكوس

وما الطف قول بعضهم

كن من مدبرك الحكيم — علا وجلّ على وجل
وارض القضاء فانه — حتم اجل وله اجل

وقول ابى العتاهية

الدهر لا يبقى على حالةٍ — لا بد ان يقبل او يدبرا
فان تلقاك بمكروهه — فاصبر فان الدهر لن يصبرا

وقول الآخر

الصبر اولى بوقار الفتى — من قلقٍ يكشف ستر الوقار

الغريبة لكثرة استعمالهم لها وغلبتها على السنتهم ظنًا منهم ان كل احد يعرفها والا فكيف يذكرونها في وقت لا يظهر فيه لاستعمالها سبب غير ذلك كما سقناه * وكما يحكى ان ابا علقمة الواسطي عرض له مرض شديد فاتاه اعين الطبيب فسأله عن سبب علته فقال اكلت من لحوم هذه الجوازل فطفست طباه فاصابني وجع بين الوابلة الى داية العنق فما زال يتمالى ويتمنى حتى خالط الخلب وتالمت له الشراسيف فقال له اعين الطبيب خذ سعونقًا وشبرقًا مزهزقة ودهلقه فقال ابو علقمة أعد لي فاني ما فهمت فقال الطبيب قبح الله تعالي أقلنا افهامًا لصاحبه الجوازل فراخ الحمام الواحدة جوزل والطفسة الهيضة والوابلة طرف الكتف وهو رأس العضد وداية العنق فقارها ويتمالى يتمدد ويتمنى يتزايد الخلب بالكسر حجاب القلب ويقال مضغة فوق الكبد والشراسيف غضاريف متصلة بالاضلاع * وحكى ابن دريد ان الاصمعي قال ان رجلًا مشجوجًا جاء الى صاحب الشرطة

من لزم الصبر على حالة ... كان على ايامه بالخيار

وقول ابي اسحق الثعلبي المفسر

واني لاغضي مقلتيَّ على القذى ... والبس ثوب الصبر ابيض ابلجا
واني لادعو الله والامر ضيق ... عليَّ فما ينفك ان يتفرجا
وكم من فتى سدَّت عليه وجوهه ... اصاب لها في دعوة الله مخرجا

وقول ابي الحسن زيد بن محمد العلوي

وراء مضيق الخوف متسع الامن ... واول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفاً ... خزائنه بعد الخلاص من السجن

وما احسن قول الامير قرواش بن المقلد

لله در الحادثات لانها ... صداء اللئام وصيقل الاحرار
ما كنت الا زبرة فطبعنني ... سيفاً واطلق صرفهن غراري

وقول الآخر

ان يكن نابك الزمان بامر ... عظمت عنده الخطوب وجلت
وتلاها قوارع تاليات ... سئمت دونها الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها ... فالرزايا اذا توالت تولت
واذا اوهنت قواك وجلت ... كشفت عنك جملة وتجلت

وقول الآخر

تلق بالصبر ضيق الهم تفرجه ... ان الهموم ضيوف اكلها المهج
والخطب ما زاد الا وهو منتقص ... والامر ما ضاق الا وهو منفرج
فروح النفس بالتعليل وارض به ... عسى الى ساعة من ساعة فرج

وقال ابو عمران موسى بن محمد الشاعر

تصبر ان عقبى الصبر خير ... ولا تجزع لنائبة تنوب
فان اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنكشف الكروب
وكم جزعت نفوس من امور ... اتى من دونها فرج قريب

وقال مكارم بن الوزير

فشكى اليه ان امرأ شجه فامر باحضاره فلما حضر سئل فانكر فقال المشجوج لي اعرابي بالسوق يشهد لي فلما حضر الاعرابي سئل فقال بينا انا على كردن يضهززني اذ مررت بوصيددار فاذا انا بهذا الاخيشب يدع هذا دعاً متراسفاً فعلاه بمنسأته فقهقر ثم بدره بمثلها فقطز ثم ادبر وبرأسه جديع يسيح نجيعاً على كنده فقال صاحب الشرطة شجني واعفني من سماع شهادة هذا الاعرابي قوله الكردن البرذون يضهززني يحركني الوصيد الباب الدع الدفع المنسأة العصاة الاخيشب تصغير الاخشب وهو الغليظ قهقر رجع القهقري قطزه القاه على احد قطزيه وهما جانباه السح الصب النجيع الدم الكند ما بين الكاهل الى الظهر وهو بعيد مغرز العنق * وذكر الزبير بن بكار ان بعض المتقعرين كتب الى وكيل له بناحية البصرة احمل الينا من الخوزج والكنعد المهوزين والاوز المهموج ولحم مهاً البيد ما يصلح للتسريز والقديد فكتب اليه وكيله ان لم تكف عن هذا

الطاف ربك في الضراء كامنة ... فكن لغائبة السراء منتظرا
فغاية الليل فجر والسهاد كرى ... ومن اجاب دواعي صبره قدرا
ورب راج اتاه الله بغيته ... عفواً وغارس آمال جنى الثمرا

وما احسن قول ابن المعتز

اصبر لعلك عن قليل بالغ ... بتفضل الوهاب ذي الاحسان
فرجاً يضيء لك انفتاق صباحه ... متبلجاً في ظلمة الاحزان

وقول ابي طاهر الشيرازي

حسبي الله في الامور وكيلا ... انه في الخطوب نعم المعين
ثقتي والرضا بما قد قضاه ... روضة ظلة وماء معين

وقول محمد بن السكينة

كن بلطف الله ذا ثقة ... وارض بالجاري من القسم
واصطبر للامر تكرهه ... فلعل البرء في السقم

وقول الآخر

ادفع بصبرك حادث الايام ... وترج لطف الواحد العلام
لا تيأسن وان تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة ... تخفى على الابصار والاوهام
كم من نجي بين اطراف القنا ... وفريسة سلمت من الضرغام

وقال ابو القاسم محمد الحريري

لا تيأسن عند النوب ... من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم ... جرى نسيماً فانقلب
وسحاب مكروه تنشا ... فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه ... فما استبان له لهب
ولطالما طلع الاسى ... وعلى تفيته غرب
فاصبر اذا ما ناب خطب ... فالزمان ابو العجب
وترج من روح الاله ... لطائفاً لا تحتسب

الكلام بارت قريتك فان الفلاحين ينسبون من ينطق بهذا الكلام الى الجنون الكنعد ضرب من سمك البحر والسرازة اليبس * وحكى ان لصاً اراد فتح باب نحوي فاحست به الجارية فقالت لسيدها فاطلع عليه وناداه ايها الطارق ما الذي اولعك بنا ان اردت المال فعليك بابن الجصاص وفلان وفلان اقواماً ذوي مال وان اردت الجاه فعليك بالقضاة وان اردت الكتابة فعليك بفلان وفلان اقواماً يكتبون وان اردت اللغة والنحو فعليك بي وان كنت تبغي القرا فلج الدار وادخل المخدع واصب من الزاد ما يمسك حشاشة رمقك فرفع اللص رأسه وقال لو كانت الجنة دارك مادخلتها * وحكى ان طبيباً دخل الى نحوي مريض فقال ما كان اكلك امس فقال اكلت لحم عطعط وساقة خرنق وجؤجؤ حيفطان اقتنصه بازي فلما كان في الدجى اصبت منه معمعة في الحشا وقرقرة في المعا فقال الطبيب للحاضرين هذه خفة ارتفعت الى الدماغ فاصلحوا

وما اصدق قول الآخر

اصبر اذا نابتك نائبة   لا تستعن ساقطاً ولا تخضع
فالموت في ماء دجلة غرقا   اولى من المستعان بالضفدع

وقول الآخر

كن عن همومك معرضاً   وكل الامور الى القضا
فلربما اتسع المضيق   وربما ضاق الفضا
ولرب امر مسخطٍ   لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء   فلا تكن متعرضا

وقول الآخر

اذا ضاق الخناق فكن صبوراً   كريماً فالشدائد لا تدوم
فبالصبر الجميل تنال اجراً   وتقضي بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت   وخان مواصل وجفا حميم
اتى فرج الاله لها صباحاً   فما امست واقلعت الغيوم
فسلم فالذي ابلى يعافى   وثق بالله فهو بنا عليم

وانشد محمد بن بشير النقيب

اصبر على مضض الادلاج في السحر   وفي الرواح الى الحاجات والبكر
لا تعجزن ولا يضجرك مطلبها   فالنجح يتلف بين العجز والضجر
اني رأيت وفي الأيام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في امرٍ يحاوله   فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وكان الامام مالك رحمه الله يتمثل بهذين البيتين

درّج الايام تندرج   وبيوت الهم لا تلج
رب شيء عز مطلبه   قربته ساعة الفرج

وقال آخر

لا تفر عن غير باب الله في الكرب   فقرع باب الورى من قلة الادب
ولازم الباب ان كنت امرأً فطناً   ولذ به في الرضا والسخط والغضب

له الغذاء قبل ان يجف العطعط الجدى الخرنق ولد الارنب الجؤجؤ الصدر الحيفطان بالطاء المهملة الدراج الذكر * وحكى ابو القاسم الراغب قال ابتاع تلميذ ليعقوب بن اسحاق الكندي جارية اغتاظت عليه فشكا حالها الى يعقوب فقال له جئني بها قال فلما حضرت عنده قال لها يالعوبة ماهذه الاخبارات الدالات على الجهالات اما علمت ان فرط الاغتياظات الموقفات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المعقولات فقالت الجارية حياها الله تعالى وشفاها اما علمت ان هذه العقوبات المنتشرات على صدور ذوي الرقاعات محتاجات الى المواسي الحالقات فقال يعقوب لله درها لقد قسمت الكلام تقسيما * واعلم ان الحكايات في هذا الباب تخرج عن حد الحصر وتقتضي الخروج من الجد الى ضرب من الهزل والحاصل انما كان الحامل عليه هذه الصناعة مذموم من جهة ان ذا الصناعة كان ينبغي ان يقوّم قلبه ودينه قبل ان يقوم الفاظه فاللحن في اللفظ ولا اللحن

وقال

وقال علي بن الجهم من قصيدة

غير الليالي باديات عوّد   والمال عارية يفاد وينفد
ولكل حالٍ معقب ولربما   اجلى لك المكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربةٍ   خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليلٍ قد تخطاه الردى   فنجا ومات طبيبه والعوّد

وقال جعفر

ساصبر حتى يأتي الله بالذي   يشاء وحتى يعجب الدهر من صبري
فكم فاقةٍ باتت الغنا من خلالها   يلوح وكم عسرٍ تكشف عن يسر

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها   ترجّ لقربها الفرج المطلاّ
فكم خطبٍ تولى اذ تولّى   وكم كربٍ تجلى حين جلاّ

وقال ابو نواس

أحسن الى الناس تستعطف قلوبهم   واصبر اذا مس ضرٌ او اساءاتي
ولا تكن جازعاً ان تعر معضلة   فالنصر يأتي قريباً بعد ساعات

وقال آخر

لا تجزعن لعسرةٍ من بعدها   يسران وعداً ليس فيه خلاف
كم عسرةٍ ضاق الفتى لنزولها   لله في اعطافها الطاف

وقال آخر

ما احسن الصبر في الدنيا واجمله   عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عنه مؤلمة   الوت يداه بحبلٍ غير منقطع

وقال آخر

يا قليل العزاء في الاهوال   وكثير الهموم والاوجال
صبر النفس عند كل ملمٍ   ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضق في الامور ذرعاً فقد يكشف عنها الردى بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامر   له فرجة كحل العقال

في الدين وقد غلب على كل ذي فن فنهم بحيث سأل بعضهم ابا طاهر الزيادي وهو في النزع عن ضمان الدرك وحكاية ابي زرعة فيمن كان آخر كلامه لا اله الا الا الله دخل الجنة شهيرة وانه سئل عن هذا الحديث فساقه باسناده الى ان وصل الى لا آله الا الله ومات قبل ان يقول دخل الجنة فلقد نفعه الله تعالى بعلم الحديث * وحكي ان دباغا كان آخر كلامه بعد ان ردد عليه لفظ الشهادة مراراً كلاماً يتداوله الدباغون وبعض الامراء كان آخر كلامه هاتوا القباء الفلاني ومن اكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه وكل اناء بالذي فيه ينضح سمعت صاحبنا الشيخ تاج الدين المراكشي رحمه الله تعالى يحكي عن الشيخ ركن الدين بن القوبع ان شحاذاً سأله وهو في الطريق فاجابه الشيخ يفتح الله فقال ياشيخ قد فتح الله تعالى عليك اذا جادت الدنيا عليك فجد بها قال فوقف عليه ابن القوبع قال ولم قلت انها جادت علي وان سلمنا انها جادت

وقال الآخر

اقنع فما تبقى بلا بلغة ... فليس ينسى ربك النمله
ان اقبل الدهر فقم قائمًا ... وان تولى مدبرًا نم له

وقال الآخر

وثقت بربي وفوضت امري ... اليه وحسبي به من معين
فلا تيأسن بصروف الزمان ... ودعني فان يقيني يقيني

وقال الآخر

رضيت بما يرضي اذا كان مسخطي ... من الامر ما فيه رضى صاحب الامر
ساصبر كي يرضى واتلف حسرة ... وحسبي ان يرضى ويلهمني صبري

وقال آخر

اذا لم يكن للمرء جد مساعد ... فلا رأيه يغني ولا جهده يجدي
ورأى الفتى من غير جد يعينه ... كسيف بلا كف وكف بلا زند

وقال آخر

اذا كان عون الله للمرء ناصرًا ... تهيا له من كل امر مراده
وان لم يكن عون من الله للفتى ... فاوّل ما يجني عليه اجتهاده

وقول الآخر

هوّن عليك فان كل شديدة ... ان لم تشددها عليك تهون
وتيقنن ان الذي هو كائن ... بالكره منك وبالرضى سيكون

وقول الآخر

لا تعتبن على النوائب ... فالدهر ارغم كل عاتب
واصبر على حدثانه ... ان الامور لها عواقب
فلكل صافية قذى ... ولكل خالصة شوائب
والدهر اولى ما صبر ... ت له على رنق المشارب
كم نعمة مطوية ... لك تحت اثواب النوائب
ومسرة قد اقبلت ... من حيث تنتظر المصائب

فلم قلت انه يجب علي الجود بها وان سلمنا انه يجب فلم قلت اني ماجدت وما انحصرت القسمة فبك فهذا ابن القوبع غلبت عليه المناظرة فاستعملها مع حرفوش لايدري مايقال له * وكذلك حكى لنا بعض اشياخنا عن الشيخ صفي الدين الهندي امام المتكلمين في عصره انه جاءه حمل زيت فمسكه المكاسون في الطريق على المكس فكتب اليهم كتابًا يتعجب من ذكره مشتمل على انواع من الجدل والسبر والتقسيم واما ما كان الحامل عليه مجرد التقعر في اللفظ فهو رعونة وقد كتب الامام عمرو بن دحية الى السلطان الملك الكامل محمد بن ابي بكر ابن ايوب صاحب مصر يهنئه بعافيته من مرض حصل له كتابًا كله من هذا النمط ومنهم من شغل نفسه بالالفاظ واعرض عن معانيها بحيث انتهى اليه الحال الى ضرب عظيم من الخطأ قال قال ابو حيان التوحيدي اياك ان نقيس اللغة فلقد رأيت نبيها من الناس وقد سئل عن قوم فقال هم خروج فقيل ما تريد

وقول

وقول ابن النجار

اذا ما المت شدة فاصطبر لها ... فخير سلاح المرء في الشدة الصبر
عسى فرج ياتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته امر
اذا اشتد عسر فارج يسرًا فانه ... قضى الله ان العسر يتبعه اليسر
عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى ... له فرجًا مما الم به الدهر
واني لاستحيي من الله ان ارى ... الى غيره اشكو وان مسني الضر

وقال غيره

اصبر على حلو الزمان ومره ... واعلم بان الله بالغ امره
فالصدر من يلقى الخطوب بصدره ... وبحمده وبشكره وبصبره
واذا اصبت بما اصبت فلا تقل ... اوذيت من زيد الزمان وعمره
ولرب ليل بالهموم كدملي ... صابرته حتى ظفرت بفجره
ولكم على يأس اتى فرج الفتى ... من سر غيب لا يمر بفكره
فالمرء سيف والذنوب لصفوه ... صدأ وصيقله نوائب دهره

وقال آخر

من جرب الدهر يدري ان حالته ... في العسر واليسر شيء سوف ينقلب
فما تغير احوال الورى عجب ... بل التعجب من هذا هو العجب

وما اصدق قول القائل

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط ... ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضاير ... ولا ضاير الا مع السعد نافع

وقول الآخر

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ... ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال آخر

الصبر مفتاح ما يرجى ... وكل صعب به يهون
فاصبر وان طالت الليالي ... فربما طاوع الحزون

بهذا فقال قد خرجوا فكانه اراد خارجون فقيل هذا ماسمع قال كما قال تعالى اذهم عليها قعود اي قاعدون فضحك به وسئل ابو الفرج البغدادي هل يقال لعارف اللغة لغوي بفتح اللام او ضمها فقال بفتحها اما سمعتم قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام انك لغوي مبين فضحك منه واعرب بعضهم قوله تعالى قيماً من قوله تعالى ولم يجعل له عوجاً قيماً صفة لعوجاً وهذه غفلة فكيف يكون المعوج قيماً وانما قيما حال من محذوف اي انزله قيما او من الكتاب وذكر آخرون ان قوله نفعل من قوله تعالى قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء معطوف على ان نترك وذلك باطل لانه لم يامرهم ان يفعلوا في اموالهم ما يشاؤن وانما هو عطف على ما فهو معمول للترك والمعنى ان نترك ان نفعل وقال بعضهم في قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ان من متعلقة باغنياء وهو فاسد لانه متى ظنهم ظان اغنياء من

وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكون

ويروى لعثمان بن عفان رضي الله عنه

خليلي لا والله ما من ملمة ... تدوم على حي وان هي جلت
وان نزلت يوماً فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب ... فصابرها حتى مضت واضمحلت

وما احسن قول القائل

يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغنى ... وكل كان لم يلقه حين يذهب
كانك لم تعدم من الدهر لذة ... اذا انت ادركت الذي كنت تطلب
فترجع عنه راضياً غير ساخط ... وتحمده من بعد ما كنت تعتب

وانشد الحسين بن مطير الاسدي

اذا يسر الله الامور تيسرت ... ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامع في حاجة لن ينالها ... وكم آيس منها اتاه بشيرها
وكم خائف صار المخوف ومقتر ... تمول والاحداث يحلو مريرها
وقد تعذر الدنيا فيمسي غنيها ... فقيراً ويغني بعد عسر فقيرها
وكم قد رأينا من تكدر عيشة ... واخرى صفا بعد اكدرار غديرها

(ولدعبل الخزاعي من قصيدة مشهورة رثى بها اهل البيت)

فيا نفس طيبي ثم يا نفس ابشري ... فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور انني ... كاني بها قد آذنت ببتات
عسى الله ان يرتاح للخلق انه ... الى كل حي دائم اللحظات

ولعبد الله بن المعتز من ابيات

وكم نعمة لله في صرف نقمة ... ومكروه امر قد حلا بعد امرار
وما كل ما تهوى النفوس بنافع ... ولا كل ما تخشى النفوس بضرار

ولعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهم من ابيات

لا تعجلن فربما ... عجل الفتى فيما يضره

فالعيش

التعفف علم انهم فقراء من المال فلا يكون جاهلا بحالهم وانما هي متعلقة بيحسب وهي للتعليل وقال بعضهم في قول الشاعر

اقول لعبد الله لما سقاونا
ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

هذا لحن واين فعلا لما وعلام نصب الله ولاي شيء فتح الدال من عبد وجوابه انه لم يتامل اما عبد فترخيم عبدة واما الله فنصب على الاغراء واما فعلا لما سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسره بقوله وها اي ضعف والجواب محذوف تقديره قلت بدليل قوله اقول وقوله شم فعل امر من قولك شمت البرق اذا نظرت اليه والمعنى اقول لما سقط سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس قلت لعبدة احذري الله تعالى شم البرق وقريب من هذا البيت قول الشاعر

اقول لعبد الله لما لقيته
ونحن على جنب الطبا والقناطر

القنا الرماح وطر فعل امر من الطيران ونظير هذين البيتين في الالغاز قول الشاعر

عافت الماء في الشتاء فقلنا
برديه تصاد فيه سخينا

فالعيش احلاه يعود ... على حلاوته امره
ولربما كره الفتى ... امراً عواقبه تسره

وقال غيره

اذا الحادثات بلغن المدى ... وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلاء وقل العزا ... فعند التناهي يكون الفرج

ولمسلم بن عمرو الخاسر

اذا اذن الله في حاجة ... اتاك النجاح على رسله
وقرب ما كان مستبعداً ... ورد الغريب الى اهله
فلا تسأل الناس من فضلهم ... ولكن سل الله من فضله

وقال ابو العباس المرسي

وكنت قديماً اطلب الوصل منهم ... فلما اتاني العلم وارتفع الجهل
تيقنت ان العبد لا مطلب له ... فان قربوا فضل وان ابعدوا عدل
وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم ... وان ستروا فالستر من اجلهم يحلو

وقال قيس بن الحطيم

وكل شديدة نزلت بقوم ... سيأتي بعد شدتها رخاء
فان الضغط قد يحوي وعاء ... ويتركه اذا فرغ الوعاء
وما ملئ الاناء وشد الا ... ليخرج ما به امتلأ الاناء

وقال غيره

متى تصفو لك الدنيا بخير ... اذا لم ترض منها بالمزاج
الم تر جوهر الدنيا المصفي ... ومخرجه من البحر الاجاج
ورب مخيفة فجأت بهول ... جرت بمسرة لك وابتهاج
ورب سلامة بعد امتناع ... ورب تقوم بعد اعوجاج

وقال غيره

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي ... نوائب هذا الدهر ام كيف يحذر
يرى الشيء مما يتقي فيخافه ... وما لا يرى مما يقي الله اكثر

فقال كيف تبرده فتصادفه سخينا وهذه غفلة والاصل بل رديه ثم كتب جملة واحدة لاجل الالغاز وقول الشاعر

لما رأيت ابا يزيد مقاتلا
ادع القتال واشهد الهيجاء

فقال اين جواب لما وبم انتصب ادع وهذه غفلة فالاصل لن ما ادغمت النون في الميم للتقارب ووصلا في الخط للالغاز وحقهما ان يكتبا منفصلين واما انتصاب ادع فبلن وما الظرفية وصلتها ظرف له فاصل بينه وبين لن للضرورة فيسئل حينئذ كيف يجتمع قوله ادع القتال مع قوله اشهد الهيجاء والهيجاء مشتجر الحرب والجواب ان اشهد ليس معطوفاً على ادع بل نصبه بان مضمرة وان والفعل عطف على القتال اي لن ادع القتال وشهود الهيجاء على حد قول الشاعر للبس عباءة وتقر عيني وقول الشاعر

ويح من لام عاشقاً في هواه
ان لوم المحب كالاغراء

فقال كيف ارتفع الاغراء بعد كاف التشبيه والجواب ان الكاف ضمير المخاطب متصلة

﴿وقال آخر﴾

من جعل الصبر في مقاصده   وفي مراقيه سلماً سلما
والصبر عون الفتى وناصره   وقل ما ندّ عنه ما ندما
كم صدمةٍ للزمان منكرةٍ   لما رأى الصبر صدّ ماصدما
فاصبر فان الزمان عن كثبٍ   يأسو على الرغم كلّما كلما

﴿وقال غيره﴾

الم تر ان ربك ليس تحصى   اياديه الحديثة والقديمه
تسل عن الهموم فليس شيء   يقيم ولا همومك بالمقيمه
لعل الله ينظر بعد هذا   اليك بنظرة منه رحيمه

﴿وانشد الحسين بن عبد الرحمن﴾

لعمرك ما المكروه من حيث يتقي   ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
واكثر خوف النفس ليس بكائنٍ   فما دركاك الهم الذي ليس ينفع

﴿ومثله للقاضي التنوخي﴾

هون على قلبك الهموم فكم   قاسيت غماً ادى الى الفرح
ما الشر من حيث تتقيه ولا   كل مخوفٍ يفضي الى الترح

﴿وقال آخر﴾

الغم فضل والقضاء مغالب   وصروف ايام الفتى تتقلب
لا تياسن وان تضايق مذهب   فيما تحاول او تعذر مطلب
وانظر الى عقبى الامور فعندها   لله عادة فرجةٍ تترقب

﴿وقال سعيد بن حمد﴾

يوم عليك مبارك   ما عشت في فرحٍ وطيب
عاد الحبيب لوصله   وحجبت من عين الرقيب
وكذا الزمان يدور بالا   فراح من بعد الكروب
فدع الهموم فانها   تنأى عن الصدر الرحيب
لا بدّ من فرجٍ قريب   ياتيك بالعجب العجيب

وقال

بالمحب والالف واللام في المحب بمعنى الذي احب والاغراء خبر ان والمعنى ان لوم المحبك هو الاغراء وحق الكاف ان توصل في الخط بالمحب ولكن فصلت للغز وقول الشاعر

ياصاحبٍ ملك الفؤاد عشية
زار الحبيب بها خليل نائي
لما بدا لم ادر بدرَ دجنة
ام وجه من اهواه طرفي رائي

يقال كيف جر صاحب وهو منادي مفرد وجوابه ان ياصاح مرخم وبن فعل امر من بان يبين اذا فارق وكتبت هكذا على نحو صاحب للالغاز ويقال علام نصب بدر في قوله بدر دجنة وما نرى الاستفهام لا يعمل فيه وجوابه انه منصوب برأي والمعنى لم ادر طرفي رأى بدر دجنة ام وجه من اهواه وقول الشاعر

لاتقنطن وكن في الله محتسباً
فبينما انت ذا ياس اتى الفرجا

الفرج مفعول والعامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب والمعنى فكن في الله محتسباً الفرج فبينما انت ذا ياس اتى وقال العباس بن مرداس رضي الله عنه

﴿وقال غيره﴾

سهل على نفسك الامورا   وكن على مرها وقورا
وان ألمت صروف دهرٍ   فلا تكن عندها ضجورا
فكم رأينا اخا هموم   اعقب من بعدها سرورا

﴿وقال آخر﴾

رضيت بالله ان اعطي شكرت وان   يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
ان كان عندك رزق اليوم فاطرحن   عنك الهموم فعند الله رزق غد

﴿وقال سعد بن محمد الازدي﴾

ان راعني منك الصدود   فلعل ايامي تعود
اذ لا تناولنا يد النعـ   ـماء الا ما نريد
ولعل عهدك باللوى   يحيا فقد تحيى العهود
فالغصن ييبس تارةً   وتراه مخضراً يميد
اني لارجو عطفةً   يبكي لها الواشي الحسود
فرجاً تقربه العيون   فينجلي عنها السهود

﴿وقال آخر﴾

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت   بما فقدناه من ملك ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع   اذا النفوس وقاها الله من عطب

﴿وقال محمود الوراق﴾

اذا منّ بالسراء عمّ سرورها   وان مس بالضراء اعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه منة   يضيق بها الاوهام والوصف والشكر

﴿وقال ابو عبد الله بن جزى﴾

اترك الفكر في الامور ودعها   فكما قدرت تكون الامور
كل فكرٍ وكل رأيٍ وحزم   غير مجدٍ اذا جرى المقدور

﴿وقال﴾

لا تركنن لمخلوق وكن ابداً   ممن توكل في الدنيا على الله

ومن قبل آمنا وقد كان قومنا
يصلون للاوثان قبل محمداً

قال لي مرة طالب نحوي كيف نصب محمداً وهو مضاف اليه فقلت له قبل ان اجيبك اسألك هل صلى المسلمون قط لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم او لربه تعالى فقال بل لربه تعالى فقلت ففكر فان احداً لم يصل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاقبل الاوثان ولا بعدها والجواب ان آمنا في البيت معناه صدقنا ومحمد مفعول آمنا اي ومن قبل صدقنا محمداً وقد كان قومنا يصلون للاوثان قبل وقبل مقطوعة عن الاضافة بنيت على الفتح وهي لغة واللغة الغالبة بناؤها على الضم وقيل اراد النكرة اي قبلا ثم حذف التنوين مضطراً وقال آخر

فرعون مالي وهامان الاولى زعموا
اني بخلت بما يعطيه قاروناً

فر فعل امر من وفر له العطية ومنه عطاء موفوراً وعونة امرأة رخمها فقال عون والمعنى اعط عونة مالي واما وها فدعاء من وهايهي اذا ضعف ومان جمع مانة البطن وهي اسفل

ولا تمل لسواه ما حييت فمن ... يرجو سوى الله هاوٍ حبله واه

وقال

هون عليك خطوب الدهر ان لها ... نهاية والتناهي عنده الفرج
واصبر فان لحسن الصبر عاقبة ... بصبحها ظلمة المكروه تنبلج

وقال العباس بن الاحنف

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانا ... ونحن نامل صنع الله مولانا
والناس يأتمرون الراي بينهم ... والله في كل يوم محدث شانا

ولابي الحسن التنوخي

لئن اشمت الاعداء صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
مقام وترحال وقبض وبسطة ... كذا عادة الدنيا واخلاقها النكد
وما زلت جلداً في الملمات قبلها ... ولا غرو في الاحيان ان يقلب الجلد
فكم ليث غاب شردته ثعالب ... وكم من حسام فله غيلة غمد
وكم جيفةٍ تعلو وتسفل درة ... ومنحسة تقوى اذا ضعف السعد
الم ترَ ان الغيث يجرى على الربا ... فيحظى به ان جاد صيبه الوهد
وكم فرج والخطب يعتاف نيله ... يجيء على يأسٍ اذا ساعد الجد
لقد اقرض الدهر السرور فان يكن ... اساء اقتضاء فالقروض لها رد
فكم فرجةٍ تأتي على اثر فرجة ... وكم راحة تطوى اذا اتصل الكد
وكم منحةٍ من محنةٍ تستفيدها ... ومكروه امر فيه للمرتجي وفد
على انني ارجو لكشف الذي عرا ... مليكاً له في كل نائبةٍ رفد
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر ... وتمسى عيون الدهر عنا هي الرمد

وانشد الوحيد

عليك رجاء الله ذى الطول واللطف ... بجملة ما تبدي من الامر او تخفي
فقد خلق الايام دائرةً بنا ... تقلبنا من كر صرفٍ الى صرف
وكم فرج لله يأتي موفراً ... على خافق الاحشاء في تلفٍ مشف
فلا تمكنن من طرفك اليأس والاسى ... لعل الذي ترجوه في مرجع الطرف

السرة يقول ضعف مان الذين
زعموا اني بخلت وقارون المفعول
الثاني ليعطيه والاول الهاء العائدة
الى ما الموصولة وفاعل يعطيه مضمر
للعلم به كانه يريد يعطيه الله قارون
واعلم ان هذا بحر لا ساحل له وقد
نظمت ابياتاً في انواع من العلوم
منها اقول
من قال ان الزنا والشرب مصلحة
ولم يقل هو ذنب غير مغتفر
من قال سفك دماء المسلمين على
الصلاة اوجبه الرحمن في الزمر
من قال ان نكاح الام يقرب من
تقوى الاله تعالى غير مبتكر
من كان والدها ابنا في الانام لها
وذاك غير عجيب عند ذي النظر
من الفتاة لها زوجان ما برحا
تزوجت ثالثاً حلا بلا نكر
من ابصرت في دمشق عينه صنما
مصوراً وهو منحوت من الحجر
ان جاع يأكل وان يشرب تضلع من
ماء غير زلال ثم منهمر
ولو اخذنا في الاكثار من هذا
وشرحه لخرجنا عما نحن بصدده
والغرض ان هذه الطائفة راعت
الالفاظ فاتيت من قبل المعاني
كما راعت طائفة المعاني فاتيت من

وصبراً جميلاً ان للدهر عادة ... مجربة اتباعه العسف بالعطف

وقال ابن بسام

الا رب ذلٍ ساق للنفس عزةً ... ويا رب نفسٍ للتعزز ذلت
تبارك رزاق البرية كلها ... على ما رآه لا على ما استحقت
فكم حائلٍ في القيد والباب دونه ... ترقت به احواله وتعلت
تشوب القذى بالصفو والصفو بالقذى ... ولو احسنت في كل حال لملت
ساصدق نفسي ان في النفس راحة ... وارضى بدنياي وان هي قلت
وان طرقتني الحادثات بنكبةٍ ... تذكرت ما عوفيت منه فقلت
وما محنة الاّ ولله نعمة ... اذا قابلتها أدبرت واضمحلت

ومثله قول الآخر

ليس من شدة تصيبك الاّ ... سوف تمضي وسوف تكشف كشفاً
لا يضق ذرعك الرحيب فان النار يعلو لهيبها ثم تطفا
قد رأينا من كان اشفى على الهلك فوافت نجاته حين اشفا

(وانشد الببغاء)

كم كربة ضاق وسعي عن تحملها ... ثملت عن جلدي فيها الى الجزع
ثم استكنت فادنتني الى فرج ... لم يجر بالظن في ياسي ولا طمعي

(وقال آخر)

لا تجزعن فان العسر يتبعه ... يسرٌ ولا بوس الاّ بعده ريف
وللمقادير وقت لا تجاوزه ... وكل امرٍ على الاقدار موقوف
ورب من كان معزولاً فيعزل من ... ولي عليه وللاحوال تصريف
فكم عزيزٍ رأينا بات محتجباً ... فصار يحجب عن قوم به خيفوا

ولعمرو بن معدي كرب

وكانت على الايام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة ... تجرعتها بالصبر حتى تولت

وقال آخر

قبل الالفاظ الا ترى الى قول
بعضهم في ثموداً فما ابقى ان ثموداً
بمفعول مقدم وهذا خطأ فان
لما النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها
فيما قبلها وقال آخر في قليلا
ما يؤمنون انما بمعنى من ولو كان
كذلك لرفع قليل على انه خبر
والامثلة في هذا اكثر من الاول
ومنهم من تعمق في الادب فصار
اكثر كلامه مسجعاً حتى انتهى
الحال به الى ان وقع في الكنيف
فجاؤه بكنافين فكلمه احدهما
لينظر أهو حي فقال اطلبا لي
حبلا رقيقاً . وشداني شداً وثيقاً .
واجذباني جذباً رفيقاً . فقال
احدهما انا والله لا انقذه فانه في
الخراء الي الحلق ولا يدع الفضول
حكاها صاحب البصائر * ومنهم
من غلب عليه معرفة الاوزان
حتى حكى ان امرأة جاءت الى
عروضي بقال فقالت اريد بذي
القطعة زيتاً وبذي البيضة جبناً
فشغله كلامها عن مبايعتها واخذ
يقطعه ويقول اريد بذي القطعة
زيتاً فاعلاتن فاعلاتن فقالت
المرأة امك الفاعلة وسبته وانصرفت
فهذه تنبهات على ما يستقبح

اصبر لدهر نال منك ... فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن مرةً ... لا الحزن دام ولا السرور

﴿وقال آخر﴾

ان يكن خانني اجتهادي فماذاك ... على مطلب الكريم بعار
يحرم الليث صيده وهو منه ... بين حد الانياب والاظفار
ويزل السهم الشديد عن القصـد ... وما تلك زلة الاسوار
ليس كل الاقطار يروي من الغيـث ... وان عمها بثوب القطار
ان يخني رشاء دلوى فقد ... احكمت اكرابه بعقد مغار
ان يعد فارغًا اليَّ فما ... القيت الا الى المياه الغزار
ان اساء الزمان بي فلقد ... احسنت صبري وما اساء اختياري
وعسى فرجة تفتح نحوي ... ناظر اليسر بعد طول انتظار
ما لقيت الاعسار بالصبر الا ... بشرتني وجوهه باليسار

﴿وقال سعد بن محمد الازدي﴾

لا يوحشنك من جميل تصبر ... خطب فان الصبر فيه احزم
العسر اكرمه ليسرٍ بعده ... ولاجل عين الف عين تكرم
والمرء يكره بؤسه ولعله ... يأتيه فيه سعادة لا تعلم

﴿وانشد ايضًا لنفسه﴾

كانت اليك من الحوادث زلة ... فاصبر لها فلعلها تستغفر
انا لنمتهن الخطوب بصبرنا ... فالخطب ممتهن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة ... وغدا بفرجتها الصباح الانور

﴿وانشد سعد بن محمد الازدي الشهير بالوحيد﴾

يراع الفتى للخطب تبدو صدوره ... فيأسى وفي عقباه يأتي سروره
الم تر ان الليل لما تراكمت ... دجاه بدا وجه الصباح ونوره
فلا تصحبن اليأس ان كنت عالمًا ... لبيبًا فان الدهر شتى اموره

﴿وقال آخر﴾

ويستهجن من علماء هذا الزمان والغرض بها لكل ذي فن ان يتخذه سبيلا الى النجاة ومرقاة الى الزلفى عند الله تعالى لا صنعة يتهوس بها بل مرقاة يتوصل بها الى الملأ الاعلى وحيث عممنا العلماء فلنخصص ارباب الوظائف بالذكر * المثال السابع والاربعون المفتي وقد خص جماعة كتاب ادب الفتيا بالتصنيف وذكر الفقهاء مالا طائل في اعادته لكنا ننبه على ما كثر في بعض المفتين فنقول منهم من يسهل امر الشرع ويتناهى الى ان يفتي ببعض مالا يعتقده من المذاهب ويرخص لبعض الامراء ما رخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء فيقول مثلا لمن ساله عن انتقاض الوضوء بمس الذكر لا ينتقض الوضوء عند ابي حنيفة وعن لعب الشطرنج واكل لحم الخيل حلال عند الشافعي وعن مجاوزة الحدود في التعزيرات جائز عند مالك وعن بيع الوقف اذا خرب وتعطلت منفعته ولم يكن له ما يعمر به حلال عند احمد بن حنبل وهكذا فليت شعري باي مذهب افتي هذا

اتحسب ان البؤس للمرء دائم ... ولو دام شيء عده الناس في العجب
لقد عرفتك الحادثات نفوسها ... وقد ادبت ان كان ينفعك الادب
ولو طاب الانسان من صرف دهره ... دوام الذي يخشى لاعياه ماطلب

﴿وقال محمد بن غياث﴾

خبو النجم يتلوه اشتعال ... ونقص البدر يؤذن بالتمام
واكمل ما تكون الشمس حسنًا ... اذا رفعت لها سجف الغمام

﴿وقال ابراهيم بن المهدي في استتاره من المأمون﴾

فلله نفسي ان في لعسرةً ... وفي الدهر نقض للعرى بعد ابرام
غدوت على الدنيا مليكًا مسلطًا ... ورحت وما احوى بها قيس ابهام
وهل ليلةً في الدهر الا ارى بها ... تثبت اقدام وزلة اقدام
كذاك رأيت الدهر يقدم صرفه ... على كل نفس بين بؤس وانعام
فيرفع اقوامًا وكانوا اذلة ... ويهوى باخوان كرام واقوام
فيسقيهم شوبين سخنًا وباردًا ... بكاسين شتى من هوان واكرام
وكاين ترى من معدمٍ بعد ثروةٍ ... وآخر يؤتى ثروة بعد اعدام

﴿وقال آخر﴾

ان يأذن الله فيما بت آمله ... اتى النجاح حثيثًا غير ممطول
مالي سوى الله مأمول لنائبةٍ ... والله اكرم مأمول ومسئول

﴿وقال غيره﴾

اقول قول حكيم ... فاعرف بفهمك شرحه
كم فرجة اثر ضيق ... وفرحة بعد ترحه
فالعسر يعقب يسرًا ... والهم يكسب فرحه
والعيش فاعلم ثلاث ... غنى وامن وصحه

﴿وقال ابن يعقوب﴾

يقولون صبرًا والتصبر شيمتي ... الم يعلموا ان الكريم صبور
هل الدهر الا نكبة وسلامة ... والا فبؤس مرة وحبور

المفتي وعلى اي طريقة جرى وباي امام يتعلق فلقد ركب لنفسه بمجموع هذه الامور مذهبًا فان قلت اليس قد ذهب بعضهم الى جواز تتبع الرخص قلت ذلك على ضعفه لا يوجب اغراء السفلة بدين الله تعالى وتخصيص الامراء دون غيرهم وقائل هذه المقالة يخصص بها من يشاء ولا يعتقدها ايضًا فانه لو اعتقدها لم يخص بها وهذا من علامة الاستهانة بدين الله تعالى نعوذ بالله من الخذلان وما هذا المفتي الا ضال خارق لحجاب الهيبة مسقط لأبهة الشرع مفسد لنظام الدين انشدت لبعض سفهاء الشعراء

الشافعي من الائمة قائل ... اللعب بالشطرنج غير حرام
وابو حنيفة قال وهو مصدق ... في كل ما يروي من الاحكام
شرب المثلث والمربع جائز ... فاشرب على امن من الآثام
واباح مالك الفقاح تكرمًا ... في ظهر جارية وظهر غلام
والحبر احمد حل جلد عميرة ... وبذاك يستغنى عن الارحام
فاشرب ولط وازني وقامر واحتجج

﴿وقال آخر﴾

لعمرك ما كل التعطل ضائر   ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق في القرب والنوى   عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
وان ضقت يوماً يفرج الله ما ترى   ألا رب ضيق في عواقبه سعه

﴿وقال غيره﴾

اني رأيت مغبة الصبر   تفضي بصاحبها الى اليسر
لا بد من عسر ومن يسر   بهما تدور دوائر الدهر
فكما يلذ اليسر صاحبه   فكذاك فليصبر على العسر

﴿ولابي الحسين الكاتب﴾

الى الله اشكو ما الاقي من الهوى   وحسبي بالشكوى اليه تروحا
هو الفارج الغماء بعد اشتدادها   ومعقب عسر الامر يسراً ومسرحا
اطال يدي بعد المذلة فاعتلت   ودافع عني ما كرهت وزحزحا
لئن عرضت لي نكبة بعد انعم   توالت ففاتت ان تعد وتشرحا
لما انا من تجديد صنع بآيس   ولا كان مما كان اذ كان اصلحا
وما يقف الانسان في طي دهره   كمر الليالي مسعفات وجنحا

﴿وانشد ابو الفرج الببغا﴾

صبرت ولم احمد على الصبر شيمتي   لان مآلي لو جزعت الى الصبر
ولله في اثناء كل ملمة   وان آلمت لطف يحض على شكري
وكم فرج واليأس يحجب دونه   اتاك به المقدار من حيث لا تدري

﴿وقال آخر﴾

خلقان لا ارضى فعالهما * تيه الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطراً * واذا افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقاً * ادنى الى فرج من الصبر

﴿وقال ابو الفوارس سعد بن محمد الصفي﴾

علي بسابقة المقدور الزمني   صمتي وصبري فلم احرص ولم اسل

لو

في كل مسئلة بقول امام فقلت رأيي في مثل هذا الشاعر ان يضرب بالسياط ويطاف به في الاسواق فقبحه الله تعالى وأخزاه لقد اجترأ على ائمة المسلمين وهداة المؤمنين وقد افترى على مالك فيما عزاه اليه وعلى الكل من تسمية الشطرنج قماراً واطلاق الشرب واللواط والزنا على ما سماه ومن هذه حاله يؤل والعياذ بالله تعالى الى الزندقة ولعل الاصل في هذا قول ابي نواس

اباح العراقي النبيذ وشربه
وقال حرامان المدامة والسكر
وقال الحجازي الشرابان واحد
فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
واشربها لا فارق الوازر الوزر

ومعنى هذا ان ابا حنيفة وهو العراقي اباح النبيذ اذا لم يسكر وحرم المسكر مطلقاً سواء كان نبيذاً اوخمراً والخمر مطلقاً مسكراً كان او غير مسكر وان الشافعي وهو الحجازي قال الشرابان واحد النبيذ والخمر فيحرم قليل كل منهما وكثيره فركب هو

لو نيل بالسؤل مطلوب لما حرم   الرؤيا الكليم وكان الحظ للجبل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت   جهالة عند حكم الرزق والاجل

﴿وقال آخر﴾

الدهر كالطيف بؤساه وانعمه   من غير قصد فلا تمدح ولا تلم
لا تسأل الدهر في غماء يكشفها   فلو سألت دوام البؤس لم يدم

﴿وقال آخر﴾

ما تم الا الحظ فارقب له   ولا تقل عقلي ولا حزمي
كم نقمة في طيها نعمة   ويوجد الدرياق في السم

﴿وللشيخ محمد البكري الصديقي رحمه الله﴾

لنا من الله بالالطاف عادات   فكم لها ظهرت بالصدق آيات
ما ساءنا من مصاب الدهر نائبة   الا وكانت لنا فيها المسرات
ولا رفعنا يداً بالذل عن ضرر   الا وقد رفعت تلك المضرات
ولا رجوناه في امر نحاوله   الا وجاءت لنا منه البشارات
ما قدر الله لا شيء يناقضه   وللخلائق في هذا مقامات
لا تنظرن لغير الله في سبب   فالله يفعل والاسباب آلات
لله في الخلق الطاف لقد خفيت   تحار فيها العقول الجوهريات
كم شدة بات فيها المرء فانفرجت   عند الصباح ووافته المسرات
وكم اناس صباحاً مسهم حزن   فزال عنهم عشياً بالهنا باتوا
لا تيأسن فان الله ذو كرم   مولى له الحكم فينا والارادات
يبدي العجائب دهر من تقلبه   ولم يدم بيننا في الدهر حالات

﴿وقال الآخر﴾

عواقب مكروه الامور جبار   وايام شر لا تدوم قصار
وليس بباق بؤسها ونعيمها   اذا كر ليل ثم كر نهار

﴿وقال غيره﴾

احسن الظن برب عودك   حسناً امس وسوى اودك

من بين قوليها قولا ثالثاً لكنه رافع للمجمع عليه وهو وفاق الشافعي على ان الشرابين واحد لكن لا في الحرمة بل هو في الحل فهو مع ابي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر ومع الشافعي في ان المسكر والخمر مثل النبيذ ومخالف له في حرمة المثلث فيقول مثله لكن في الحل والشافعي رضي الله تعالى عنه يقول مثله لكن في الحرمة فهذا ابو نواس لم يقصد الا نوعاً من المجون الذي لم يخل عنه الادباء ولكن المجون في هذا الباب قبيح جداً لانه تلاعب بدين الله تعالى * ومنهم طائفة تصلبت في امر دينها فجزاها الله تعالى خيراً تنكر المنكر وتشدد فيه وتاخذ بالاغلظ وتتوقى مظان التهم غير انها تبالغ فلا تذكر لضعفة الايمان من الامراء والعوام الا اغلظ المذاهب فيؤدي ذلك الى عدم انقيادهم وسرعة نفورهم فمن حق هذه الطائفة الملاطفة وتسهيل ما في تسهيله فائدة لمثل هؤلاء الى الخير اذا كان الشرع قد جعل لتسهيله طريقاً كما ان من حقها التشديد فيما يرى

ان ربما كان يكفيك الذي ... هو بالامس سيكفيك غدك

(وقال آخر)

فلا تجزع وان اعسرت يوماً ... فقد ايسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر ... لعل الله يغني عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء ... فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار ... وقيل الله اصدق كل قيل
فلو ان العقول تسوق رزقاً ... لكان المال عند ذوي العقول

(وقال الشريف الرضي من قصيدة)

بلونا ما تجيء به الليالي ... فلا صبح يدوم ولا مساء
وانضينا المدى طرباً وهماً ... فما بقي النعيم ولا الشقاء
اذا كان الاسى داء مقيماً ... ففي حسن العزاء لنا شفاء

(وقال من قصيدة)

بقدر عز الفتى رزيته ... من وتر الدهر بات مرعوبا
واللؤلؤ الرطب في قلائده ... ما كان لولا الجلال مثقوبا

(وقال ايضاً)

ارى ركدة ريحها ترتجي ... ومظلمة صبحها ينتظر
لعل همومك هذي الطوال ... سيكشفها فرج مختصر
فتأمن من حيث يخشى الاذى ... كما خبت من حيث يقضي الوطر

(وقال من قصيدة)

صبراً فما يظفر الا من صبر ... ان الليالي واعدات بالظفر
لا بد ان يمضي بما فيه القدر ... يلقى الفتى من دهره خيراً وشر
لا بد ان ينهض جد من عثر ... ورب عظم هيض حيناً وانجبر

(وقال ايضاً)

تجاف عن الاعداء بقيا فربما ... كفيت ولم تعقر بناب ولا ظفر
ولا تبر منهم كل عود تخافه ... فان الاعادي ينبتون مع الدهر

ان في تسهيله مايؤدي الى ارتكاب شيء من حرمات الله تعالى فقد روى ان سائلا جاء الى عبدالله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فساله هل للقاتل توبة فقال لا توبة له وسأله اخر فقال له توبة فسئل ابن عباس عن ذلك فقال اما الاول فرايت في عينيه ارادة القتل فمنعته واما الثاني فجاء مستكيناً قد قتل فلم اقنطه قلت ومن ثم قال الصيمرى اذ ساله سائل فقال ان قتلت عبدي فهل علي قصاص فواسع ان يقول ان قتلته قتلناك فعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قتل عبده قتلناه ولان القتل له معان وهذا كله اذا لم يترتب على اطلاقه مفسدة ومنهم من يتسرع الى الفتيا معتمداً على ظواهر الالفاظ غير متامل فيها فيوقع الخلق في جهل عظيم ويقع هو في اثم كثير وربما اداه ذلك الى اراقة الدماء بغير حق وانا اذكر امثلة تصلح للالغاز منبهاً بها على اجوبتها فمنها حكي ان شخصاً احب الاجتماع بالمأمون امير المؤمنين فاعياه السعي في ذلك ولم يصل اليه فقال في ملأ

وهبك

وهبك اتقيت السهم من حيث تتقي ... فمن ليد ترميك من حيث لا تدري

(وقال من قصيدة)

ان المصائب تنسي المرء مقبلة ... قصد الطريق لما يسلي وما يزع
حتى اذا انكشفت عنه غياطلها ... تبين المرء ما يأتي وما يدع

(وقال من قصيدة)

لو ان غير يد الزمان يريغني ... ويفل حد معاشري وقبيلي
للويت من دون المذلة جانبي ... وجررت عن دار الهوان ذيولي
لكن سلطان الليالي غالب ... عزمي وقطاع علي سبيلي
قدرت فذل لها العزيز مهابة ... ليس الذليل لقادر بذليل

(وقال ايضاً)

ما ان رأيت كمعشر صبروا ... لقوارع اللزبات والازم
بسطوا الوجوه وفي ضلوعهم ... حرق الجوى ومآلم الكلم
جمحت بهم خيل الاسى فثنوا ... اعناقها باعنة الحزم

(وقال من قصيدة)

ولا بد من ذلة للفتى ... تعرفه كيف قدر النعم
فحسن العلى بعد حال الخضوع ... وطيب الغنى بعد حال العدم

(وقال متمم بن نويره من قصيدة مشهورة)

ولست اذا ما احدث الدهر نكبة ... ورزء بزوار القرائب اخضعا
ولا فرح ان كنت يوماً بغبطة ... ولا جزع ان ناب دهر فاوجعا
ولكنني امضي على ذاك مقدما ... اذا بعض من لاقى الخطوب تكعكعا

(وانشد شمس المعالي قابوس بن وشمكير حين زال عنه ملكه)

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل عاند الدهر الا من له خطر
اما ترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
فان تكن نشبت ايدي الزمان بنا * ومسنا من عوادي بؤسه الضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

من الناس وقال ايها الناس انبئوا علي فلست بسائل اعلموا ان عندي ماليس عند الله ولي ما ليس لله ومعي مالم يخلق الله واني احب الفتنة واكره الحق واقول ان اليهود قالت حقاً وان النصارى قالت حقاً ومعي زرع ينبت بغير بذر وسراج يضيء بغير نار وانا أحمد النبي وانا ربكم ارفعكم واضعكم فقاموا اليه فكادوا ياتون على نفسه وقالوا لا كفر فوق هذا الكفر وصاروا به الى المامون فلما مثل بين يديه فقال له ما الذي قلت فقال لي حاجة الى امير المؤمنين ولم اصل اليه وعرفت اني ان اقل هذا امثل بين يديه واعاد القول ثم اخذ يتأول فقال له اما قولي عندي ما ليس عند الله فعندي الظلم والجور واما قولي لي ما ليس لله فان لي صاحبة وولداً وليس لله تعالى صاحبة ولا ولد واما قولي ومعي مالم يخلق الله القرآن والفتنة المال والولد والحق الموت والزرع بغير بذر شعر الرأس والسراج المضيء بلا نار العينان والحق الذي قالته اليهود والنصارى

ثم لما من الله عليه بزفاف الملك ثانياً اليه مدحه احد الكتاب بقصيدة بديعة اولها

الجد ما لم يعنه الجد غدار … والحر ما لم يزنه الصبر خوّار
وللكريم اذا الايام زلن به … عن المنى بثبات النفس اعذار
كم فاضل وجنون المنجنون له … حيفا على حسك اللاواء جرّار
وكم جريح قريح القلب ذي عبر … وكم قتيل وما للسيف آثار
وكم فقير بلا جرم وخائنة … وكم غني وللايام ادوار
سير سريع ودور غير منصرم … نصب العيون ودون الغيب استار
من كان يخبر حال الدهر دائرة … لم يثنه عن عيان الحال اكبار
وانما حاصل الايام مختبر … جذر أصم عن التحقيق فرار
ينحي الزمان على من لا اصطبار له … ورقه للذي في العسر صبار
فاصبر هديت فان الصبر منجحة … ومن وراء ظلام الليل اسفار
والدهر ذو غير احواله نوب … عسر ويسر واحلاء وامرار
والبدر يدركه التمحيق منتقصاً … وبعده لضياء التم انوار
والنار في خلل العيدان كامنة … وسقطها باقتداح الزند سعار
والجد يطبع كالصمصام ثم له … من صيقل الدهر جلاء وشهار

(وما احسن ما قال ضمرة النهشلي في الصبر)

ويوم كأن المصطلين بحرّه … وان لم يكن نار قعود على جمر
صبرنا له حتى يبوح وانما … تفرج ايام الكريهة بالصبر

(ولابي تمام من قصيده)

خطوبٌ اذا لاقيتهن رددنني … جريحاً كأني قد لقيت الكتائبا
ومن لم يسلم للنوائب اصبحت … خلائقه طراً عليه نوائبا

(وقال من اخرى)

اعاذلتي ما اخشن الليل مركباً … واخشن منه في الملمات راكبه
ذريني واهوال الزمان اعانها … فاهواله العظمى تليها رغائبه

الم

ما اشار اليه تعالى بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء واما قولي وانا احمد النبي فالنبي منصوب على المفعولية باحمد واحمد فعل فانا احمد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واشكره وانا ربكم صاحب كم ارفع ذلك الكم واضعه فاستحسن المامون ذلك واصغى الى كلامه وقضى حاجته قلت وهذا الاطلاق الذي اطلقه هذا الملغز مستهجن مستقبح ولا يجوز عندي ذكره مطلقاً لما فيه من ايهام الكفر ولكن بتقدير اطلاقه لا ينبغي الاقدام على التكفير من غير تامل وفحص *

المثال الثامن والاربعون المدرس وحق عليه ان يحسن القاء الدرس وتفهيمه للحاضرين ثم ان كانوا مبتدئين فلا يلقي اليهم مالا يناسبهم من المشكلات بل يدربهم و ياخذهم بالاهون فالاهون الى ان ينتهوا الى درجة التحقيق وان كانوا منتهين فلا يلقي اليهم الواضحات بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم في عبابه الزاخر ومن اقبح المنكرات

الم تعلمي ان الزماع على السرى … اخو النجح عند الحادثات وصاحبه

(وقال ابو الطيب من قصيدة)

تسل بفكر في ابيك فانما … بكيت فكان الضحك بعد قريب
اذا استقبلت نفس الكريم مصابها … بخبث ثنت فاستدبرته بطيب
وللواجد المكروب من زفراته … سكون عزاء او سكون لغوب

(وقال ايضاً)

لا تلق دهرك الا غير مكترث … ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يدوم سرور ما سررت به … ولا يرد عليك الفائت الحزن

(وقال البحتري من قصيدة)

كل الذي نترجاه ونامله … مضمن في ضرورات المقادير
فما يقرب تقديمي شواسعها … ولا يباعد ما ادنين تأخيري
فلم اكلف نفسي ما اكلفها … من اتصالات تغليسي وتهجيري

(وقال ابو نصر احمد الكاتب)

الا لا تبال بصرف الزمان … ولا تخضعن لدور الفلك
وساخف زمانك واسخر به … فما العيش الا الذي طاب لك

وقال محمد بن الحسن الخراساني

ان كنت ترغب في الخلاص من الاذى … والكون في صف السلامة فارفق
واطلب لنفسك منزلاً متوسطاً … بين الخصاصة والغنى واستوثق
فالحرّ لولا ماله لم يهتضم … والعود لولا طيبه لم يحرق

وقال نصر المرغيناني

ان تر الدنيا اغارت * ونجوم السعد غارت
فصروف الدهر شتى * كلما جارت اجارت

وقال ابو الحسن الباخرزي

لا تنكري يا عز ان ذل الفتى … ذو الاصل واستعلى لئيم المحتد
ان البزاة رؤسهن عواطل … والتاج معقود براس الهدهد

مدرس يحفظ سطرين او ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثم ينهض فهذا ان كان لا يقدر الاعلى هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ولا يحل له يتناول معلومه وقد عطل الجهة لانه لا معلوم لها وينبغي ان لا يستحق الفقهاء المذكورون معلوماً لان مدرستهم شاغرة عن مدرس وان كان يقدر على اكثر منه ولكنه يسهل و يتاول فهو ايضاً قبيح فان هذا يطرق العوام الى روم هذه المناصب فقل ان يوجد عامي لا يقدر على حفظ سطرين ولو ان اهل العلم صانوه واعطي المدرس منهم التدريس حقه فجلس والقى جملة صالحة من العلم وتكلم عليها كلام محقق عارف وسال وسئل واعترض واجاب واطال واطاب بحيث اذا حضره احد من العوام او المبتدئين او المتوسطين فهم من نفسه القصور عن الاتيان بمثل ما اتى به وعرف ان العادة انه لا يكون مدرس الا هكذا والشرع كذلك لم تطمع نفسه في هذه المرتبة ولم تطمع العوام في اخذ وظائف العلماء فاذا رأينا العلماء

(ومثله له ايضاً)

لا يشرف الرذل بان يكتسي … من الغنى تاجاً وديباجا
وهل نجا الهدهد من نتنه … بلبسه الديباج والتاجا

(وقال)

اذا علا رذل ولم يدل في اﻟ … مجد ببرهان ولا حجه
فذره ما درّ له المال او … نشت على مقلاته العجه
واتخذ الصبر على لؤمه … سفينةً ان طمت اللجه
وصانع الدهر فكم دولةٍ … صاغت من السلحة اترجه

(وقال)

الدهر رام ليس يا من عاقل … من قوسه التوتير مهما انبضا
واحسرتا لرداه لولا انه … حكم الاله ولا مرد لما قضى

(وقال القاضي الفاضل)

لا تلن للخطوب واصلب فمن لا … ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا … حين ابدي ليناً لحر اللهيب

(وقال الفضل بن محمد)

قد يكره المرء ما فيه سلامته … وربما عشق الانسان ما قتلا
ولم تزل هذه الدنيا محببة … الى نفوس سقتها السم والعسلا

(وقال الشهاب الخفاجي من قصيدة)

رويدك لا تعجل وصبرك اجمل … وذاك قرى خطب على الحر ينزل
وما قرت الاعراض قط وكل ذا … على رغم انف الحادثات تحول
خليلي لا تحزن لماضٍ قد انقضى … ولا تك مسروراً بفان سيقبل
ففي عالم الذر المقادير ابرمت … وليس على غير القضاء معوّل

(وقال من قصيدة)

ان زارنا ضيف الخطوب فاننا … نقريه حزماً في المكاره بارعا
او راعنا جيش الهموم يفله … صبر يرى الرأي الجميل طلائعا

يتوسعون في الدروس ولا يعطونها حقها ويبطلون كثيراً من ايام العمالة واذا حضروا اقتصروا على مسئلة او مسئلتين من غير تحقيق ولا تفهيم ثم رأيناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح على التدريس ويعيبون الزمان واولياء الامور فالرأي ان يقال لهم انتم السبب في ذلك بما صنعتم فالخيانة منكم عليكم ومن المهمات مدارس فقهاء اوقفوها على الفقهاء والمتفقهة والمدرس من الشافعية او الحنفية او المالكية او الحنابلة فيلقي المدرس في هذه المدرسة تفسيراً او حديثاً او نحوا او اصولاً او غير ذلك اما لقصوره عن الفقه او لغرض آخر وعندي ان الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء الا بالقاء الفقه فان كان هذا المدرس لا يلقي الفقه رأساً فهو آكل حرام وكذلك نقول في مدرسة التفسير اذا التى مدرسها غير تفسير ومدرسة النحو اذا التى مدرسها غير نحو والاحوط في هذا كله الالقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة فان الواقف لو أراد غيره لسمى ذلك الفن وان كان يلقي

ما

ما اقدر الصبر الجميل فانه … يدني المنا فتنال امراً شاسعا

(وقال)

ترفق بعيس الحرص في مهمه العنا … فما هي الا اعظم وجلود
ولا ترغبن فيما يسرّ فانها … حظوظ يقضيها الفتى وجدود
ولا تخش مكروهاً يدوم فانه … يمرّ فما للنائبات خلود

(وقال ايضاً)

لم نسع في الارزاق اذ قسمت لنا … قسماً لها الملك الكريم يدبر
الا لان شقاءنا وعناءنا … كالرزق في حكم القضاء مقدر

(وقال ايضاً)

درج زمانك قيل في مثلٍ … ولكم حبا طفل المنا فدرج
ولرب غمٍ منتجٌ فرحاً … ومن العمود الى العمود فرج

(وقال ايضاً)

اذا ما ذكرت الله والهم قد دجى … تبسم لي صبحٌ من اللطف مشرق
حسرت قناع الهم عني ولم يزل … بايدي الاماني ذا القناع يمزق

(وقال ايضاً)

هو الدهر قاضٍ وفي حكمه … يجور ويظلم من يتقيه
وصبري له رشوة قدّمت … لتقضي لقلبي بما يشتهيه

(وقال ايضاً)

على مهد التوكل بات عزمي … وصحته بما نهوى مضيه
فالطاف الاله تبيت تسري … الى راجيه من طرقٍ خفيه

(وقال ايضاً)

الدهر بحر والحوادث موجه … من ذا الذي في لجه لم يغرق
حتى الذرارى وهي سابحة به … وكذا الهلال ولو اتى في زورق

(وقال ايضاً)

وما يخفض الدهر الا امرأ … ترقى عن العيب شهم المكارم

الفقه مثلاً في مدرسة الفقهاء غالباً لكنه ينوع في بعض الايام فيذكر تفسيراً او حديثاً او غيره من العلوم الشرعية يقصد التنويع على الطلبة ويحث عزائمهم فلا باس غير ان الاحوط خلافه وهذا كله بشرط ان يكون المسمى بالمدرسة اهل نوع خاص كما مثلناه في مدرسة وقفت على مدرس شافعي او حنفي وفقهاء ومتفقهة من اهل ذلك المذهب وان لا يكون شرط في المدرس معرفة غير ذلك الفن فان شرط فيه فنون كما في مدارس كثيرة في ديار مصر وبلاد الشام وغيرها يقفها الواقف على طائفة مذهب معين ويشترط في المدرس ان يعرف مثلاً من العلوم كذا وكذا كالتفسير والحديث وغيرهما وما هذا شأنه رايي فيه ان ينوع المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه معرفتها فانه لولا ارادة ذكرها لما اشترطت فيه وكان يمكن ان يقال انما اشترطت فيه ليكون اكمل في استعداده للاجوبة عن الاعتراضات التي لعلها تعترضه ولكن الاحوط

فذ والنقص ما انخفض اسم له ولم يظهر الخفض في غير سالم

وقال ايضاً

من لم يكن في دهره متحملاً عبءَ الهموم تملّه احبابه
فاصبر ولا تك شاكياً من حادث من عاتب الايام طال عتابه

وقال ايضاً

دع اراجيف زمانٍ رائع كم لهذا الدهر دين فيودي
خذ بخير الفال واترك شره من تردّى للردى فيه تردى

وقال ايضاً

تفطن لريب الحادثات وكن بها بصيراً واعدد للرقاد دثارا
اذا المرء لم ينظر مواطئه وقد تقلب لم تامن عليه عثارا

وقال ايضاً

اذا راجع الناس الاخلاء واغتدت ذخائرهم عوناً اذا اجدب الدهر
فمالي صديق غير صندوق منزلي فان لم يكن ذخر فذخري هو الصبر

وقال ايضاً

الهي حاشا فيض جودك عكس ما رجوت وان يعكس فما انعكس القدر
وان انعكاس النقش في فص خاتم يؤدي الى ان يستقيم به الاثر

وقال ايضاً

خليلي لا تاسف على فائت وكن * عن الامران لم يبد نجح موليا
كفى لانقطاع العمر للمرء زاجراً * وبالياس عما قد تولى معزيا

وقال زياد بن عمرو العذري

اذا مذهب سدت عليك فروجه * فانك لاقٍ لا محالة مذهبا
فلا تجعلن كرب الخطوب اذا عرت * عليك رياحاً لا يزال مضببا
وكن رجلاً جلداً اذا ما تقلبت * به صير فيات الامور تقلبا

وقال ابو الحسن التنوخي

اصبر فليس الزمان مصطبراً وكل احداثه فمنقشعه

ماذكرناه * المثال التاسع والاربعون المعيد المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الاعادة والافهو والفقيه سواء فما يكون قد شكر الله تعالى على وظيفة الاعادة * المثال الخمسون المفيد عليه ان يعتمد ما يحصل به في الدرس فائدة من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك والا ضاع لفظ الافادة وخصوصها وكان اخذه العوض في مقابلها حراماً * المثال الحادي والخمسون المنتهى من الفقهاء عليه من البحث والمناظرة فوق ماعلى من دونه فان هو سكت وتناول معلوم المنتهي لكونه من نفسه اعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها * المثال الثاني والخمسون فقهاء المدرسة وعليهم التفهيم على قدر افهامهم والمواظبة الا بعذر شرعي ومن اقبح ما يرتكبونه تحدث بعضهم مع بعض في اثناء قراءة الجزء من الربعة فلا هم يقرؤن القرآن ولاهم يسكتون من اللغو في الكلام فان انضم الى ذلك ان قراءة الجزء شرط

كم

كم من فقير غناه في شبع قد نال خفضاً في عيشه ودعه
ومن جليل جلت مصائبه ثم تلقاه بعد من وضعه
فعاد في العز آمناً جذلاً وعاد اعداؤه له خضعه

وانشد ثعلب عن الزبير

لا احسب الشر جاراً لا يفارقني ولا اجزّ على ما فاتني الودجا
ولا تراني لما قد فات مكتئباً ولا تراني بما قد نلت مبتهجا
ولا لقيت من المكروه نازلة الا وثقت بان القى له فرجا

ويروى لامير المؤمنين علي رضي الله عنه

لا تكره المكروه عند نزوله ان المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنه

وقال آخر

جديد همك يبليه الجديدان فاستشعر الصبر ان الدهر يومان
يوم يسوء فيتلوه ويذهبه يومٌ يسر وكلٌ زائل فاني

وقال علي بن جبلة

عسى فرج يكون عسى يوافي بعد ما انحبسا
فلا تقنط وان لاقيـ ـت هماً يقبض النفسا
فاقرب ما يكون المر ء من فرج اذا يئسا

وقال آخر

ربما يطلع التفرج في الكربة كالبدر في خلال السحاب
وتزول الهموم في قدر الزرّ يعرى عن عروة الجلباب

وانشد ابو الفرج الاصبهاني لنفسه

لقد بكر الناعي فوثب ان رأى ار تياعي لخطب عز فيه التحمل
ومازال هذا الدهر يأتي باضرب تسرّ وتبكي كلها تتنقل
فلا حزن يبقى على ذي كآبة ولا فرح يحظى به من يؤمل

وقال آخر

الواقف وان حديثهم في النميمة فقد جمعوا حرمات * ومنهم من لا يصغى للمادح وربما فتح كتاباً ينظر فيه ولا يلتفت الى ما يقوله المدرس بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم ولا يفيده ان يطالع في كتاب وهو في الدرس فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما اشترط عليه الحضور * المثال الثالث والخمسون قارئ العشر وينبغي ان يقدم قراءة العشر فيكون قبل الدرس وعقيب فراغ الربعة اذا كان الدرس فيه ربعة كما هو الغالب وان يقرأ آية مناسبة للحال * المثال الرابع والخمسون المنشد وينبغي ان يذكر من الاشعار ما هو واضح اللفظ صحيح المعنى مشتملاً على مدائح سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ذكر الله تعالى وآلائه وعظمته وخشية مقته وغضبه وذكر الموت وما بعده وكل ذلك حسن واهمه مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الذي يفهم من اطلاق لفظ المنشد وان اقتصر المنشد على ذكر

اذا ضيقت امراً ضاق جداً … وان هوّنت ما قد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات هماً … فكم شيء تصعّب ثم لانا

وانشد ابو الفرج الببغا لنفسه

تنكب مذهب الهمج … وعد بالصبر تبتهج
فان مظالم الايا … م محجوجٌ بلا حجج
تسامحنا بلا شكر … وتمنعنا بلا حرج
ولطف الله في اثنا … ءها منجٍ من اللجج
فمن ضيق الى سعة … ومن غم الى فرج

وللحسين بن ابي البغل من ابيات

فصبراً على حلو القضاء ومره … فان اعتياد الصبر ادعى الى السر
وخير القضايا خيرهن عواقباً … وكم قد اتاك النفع من جانب الضر
ومن عصمة الله الرضا بقضائه … ومن لطفه توفيقه العبد للصبر

وقال عبيد الله الحارثي من قصيدة

اصبر على الدهر ان اصبحت منغمساً … بالضيق في لجج تهوى الى لجج
فان تضايق امر عنك مرتتج … فاطلب لنفسك باباً غير مرتتج
لا تيأسن اذا ماضقت من فرج … يأتي به الله في الروحات والدلج
فما تجرّع كأس الصبر معتصم … بالله الا اتاه الله بالفرج

وقال عبيد الله الحارثي من قصيدة

قل من سره رضا الدهر الا … ساءه سخطه بما لا يطاق
وكذا عادة الزمان شتات … والتئام والفة وافتراق

وقال آخر

ورب امر مرتتج بابه … عليه اغلاق واقفال
ضاقت بذي الحيلة في فتحه … حيلته والمرء محتال
ثم تلقته مفاتيحه … من حيث لا يخطره البال

وقال غيره

ابيات غزليه او حماسية فقد اساء لا سيما في جامع العلم * المثال الخامس والخمسون كاتب الغيبة على الفقهاء وعليه اعتماد الحق وان لا يكتب على كل من لا يحضر ولكن يستفصح عن سبب تخلفه فان كان له عذر بينه وان هو كتب على غير بصيرة فقد ظلمه حقه وان سامح لمجرد حطام ياخذه من الفقيه فهو على شفير جهنم * المثال السادس والخمسون خازن الكتب وحق عليه الاحتفاظ بها وترميم شعثها وحبكها عند احتياجها للحبك والضنة بها على من ليس من اهلها وبذلها للمحتاج اليها وان يقدم في العارية الفقهاء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب على الاغنياء وكثيراً ما يشترط الواقف انه لا يخرج الكتاب الا برهن يحرز قيمته وهو شرط صحيح معتبر فليس للخازن ان يعير الا برهن صرح به القفال في الفتاوي والشيخ الامام في تكملة شرح المهذب وذكر انه ليس هو الرهن الشرعي * المثال السابع والخمسون شيخ الزاوية وعليه ان يسمع

اصبر على مضض الزما … ن وان رمى بك في اللجج
فلعل طرفك لا يعو … د اليك الا بالفرج

وانشد ابن حماد البصري لنفسه

ان كان لا بد من اهل ومن وطن … فحيث آمن من اهوى ويامنني
يا ليت منكرني من كنت اعرفه … فلست اخشى اذى من ليس يعرفني
لا اشتكي زمني هذا فاظلمه … وانما اشتكي من اهل ذا الزمن
وقد سمعت افانين الحديث فهل … سمعت قط بحرٍّ غير ممتحن

وقال آخر

كل أمرٍ وان تضايق جداً … فله بعد ما تضايق فسحه
فارج كشف البلاء عنك وشيكاً … ان كشف البلاء في قدر لمحه

وقال ابو علي الخازن من قصيدة

لا تطلبوا المال من حول ومن حيلٍ … فربما جاء مطلوب بلا طلب
يأتي الفتى رزقه المقسوم عن سبب … بادٍ يراه وقد يأتي بلا سبب
واستخصموا الفلك الدوار يلقكم … بحجتي رغبٍ ان شاء او رهب
قاسيت احوال هذا الدهر مرتكباً … اهواله وصريعاً غير مرتكب
ونلت بالجد والجد اللذين هما … امنيتا كل نفس كل مطلب
وقد بلغت الى اقصى مدى عمري … وكلّ غربي واستأنست بالنوب
ومن تعوّد عضّ السيف هامته … هانت على اليته عضة القتب

وللاستاذ ابي القسم عبد الواحد الاصفهاني

يضيق صدري فيسليني اعتلاق يدي … حبلاً من الله مشتداً مرايره
اذا تبينت من الطافه اثراً … على طليعة امري هان سايره

وللامير نصر بن احمد الميكالي

اتق الله لا الاعداء واعلم تيقناً … بان الذي لم يقضه لا يصيبكا
وحظك لا يعدوك ان كنت قاعداً … ولا انت تعدو حين يعدو نصيبكا

وقال آخر

المحدثين ويستمع ما يقرؤنه عليه لفظة لفظة بحيث يصح سماعهم وليصبر عليهم فانهم وفد الله تعالى ومتى ما وجد جزء حديث او كتاب تفرد به شيخ بروايته كان فرض عين عليه ان يسمعه * المثال الثامن والخمسون كاتب غيبة السامعين وعليه ضبط اسماء الحاضرين والسامعين وتامل من يسمع ومن لا يسمع وان لا يكون كاذباً على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ان فلاناً سمع ولم يسمع فان هو تساهل في ذلك فليتبوأ مقعده من النار * المثال التاسع والخمسون الخطيب عليه ان يرفع صوته بحيث يسمعه اربعون نفساً من اهل الجمعة فلو خطب سراً بحيث لم يسمع غيره لم يجز على الصحيح ولو رفع صوته بقدر ما يبلغهم ولكن كانوا كلهم او بعضهم صماً فامتنع سماعه للصمم فالاصح ايضاً لا يصح واما الالتفات في الخطبة والدق على درج المنبر في صعوده والدعاء اذا انتهى صعوده قبل ان يجلس والمجازفة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم والمبالغة في

تعز فان الصبر بالحرّ اجمل ... وليس على ريب الزمان معوّل
فلو كان يغني ان يرى المرء جازعاً ... لنازلة او كان يغني التذلل
لكان التعزي عند كل مصيبة ... بذى اللب والاحلام اولى واجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه ... وما لامرئ عما قضى الله معدل
فان تكن الايام فينا تبدلت ... ببؤسي ونعمي فالحوادث تفعل
فما ذللت فينا قناة صليبة ... ولا ذللتنا للذي ليس يحمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمل مالا يستطاع فتحمل
وقينا بحمد الله عنا نفوسنا ... فصحت لنا الاعراض والناس دهل

وللشريف الرضي وان لم يكن من هذا الباب . الا انه مرضي عند ذوي الالباب . على ان طبعي يتروى بهذا المشرب . ولسان حالي ينطق بهذا المذهب

مقام الفتى عجز على ما يضيمه ... وذل الجرى القلب احدى العجائب
اذا قل عزم المرء قل انتصاره ... واقلع عنه الضيم دامى المخالب
وضاقت الى ما تشتهي طرق نفسه ... ونال قليلاً مع كثير المعايب
وما بلغ المرمى البعيد سوى امرئ ... يروح ويغدو عرضة للنوائب
وما جرّ ذلاً مثل نفس جزوعة ... ولا عاق عزماً مثل خوف العواقب

﴿ومثله قول ابي عطاء السندي﴾

اذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ... شكى الفقر أو لام الصديق فاكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت ... حبال ذوي القربى به ان تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنا ... تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

﴿وقال ابو اسحق الغزي من قصيدة﴾

كل جرح من الليالى جبار ... تلك ايدٍ سيوفها الاقدار
في طريق الحوادث الشرى والارى ... وللدهر هفوة واعتذار
ما عرفنا اذى الحنادس حتى ... نسختها بطيبها الاسحار

﴿وقال من قصيدة﴾

الاسراع في الخطبة الثانية فكل ذلك مكروه ولا باس بالدعاء للسلطان بالصلاح ونحوه فان صلاحه صلاح المسلمين ولا يطيل الخطبة على الناس فان وراءه الشيخ والضعيف والصغير وذا الحاجة ولا ياتي بالفاظ قلقة يصعب فهمها على غير الخاصة بل يذكر الواضح من الالفاظ ولا يكلف بالتسجيع الى غير ذلك مما ذكره الفقهاء * المثال الستون الواعظ وعليه نحو ما على الخطيب فليذكر بايام الله تعالى وليحث القوم في الله تعالى وينبئهم باخبار السلف الصالحين وما كانوا عليه واهم ما ينبغي له وللخطيب ان يتلو على نفسه قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ويتذكر قول الشاعر

لا تنه عن خلق وتاتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

واعلم ان الكلام اذا لم يخرج من القلب لم يصل الى القلب فكل خطيب وواعظ لا يكون عليه سيما الصلاح قل ان ينفع الله تعالى به * المثال الحادي والستون القاص وهو من يجلس

يا طالب العز في الدنيا بحيلته ... ان القناعة كانت جملة الحيل
لا تحقرن طفيف الرزق واغن به ... ما الغمر مجتمع الا من الوشل
وانزل اذا لم تجد للمرتقى سبباً ... فناشق العود يرجو نازل السبل

﴿وقال ايضاً﴾

فقد تصقل الظبات وهي كليلة ... ويصد أحد السيف وهو مهند
اذا قل عقل المرء قلت همومه ... ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

﴿وذكرت بقوله ويصد أحد السيف قولي﴾

لا يحزن الفاضل ان نابه ... صروف دهر اورثته الظنون
فالطبع لا يقصد الا الظبى ... والنقع لا يطلب الا العيون

﴿وقلت في معنى آخر﴾

اذا هب عاصف خطب على ... غصون ترى دوحها قائما
تساقط يابس اوراقها ... وناضرها لم يزل سالما

﴿وقلت ايضاً﴾

بلوت الزمان واحداثه ... فكان المكلم منها المكلم
غرائب علمني حفظها ... زماني والدهر نعم المعلم

﴿وقال ابو تمام من قصيدة﴾

خلقنا رجالاً للتجلد والاسى ... وتلك الغواني للبكا والمآتم
فاي فتى في الناس احرض من فتى ... غدا في خفارات الدموع السواجم
وهل من حكيم ضيع الصبر بعدما ... رأى الحكماء الصبر ضربة لازم
ولم يحمدوا من عالم غير عامل ... خلاقاً ولا من عامل غير عالم

﴿وقال ايضاً﴾

ان كان غيرك الاثراء والنعم ... فلن يغيرني عن محتدي العدم
اذا اناخ علي الدهر كلكله ... قراه صبراً وعزماً مني الكرم
وان علتني من ازماته ظلم ... صبرت نفسي حتى تكشف الظلم
فكل هذا منحت الحادثات قرى ... اني امرؤ ليس ترضى الضيم لي الهمم

او يقف على الطرقات يذكر شيئاً من الآيات والاحاديث واخبار السلف وينبغي له ان لا يذكر الا ما يفهمه العامة ويشتركون فيه من الترغيب في الصلاة والصوم واخراج الزكاة والصدقة ونحو ذلك ولا يذكر عليهم شيئاً من اصول الدين وفنون العقائد واحاديث الصفات فان ذلك يخرجهم الى مالا ينبغي * المثال الثاني والستون قارئ الكرسي وهو من يجلس على الكرسي يقرأ على العامة شيئاً من الرقائق والحديث والتفسير فيشترك هو والقاص في ذلك ويفترقان في ان القاص يقرأ من صدره وحفظه ويقف وربما جلس ولكن وقوفه وجلوسه في الطرقات واما قارئ الكرسي فيجلس على كرسي في جامع او مدرسة او خانقاه ولا يقرأ الا من كتاب وينبغي له ايضاً مثل ما ينبغي للقاص من قراءة مايفهمه العامة وما لا يخشى عليهم منه ولا باس بقراءة كتاب احياء علوم الدين للغزالي وكتاب رياض الصالحين والاذكار للنووي وكتاب سلاح

وقال ايضاً

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت … عيدان نجدٍ ولم يعبأن بالرتم
بنات نعشٍ ونعش لا كسوف لها … والشمس والبدر منه الدهر في رقم
والحادثات عدو الاكرمين فما … تعتام الا امرأ يشفى من العدم
فليهنك الاجر والنعمى التي سبغت … حتى جلت صدأ الصمصامة الخذم
قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت … ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وقال ايضاً

ينال الفتى من دهره وهو جاهل … ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الاقسام تجرى على الحجى … هلكن اذاً من جهلهن البهائم

وقال ايضاً من قصيدة

ان ريب الزمان يحسن ان يهدى … الرزايا الى ذوي الاحساب
فلهذا يجف بعد اخضرارٍ … قبل روض الوهاد روض الروابي

وقال من قصيدة

وحادثات اعاجيب خسا وزكا … ما الدهر في فعلها الا ابو العجب
يملكن قود الكماة المعلمين بها … ويستقدن لفرسان على القصب
فما عدمت بها لا جاحداً عدماً … صبراً يقوم مقام الكشف للكرب
ما يحسم العقل والدنيا تساس به … مايحسم الصبر في الاحداث والنوب

وقال من قصيدة

عمري لقد نصح الزمان وانه … لمن الكبائر ناصح لا يشفق
ان تلغ موعظة الحوادث بعدما … وضحت فكم من جوهر لا ينفق
ان العزاء وان فتى حرم الغنى … رزق جزيل لامرئ لا يرزق
هم الفتى في الارض اغصان الغنى … غرست وليست كل حين تورق

وله من قصيدة

ومن قامر الايام عن ثمراتها … فاحج بها ان تنجلي ولها الغمر
فان كان ذنبي ان احسن مطلبي … اساء ففي سوء القضاء لي العذر

المؤمن في الادعية لابن الامام وكتاب شفاء الاسقام في زيارة خير الانام للشيخ الامام الوالد وكتب ابن الجوزي في الوعظ لا باس بها ولا يخفى ما يحذر منه هؤلاء من كتاب اصول الديانات ونحوها * المثال الثالث والستون الامام ومن حقه النصح للمؤتمين بان يخلص في صلاته ويجأر في دعائه ويتضرع في ابتهاله ويحسن طهارته وقراءته ويحضر الى المسجد اول الوقت فان اجتمع الناس بادر بالصلاة والا انتظر الجمع مالم يفحش الانتظار وبالجملة ينبغي ان ياتي بصلاته على اكمل ما يطيقه من الاحوال ومما تعم به البلوى امام مسجد يستنيب في الامامة بلا عذر وقد افتى الشيخ عز الدين بانه لا يستحق معلوماً لانه لم يباشر ولا يستحق نائبه لانه غير متول ووافقه النووي رحمه الله تعالى لكن توقف فيه الوالد رحمه الله تعالى كما ذكر في باب المساقاة من شرح المنهاج اما جمع المرء بين امامة مسجدين فالذي اراه انه لا يجوز له لانه مطالب في كل واحد

قضاء الذى ما زال في يده الغنى … ثنى غرب آمالي وفي يدي الفقر
رضيت وهل ارضى اذا كان مسخطي … من الامر مافيه رضى من له الامر
واشجيت ايامي بصبر حلون لي … عواقبه والصبر مثل اسمه صبر

وله من قصيدة

وان ابتلاء المرء يبدي عواره … واملك يوم المرء بالمرء آخره
واكثر ما يؤتي الفتى في اموره … لمن جهة الامر الذي لا يحاذره
وان تجاريب الامور نهاية … وعند تناهي الامر تبدو سرائره

وقال البحتري من قصيدة

من قائل للزمان ما اربه … في خلق منه قد بدا عجبه
يعطي امرأ حظه بلا سبب … ويحرم الحظ محصداً سببه
نجهل نفع الدنيا فندفعه … وقد نرى ضرها فنجتنبه
لا ييأس المرء ان ينجيه … ما يحسب الناس انه عطبه
يسرك الامر قد يسوء فكم … نوه يوماً بخامل لقبه

فاجابه عبيد الله بن عبد الله بقصيدة اولها

اجد هذا المقال ام لعبه … ام صدق ماقيل فيه ام كذبه
لشد ما بين الزمان لنا … يا صاح ما قصده وما اربه
حقاً يقيناً فما تشككنا … في الدهر من بعد ان خلى عجبه

الى ان يقول فيها

الوصل لا الهجر في الهوى حكم … ولا يذم الهوى ولا وصبه
وليس يبلو الاخوان صاحبهم … الا اذا الدهر عضه كلبه
وعدتي للهموم ان كثرت … صبر وصدر موسع رحبه
ولم اقل للزمان قد رخصت … بل كثرت في خطوبه نوبه
كل عميد لو رد حادثة … فعنده الكشف ان عرت كربه
كم خاملٍ حامل بهمته … ونابه قاعد به لقبه
وانما المرء عقله فاذا … احرز عقلاً فعنده ادبه

منهما بان يصلي اول الوقت وتقديمه احد المسجدين على الآخر تحكم ولا ضرورة الى ذلك وذلك كتولية مدرستين شرط حضور كل واحدة منهما في وقت معين يلزم من حضوره في هذه اهمال تلك ولا يجوز ايضاً * المثال الرابع والستون المؤذن عليه معرفة الوقت وابلاغ الصوت ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول الوقت ولذلك يسن للصبح مؤذنان * المثال الخامس والستون الموقت ولا بد من معرفته علم الميقات فليحقق فن الهيئة وجهة القبلة على الخصوص وقد كثر في هذه الطائفة المنجمون والكهان نعوذ بالله تعالى منهم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين يوماً اخرجه مسلم وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد رواه ابو داود باسناد صحيح وقد اشار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك الى ان النجوم من

والحسب العقل لا النصاب فقل   مصرحاً قيمة امرئٍ حسبه

ولعبيد الله المذكور

قد يهجر النفع الجليـ   ـل لخوف عاقبة الضرر
ما كل ما تهوى يسر   فكن على نهج الحذر

وقلت في هذا المعنى

قد يترك الامر على حسنه   من خطر العقبى وسوء المآل
لاجل ذا الهم موسى اتقى   فاختار قبض الجمر دون اللآل

وقال البحتري من قصيدة

كأن الليالي اعزمت حادثاتها   بحب الذي نأبى وكره الذي نهوى
ومن يعرف الايام لا يرخفضها   نعيماً ولا يعدد تصرفها بلوى
اذا نشرت قدام رائدها ثنت   مواشكة الاسراع من خلفه تطوى
لقد ارشدتنا النائبات ولم نكن   لنرشد لولا ما ارتناه من يغوى

وله من قصيدة

اجدك ما تنفك تشكو قضية   تردّ الى حكم من الدهر جائر
ينال الفتى ما لم يؤمل وربما   اتاحت له الاقدار مالم يحاذر

وله من اخرى

اكثر هذا الخطب اشكال   ويعقب الانصراف اقبال
وبعد بعد الاحباب قربهم   وبعد شكوى النفوس ابلال
لو وردت الحادثات ما اخذت   عاد ثراء وزاح اقلال

وقال ابو العلاء المعري

لا تفرحن بفالٍ ان سمعت به   ولا تطير اذا ما ناعب نعبا
فالخطب افظع من سراء تاملها   والامر ايسر من ان تضمر الرعبا
اذا تفكرت فكراً لا يمازجه   فساد عقل صحيح هان ماصعبا

وقال ايضاً

اذا ما مضى نفس فاحسبنه   كالخيط من ثوب عمر نهج

وان

السحر ونحن نرى ان نتكلم على حقيقة السحر والكهانة والنجوم والسيمياء مختصراً فالكل من واد واحد وينطلق على جميعها السحر فنقول حاصل معنى السحر في اللغة يرجع الى معنى الازالة وصرف الشيء عن وجهه بطريق خفي ويطلق في عرف المتكلمين على امور احدها السعي بين الناس بالنميمة وثانيها تعلق القلب كما يقول بعض المتبتلين لمن في عقله خفة انه يعرف الاسم الاعظم او ان الجن تطيعه فينفعل له ضعيف العقل وربما اداه انفعاله الى مرض ونحوه او مطاوعة ذلك المتبتل فيما يقصده وثالثها الاستعانة بخواص الادوية والمفردات كانجذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك فيعتقد الرائي ان ذلك بفعل الساحر فقد حكي ان كنيسة ببلاد الروم عمل في جدرانها الاربعة وسقفها وارضها ستة حجارة من المغناطيس متساوية في القدر وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة بحيث انه لا يغلب حجر منها بقيتها في

وان هاجك الدهر فاصبر له   وعش ذا وقارٍ كان لم تهج
فكم جمرة خمدت فانقضت   وكان لها منذ حين وهج

وقال ايضاً

اقنع بما رضي التقى لنفسه   واباحه لك في الحياة مبيح
مرآة عقلك ان رأيت بها سوى   ما في حجاك رأته وهو قبيح
أسنى فعالك ما اردت بفعله   رشداً وخير كلامك التسبيح
ان الحوادث ما تزال لهامدى   عد النجوم ببعضهن ذبيح

وقال ايضاً

يقول لك انعم مصبحاً متوددٌ   اليك وخير منه اغاب اصبح
رجوتَ بقربٍ من خليلك مربحاً   وبعدك منه في الحقائق اربح
اذا انت لم تهرب من الانس فاعترف   بطلسٍ تعاوى او ثعالب تضبح
ومارس بحسن الصبر بلواك ان هم   اتوا بقبيح فالذي جئت اقبح
تروح الى فعل السفيه وتغتدي   وتمسي على غير الجميل وتصبح
كأن خطوب الدهر بحر فمن يمت   بفرط صداه فهو في اللج يسبح

وما أحسن قوله

اصبر فمن حيث اهين الحصى   يكرم في ادراجه الدر
نحن عبيد الله في ارضه   واعوز المستعبد الحر
بفضل مولانا واحسانه   يماط عنا البؤس والضر
اما يرى الانسان في نفسه   آيات رب كلها غرّ
في فمه عذب وفي عينه   ملح وفي مسمعه مرّ
وهي المقادير فذا حتفه   قيظٌ وذا منيته قرّ

وقوله

وما العيش الا لجة باطلية   ومن بلغ الخمسين جاوز غمرها
وما زالت الاقدار تترك ذا النهى   عديماً وتعطى منية النفس غمرها
اذا يسر الله الخطوب فكم يدٍ   وان قصرت تجنى من الصاب تمرها

الجذب فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائماً من غير آلة تمسكه ظاهراً فافتتن به قوم من النصارى ورابعها الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب آلات على النسب الهندسية تارة وعلى ضرورة الخلاء اخرى كدوران الساعات وجر الاثقال ولها اسباب يقينية من اطلع عليها قدر على عمل مثلها وخامسها التخييلات والاخذ بالعيون وهي الشعبذة المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ماهو عليه وسادسها الاستعانة بالجن على مايريده بالرقى والعزائم والتسخيرات وسابعها سحر اصحاب الاوهام والنفوس التي اذا تجردت وتوجهت على شيء اثرت فيه واقرب شاهد له في الشريعة الاصابة بالعين وقد اثبته النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انه حق وثبت عن جماعة انهم يقتلون النفس بالهمة وثامنها الاستعانة على ذلك بالكواكب والتأثيرات التي يحدثها الله تعالى عندها وهو سحر الصابئة الذين بعث الله تعالى اليهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام مبطلا

ولولا اصولٌ في الجياد كوامنٌ — لما آبت الفرسان تحمد ضمرها

وقوله

قضاءٌ يوافي من جميع جهاته — فما هو عن ايماننا والمياسر
ولو لم يردجور البزاة على القطا — مكوّنها ما صاغها بمناسر
رأيت سكوتي متجراً فلزمته — اذا لم يفد ربحاً فلست بخاسر

وقال ايضاً

اذا كنت لا تستطيع دفع صغيرة — الم ولا تستطيع دفع كبير
فسلم الى الله المقالد راضياً — ولا تسألن بالامر غير خبير
وليس بغالٍ ناصح تستفيده — ولو كان من تبر بمثل ثبير

وله من قصيدة

اذا فزعنا فان الامن غايتنا — وان امنا فما نخلو من الفزع
وشيمة الانس ممزوج بها هلك — فما تدوم على صبر ولا جزع
زع نفسك اليوم وادبها الى حسن — فان اطاعت فادب غيرها وزع

وله ايضاً

رددت الى مليك الخلق امري — فلم اسأل متى يقع الكسوف
وكم سلم الجهول من المنايا — وعوجل بالحمام الفيلسوف

وله ايضاً

وردت الى دار المصائب باكياً — واصبحت فيها ليس يعجبك النقل
تعاني شروراً لا نقوم ببعضها — وادناس طبع لا يهذّ بها الصقل
سحائبُ للسقيا وسحب من الردى — ونبت اناسٍ مثل ماينبت البقل
وللحي رزق ما اتاه بسعيه — وعقل ولكن ليس ينفعه العقل

وقال ايضاً

نقضي المآرب والساعات ساعية — كأنهن صعاب تحتنا ذلل
وقت يمر واقدار مسببة — منها الصغير ومنها الفادح الجلل
والله يقدر ان يغني بريته — من غير سقم ولكن جنده العلل

لمقالهم ورادا عليهم وتاسعها السيميا وهي ان يركب الساحر شيئاً من خواص ارضية او صنعة كادهان خاصة او مائعات خاصة او كلمات خاصات توجب تخيلات خاصة وادراك الحواس ماكولا ومشروباً ونحو ذلك ولا حقيقة له كما حكى الاوزاعي رحمه الله تعالى عن اليهودي الذي لحقه في السفر وانه اخذ ضفدعاً فسحرها حتى صارت خنزيراً فباعه من قوم نصارى فلما صاروا الى بيوتهم عاد ضفدعاً فلحقوا اليهودي وهو مع الاوزاعي فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط ففزعوا وولوا هاربين وبقي الرأس يقول للاوزاعي يا ابا عمرو هل غابوا الى ان بعدوا عنه فصار الرأس في الجسد فهذه الامور كلها باطلة عندنا واحقها باسم النجوم استخدام الكواكب ولا يسمى ذلك سحراً بالحقيقة وانما سمي تنجيماً ويسمى صاحبه منجماً وفيه يقول ابو فراس بن حمدان شعر

دع النجوم لعراف يعيش بها
وانهض بعزم قوي ايها الملك
ان النبي واصحاب النبي نهوا

وفي الليالي مضاءٌ موجب ابداً — كاول طرفك عما حازت الكلل
سقيا الغمائم بعض الارض تفسده — كالطرس يهلك اما مسه البلل
في الناس من فقره عز لجارته — وجاره وغنـاه كله زلل
ضل امرؤ قال خلي استعين به — وأي خلٍ نأى عن وده الخلل
وما فتنت وايامي تجدد لي — حتى مللت ولم يظهر بها ملل

وقال ايضاً

هذا زمان ليس في اهله — الا لأن يهجره اهل
جميعنا نخبط في حندسٍ — قد استوى الناشيء والكهل
قد فني الوقت فما حيلتي — اذا انقضى الامهال والمهل
ان ختم الله بغفرانه — فكل ما لاقيته سهل

ولنختم الكلام ببيتي ابي العباس المرسي . ليتعطر بهما مدادي ويبتهج منهما طرسي . وهما

ما كان الا ما يريـد فدع مرادك واطرح — واترك وساوسك التي شغلت فؤادك تسترح

وقد ضمنها علامة هذا العصر . وتميمة المجد بل يتيمة الدهر . من توردت حدائق الشهباء بغوادي علومه . وتحلت معاصم عواصمها بسوار منثوره ومنظومه . وهرعت لاستلام اقدامه العلماء والامجاد . ورعت في ربيع فضله سوائم الطلب من اقصى البلاد . ذو التآليف المشهوره . والمساعي المشكوره . اعني به شيخ الاسلام . وناظم عقود المناقب في جيد الايام . جناب المولى محمد بن الحسن الكواكبي . مد الله ظلال حياته . ولا برحت المعالي ضجيعة عتباته . بقوله

حتام في ليل الهمو — م زناد فكرك ينقدح
قلبٌ تحرق بالاسى — ودموع عين تنسفح
ارفق بنفسك واعتصم — بحمى المهيمن تنشرح
واضرع له ان ضاق عنـ — ك خناق حالك ينفسح

عن النجوم وقد ابصرت ماملكوا

وقال ابو تمام في المعتصمية

اين الرواية اين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً واحاديثاً ملفقة
ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وقال آخر

لا تركنن الى مقال منجم
وكل الامور الى القضاء وسلم
واعلم بانك ان جعلت لكوكب
تدبير حادثة فلست بمسلم

واحقها باسم السحر ما كان بالخواص التي يحدث عندها فعل حقيقي كمرض او محبة او بغض وتفريق بين زوجين ودون هذه المرتبة ان يكون تخييلا لا حقيقة له وهو سحر ايضاً الا انه دون الاول وذلك علم السيميا واما الشعبذة فخيالات مبنية على خفة اليد والاخذ بالبصر فهي دون السيميا واما استخدام الجان فلا يسمى سحراً بالحقيقة واما تجرد النفوس فليس من السحر الحقيقي في شي، بل ربما تجردت لخير وربما تجردت لشر وقد حكى عن السلطان امين الدولة محمود بن سبكتكين لما غزا الهند انتهى

ما امّ ساحة جوده   ذو محنة الا منح
او جاءه ذو المعضلا   ت بمغلق الا فتح
فدع السوى وانهج على   النهج السوى المتضح
واسمع مقالة ناصح   ان كنت ممن ينتصح
ما كان الا ما يريـد فدع مرادك واطرح
واترك وساوسك التي   شغلت فؤادك تسترح

وقد اقتفيت اثر هذا المولى الرفيع وان لم يدرك الضالع شأو الضليع بقولي

يا ايهذا المصطلح   قل لي على من تقترح
في كل يوم مطلب   تمسي عليه وتصطبح
افسدت عيشك بالعنا   وزعمت انك تنصلح
واسأت حتى كدت في   نار الغواية تلتفح
حتام تعنى بالذي   تكفي وانت به ملح
والام تركن للحيا   ة ومن رداها تجترح
او ما ترى الدنيا ومجـ   ـها الشتيت المنكشح
والله ما افتخر العزيـز بعزها الا طرح
كلا ولا مرح الجوا   د برحبها الا كبح
فاقنع بمجناها القليـ   ـل ولا تغال فتفتضح
واجعل معرجك التقى   فهو الطريق المتضح
واذا الخطوب تزاوجت   فالصبر انتج ما لقح
لا تيأسن من ان تدو   ر لك الامور وتنشرح
فلربما سرّ الحزين وربما غمّ الفرح
ولربما سقط القعو   د وقام بالعبء الطلح
والله اكرم من يرجى   في الملم اذا برح
فكل الامور للطفه   والزم حماه المنفسح
واعمل بنصح مسدّد   من في تجارته ربح

الى قلعة منيعة عصت عليه مدة فخرج اليه بعض اهلها وقال انك لا تقدر عليها حتى تصنع ما اقول لك قال قل قال اذا كان وقت مطلع الشمس مر الجيوش بضرب الطبول طبلا واحدا مزعجا وازحف على القلعة انت والجيش يدا واحدة ففعل فافتتح القلعة ثم ساله عن السبب فقال ان اهل هذه القلعة اصحاب همم وتوجهات وقد صرفوا هممهم الى دفعك عنها ولا يشوش على نفوسهم و يفرقها شيء كالطبول المزعجة وجلبات العسكر فلما فعلت ذلك تفرقت هممهم وشغلوا عن التوجه فنلت مقصدك * المثال السادس والستون الصوفية حياهم الله تعالى و بياهم وجمعنا في الجنة نحن واياهم وقد تشعبت الاقوال فيهم تشعبا ناشئا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها بحيث قال الشيخ ابو محمد الجويني لا يصح الوقف عليهم لانهم لاحد لهم يعرف والصحيح صحته وانهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في اغلب الاوقات بالعبادة ومن ثم قال الجنيد التصوف استعمال كل خلق

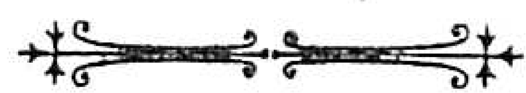
ما كان الا ما يريـد فدع مرادك واطرح
واترك وساوسك التي   شغلت فؤادك تسترح

والحمد لله على التمام . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام . صلاة موثوقة باوتاد الخلود والدوام . الى قيام الساعة وساعة القيام

تم



كتاب الارج في ادعية الفرج
للعلامة الكبير والامام الشهير خاتمة
المحدثين ومرجع المحققين الامام
عبد الرحمن السيوطي قدست
اسراره وعمت
انواره



سني وترك كل خلق دني وقال ابو بكر الشبلي التصوف ضبط حواسك ومراعاة انفاسك وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى الصوفي من اذا نطق ابان نطقه عن الحقائق واذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق وقال علي بن بيدار التصوف اسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا وقال ابو علي الروذباري الصوفي من لبس الصوف على الصفا واذاق الهوى طعم الجفا ولزم طريق المصطفى وكانت الدنيا منه على القفا وكان الشيخ الامام الوالد يقول الصوفي من لزم الصدق مع الحق والحق مع الخلق وينشد

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
قدما وظنوه مشتقا من الصوف
ولست انحل هذا الاسم غير فتى
صافي فصوفي حتى لقب الصوفي

وهذه عبارات متقاربة والحاصل انهم اهل الله سبحانه وتعالى وخاصته الذين ترتجي الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله تعالى عنهم وعنا بهم وللقوم اخبار واوصاف اشتملت عليها كتبهم قال الاستاذ ابو

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة ابو الفضل جلال الدين السيوطي تغمده الله برحمته هذا تأليف لطيف لخصت فيه كتاب الفرج بعد الشدة لابي بكر بن ابي الدنيا مع زيادات حسنة وسميته الارج في الفرج* اخرج ابن ابي الدنيا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله عبادة * واخرج الترمذي وابن ابى الدنيا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسأل من فضله وافضل العبادة انتظار الفرج * واخرج ابن ابي الدنيا عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا* واخرج ابن ابي الدنيا عن اسلم ان ابا عبيدة حصر فكتب اليه عمر يقول مهما ينزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجاً وانه لن يغلب عسر يسرين* واخرج ابو داود والنسائي وابن ماجه وابن ابي الدنيا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب* واخرج ابن ابي الدنيا عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها زوال الهموم * واخرج الترمذي والنسائي وابن ابي الدنيا والحاكم عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بشيء اذا نزل برجل منكم كرب او بلاء من امر الدنيا فليدع به ربه فيفرّج عنه قالوا بلى قال دعاء ذي النون لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * واخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جامه وابن ابي الدنيا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

القاسم القشيري رحمه الله تعالى جعل الله تعالى هذه الطائفة صفوة اوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وانبيائه صلوات الله عليهم وسلامه وجعل قلوبهم معدن اسراره واختصهم من بين الامة بطوالع انواره فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم احوالهم مع الحق ومن اوصاف هذه الطائفة الرأفة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذة وضابطهم ماذكرناه وطريقهم كما قال شيخ الطائفة ابو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى طريقنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة وقال الطريق مسدود على خلق الله تعالى الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن حقهم تربية المريد اذا لاحت عليه لوائح الخير وامداده بالخاطر والدعاء يحكى عن بعض المشايخ ان تلميذه حضر اليه وهو جالس في جماعة وقد ارتفع النهار فتفرس الشيخ انه في الليلة الذاهبة كان قد ارتكب معصية فنظر اليه نظر مغضب ولم يمكنه الافصاح له بمحضر من الجماعة فنظر التلميذ

وسلم كلمات الفرج لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم * واخرج النسائي وابن ابي الدنيا وابن حبان والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لقنني النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وامرني ان نزل بي كرب او شدة ان اقولها لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين* واخرج ابو داود والنسائي وابن ابي الدنيا عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله لا اله الا انت * واخرج ابن ابي الدنيا والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل به هم او غم يقول يا حي يا قيوم برحمتك استغيث * واخرج ابن ابي الدنيا عن اسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اصابه هم او غم او سقم او شدة او كرب او لأواء فقال الله الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه* واخرج ابن ابي الدنيا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصاب مسلماً قط همّ ولا حزن فقال اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي في يديك نافذ فيَّ حكمك عدل في قضاؤك اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احداً من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي الا اذهب الله همه وابدله مكان حزنه فرجاً قالوا يا رسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات قال بلى ينبغي لمن سمعهن ان يتعلمهن * واخرج ابن ابي الدنيا من طريق الخليل عن فقيه اهل الاردن قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اصابه غمّ او كرب يقول حسبي الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرزوقين حسبي الذي هو حسبي حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم* واخرج ابن ابى الدنيا عن

الى الشيخ نظر منكر فقام الشيخ وجاء وقبل يد التلميذ ولم يفهم الجماعة شيئاً فسئل الشيخ بعد ذلك فقال انه البارحة وقع في الزنا فنظرت اليه نظر مغضب لذلك فنظر اليّ نظر معاتب يقول لو كان خاطرك معي وامدادك مصاحبي لما وقع مني ذلك فانت المقصر فقبلت يده اصدقه فان التقصير مني ومن حقهم الوقوف في اظهار ما يطلعهم الله تعالى عليه من المغيبات ويخصهم به من الكرامات على الاذن وهم لا يجيزون اظهارها بلا فائدة ولا يظهرونها الا عن اذن لفائدة دينية من تربية او بشارة او نذارة كما قال الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه لعائشة رضي الله تعالى عنها وقد كان نحلها حادي عشرين وسقا من ماله بالغابة لحضرته الوفاة واراد استرجاع الهبة وتطييب قلبها مع ذلك والله يا بنية ما من الناس احد احب اليّ غنى بعدى منك ولا اعز علي فقرا بعدى منك واني كنت نحلتك حادي عشرين وسقا فلو كنت حزتيه كان لك وانما هو

اسماعيل بن فديك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كربني امر الا
تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد
لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك الآية * واخرج ابن ابي
الدنيا عن محمد بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم علم علياً دعوة يدعو
بها عند كل ما اهمه فكان علي يعلمها ولده يا كائناً قبل كل شيء ويا مكوّن
كل شيء ويا كائناً بعد كل شيء افعل بي كذا وكذا * واخرج ابن ابي
الدنيا عن الضحاك قال دعاء موسى عليه السلام حين توجه الى فرعون
ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ودعاء كل مكروب وهو هذا
كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وانت حي قيوم
لا تأخذك سنة ولا نوم ياحي ياقيوم * واخرج ابن ابي الدنيا عن يحيى بن سليم انه
بلغه ان ملك الموت استأذن ربه ان يسلم على يعقوب عليه السلام فأذن له فاتاه
فقال ألا اعلمك كلمات لا تسال الله شيئاً الا اعطاك قال بلى قال قل ياذا
المعروف الذي لا ينقطع ابداً ولا يحصيه غيره فما طلع الفجر حتى اتى بقميص
يوسف * واخرج ابن ابي الدنيا عن ابراهيم بن خلاد قال نزل جبريل
على يعقوب عليهما السلام فشكا اليه ماهو فيه فقال الا اعلمك دعاء اذا
دعوت به فرّج الله عنك قال بلى قال قل يامن لا يعلم كيف هو الا هو
و يامن لا يبلغ قدرته غيره فرّج عنى فاتاه البشير * واخرج ابن ابي الدنيا
عن محمد بن عمر عن رجل من اهل الكوفة ان جبريل دخل على يوسف
عليه السلام السجن فقال قل اللهم يا شاهداً غير غائب و ياقريباً غير
بعيد و ياغالباً غير مغلوب اجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً وارزقني
من حيث لا احتسب * واخرج ابن ابي الدنيا عن رجل اخذه الحجاج
فقيده وادخله بيتاً واغلق عليه قال فسمعت منادياً في الزاوية يافلان
ادع بهذا الدعاء يا من لا يعلم كيف هو الا هو ويا من لا يعرف قدرته الا
هو فرج عنى ما انا فيه قال فوالله مافرغت منها حتى تساقطت القيود من
رجلي ونظرت الى الابواب مفتحة فجزت * واخرج ابن ابى الدنيا عن

اليوم مال وارث وانما هما اخواك
واختاك فاقتسموه على كتاب
الله تعالى قالت عائشة والله ياابت
لو كان كذا وكذا لتركته انما
هي اسماء فمن الاخرى فقال ابو
بكر رضى الله تعالى عنه دوآء
بطن اراها جارية فكان كذلك ولم
يظهر ابو بكر ذلك الا لاستطابة
قلب عائشة رضي الله تعالى عنها
واما قصة سارية فان عمر رضي
الله تعالى عنه كان امره على الجيش
وجهزه الى بلاد فارس فاشتد
الحال على عسكره بباب نهاوند
وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضى
الله تعالى عنه بالمدينة فصعد المنبر
واستغاث في اثناء خطبته باعلى
صوته ياسارية الجبل يا سارية
الجبل الحكاية فاسمع الله تعالى
سارية وجنوده وهم بنهاوند صوت
عمر رضي الله تعالى عنه وعرفوه
وقالوا هذا صوت امير المؤمنين
يامرنا بالالتجاء الى الجبل فلجؤا اليه
ونجوا سمعت الشيخ الامام يقول
سئل علي كرم الله وجهه وقد كان
حاضراً في المسجد وعمر يخطب
ويستغيث بهذا الصوت ماهذا
الذي يقوله امير المؤمنين فقال

عبد الملك بن عمير قال كتب الوليد بن عبد الملك الى عثمان بن حيان المرّي
انظر الحسن بن الحسن فاجلده مائة جلدة واوقفه للناس يوماً ولا اراني الا قاتله
فبعث اليه فجيء به والخصوم بين يديه فقام اليه علي بن حسين فقال يا اخي
تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب
السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين فقالها فانفرجت
الخصوم فرآه فقال ارى وجه رجل قد اقترفت عليه كذبة خلوا سبيله *
واخرج ابن ابي الدنيا عن طاوس قال اني لفي الحجر ذات ليلة اذ دخل
علي بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل البيت لاستمعن الى دعائه الليلة
فصلى ثم سجد فسمعته يقول في سجوده عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك
فقيرك بفنائك سائلك بفنائك فحفظتهن فما دعوت بهن في كرب الا فرج
الله عنى * واخرج ابن ابى الدنيا عن الفضل بن الربيع عن ابيه قال حج ابو
جعفر المنصور فقدم المدينة فقال ابعث الى جعفر بن محمد من يأتيني به
قتلني الله ان لم اقتله فجاء فدخل فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال
لا سلم الله عليك يا عدوّ الله تلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل في ملكي
قتلني الله ان لم اقتلك فقال جعفر يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان
ايوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت السنخ من ذلك فنكس رأسه
طويلاً ثم رفع رأسه فقال الي يا ابا عبد الله وقربه ووصله وانصرف فلحقته
فقلت قد رأيتك تحرك شفتيك فما الذي قلت قال قلت اللهم احرسني
بعينك التي لا تنام واكفني بركنك الذي لا يرام واغفر لي بقدرتك
عليّ ولا اهلك وانت رجائي رب كم من نعمة انعمت بها عليّ قلّ لك
عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري فلم تخذلني
فيامن قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قلّ عند بليته صبري فلم
يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي
ابداً ويا ذا النعم التي لا تحصى عدداً اسئلك ان تصلي على محمد وعلى آل
محمد اللهم انه عبد من عبادك مثلي القيت عليه سلطانك فخذ بسمعه وبصره

علي كرم الله وجهه دعوا امير
المؤمنين فما دخل في امر الا
وخرج منه ثم تبين الحال بالآخرة
فنقول عمر هنا والله اعلم لم يقصد
اظهار الكرامة وانما الجأته الضرورة
وقد كشف الله تعالى له حال
القوم الى انقاذهم فناداهم ولعله
غلب عليه الحال وغاب عن حسه
واما قصة الزلزلة فهي ان الارض
زلزلت في زمن عمر رضي الله تعالى
عنه فضربها بالدرة وقال ويحك
اقري الم اعدل عليك وكانت
ترتجف فاستقرت من وقتها واما قصة
النيل وكونه كان لا يجري حتى
يلقى فيه جارية عذراء كل عام
فكتب عمرو بن العاص نائب
مصر الى عمر يخبره فكتب عمر
بطاقة الى النيل وامر ان تلقى في
الماء فيها من عمر امير المؤمنين
الى نيل مصر اما بعد فان كنت
تجري من قبلك فلا تجر وان كان
الله الواحد القهار هو الذي يجريك
فاجر باذن الواحد القهار فجرى
جريانا لم يعهد مثله اخصبت له
البلاد وكرامات عمر رضي الله
تعالى عنه كثيرة وهذه الامور
من تمكنه في الارض ظاهراً

واقلبه الى ما فيه صلاح امري وبك ادرأ في نحره واعوذ بك من شره اللهم اعني على ديني بالدنيا واعني على آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفرلي ما لا يضرّك واعطني ما لا ينقصك انك انت الوهاب اسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلا ورزقاً واسعاً والعافية من جميع البلاء وشكراً على العافية

وقال بعضهم

عسى فرج يكون عسى ... فلعل انفساً بعسى
واقرب مايكون المرء من ... فرج اذا يئسا

وقال آخر

اذا تضايق امر فانتظر فرجا ... فاصعب الامر ادناه من الفرج

وقال آخر

يا صاحب الهم ان الهم منقطع ... لا تيأسن كأن قد فرج الله

وقال آخر

مفتاح باب الفرج الصبر ... وكل عسر معه يسر
والدهر لا يبقى على حاله ... والامر يأتي بعده الامر
والكرب يفنيه الليالي التي ... يفنى فيها الخير والشر

وقال آخر

عسى الكرب الذي امسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي اهله النائي الغريب

وقال ابو العتاهية

هي الايام والصبر ... وامر الله ينتظر
اتيأس ان ترى فرجاً ... فان الله والقدر

وقال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد شد ظهرها ... ولم يك الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعد ما ... توى في ثلاث مظلمات ففرجا

وباطناً وكونه امير المؤمنين على الحقيقة وخليفة الله تعالى في ارضه وساكني ارضه وليس هذا الكتاب موضع استيعاب القول عليها واذا علمت ان خاصة القوم هم الصوفية فاعلم انه قد تشبه بهم اقوام ليسوا منهم فاوجب نسبة اوليائهم الى سوء الظن ولعل ذلك من الله تعالى قصد الخفاء هذه الطائفة التي ترى الخمول على الظهور واعلم ان الصوفية اكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ولا التعلق بشيء من اسباب الدنيا ونحن نتذكرهم ولا نذكرهم ولكننا نتكلم على ذوى الاسباب منهم لانهم لما خالطوا اهل الدنيا تطرق اليهم البحث على قدر مخالطتهم فان تجتنبها كنت سلماً لاهلها * وان تجتذبها نازعتك كلابها * فنقول المثال السابع والستون شيخ الخانقاه وربما سمي كبير هذه الطائفة شيخ الشيوخ وربما قيل شيخ شيوخ العارفين وسمعت الشيخ الامام يشدد النكير في هذه الكلمة ويقول شيخ شيوخ العارفين يرددها مراراً منكراً لها ويقول لم يقنع بادعاء المعرفة حتى ادعى انه شيخ شيوخها

وقال

وقال ابو عمرو ابن العلاء كنا هراباً من الحجاج فسمعت منشداً ينشد هذا البيت

ربما تكره النفوس من الام ... ر له فرجة كحل العقال

فاستظرفت قوله فرجة فاني لذلك اذ سمعت قائلا يقول مات الحجاج فما ادري باي الامرين كنت اشد فرحاً بموت الحجاج او بذلك البيت * واخرج احمد في الزهد عن ابي الدرداء قال اذا جاء امر لا كفاء لك به فاصبر وانتظر الفرج من الله * واخرج المنذري في تاريخه عن محمد بن عبد الوارث بن جرير قال كنا عند الحارث بن مسكين فاتاه علي بن ابي القاسم ابن محرز الكوفي المقري قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في النوم فقال اذهب الى الحارث فاقرئه السلام وقل له يقضي بين الناس بامارة انك كنت في الحبس بالعراق فقمت بالليل فنكبت اصبعك فدعوت بذلك الدعاء فخليت في الغد فقال له الحارث صدقت وهذا شيء ما اطلع عليه احد الا الله فقال له فالدعاء ما هو قال قلت يا صاحبي عند كل شدة وياغياثي عند كل كربة صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً

وقال آخر

عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى ... له فرجاً مما ألم به الدهر
عسى فرج يأتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته امر
اذا لاح عسر فارج يسراً فانه ... قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

ومن هنا زوائد اورد الديلمي في مسند الفردوس عن الحسين بن علي مرفوعاً الصبر مفتاح الفرج . فحدثت بذلك ابنه احمد بن الحارث فاستحسنه وكتبه عني * واخرج الدينوري في المجالسة عن عبد الجبار بن كليب قال كنا مع ابراهيم بن ادهم في سفر فعرض لنا الاسد فقال ابراهيم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وانت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله * قال فولى الاسد

واذا عرفت هذا فنقول حق على شيخ الخانقاه تربية المريدين وحمل الاذى والضيم على نفسه واعتبار قلوب جماعته قبل قوالبهم والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله عقله ويحمله قواه ويصل اليه ذهنه والكف عن ذكر الفاظ ليس سامعها من اهلها كالتجلي والمشاهدة ورفع الحجاب اذا كان السامع بعيداً عنها فان في ذكرها له من المفاسد ما لاخفاء به بل ياخذ المريد بالصلاة والتلاوة والذكر وتربيته على التدريج والله الله في الفاظ جرت من بعض سادات القوم لم يعنوا بها ظواهرها وانما عنوا بها اموراً صحيحة فلا ينبغي للشيخ ذكرها لمريد لا يفهمها فانه يضله مثل ما يقال عن بعضهم العلم حجاب فانه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدى منه ولكن له معنى لا يناسب حال المبتدى الكشف عنه وغير ذلك من الفاظ ربما جرى بعضها في حال السكر فانها مما لا يقتدي بها ولا توجب القدح في قائلها بل نسلم اليه حاله ونقيم عذره فيما سقط من بين شفتيه حالة الغيبة فان

عنا قال وانا ادعو به عند كل مخوف فما رأيت الا خيراً * وذكر ابو بكر محمد بن الوليد الطرشوشي في كتاب الدعاء عن مطرف بن عبدالله بن مصعب المدني قال دخلت على المنصور فرأيته مغموماً فقال لي يا مطرف طرقني من الهم ما لا يكشفه الا الله فهل من دعاء ادعو به عسى يكشف الله عني * قلت يا امير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمرو بن ثابت البصري قال دخلت في اذن رجل من اهل البصرة بعوضة حتى دخلت الى صماخه فانصبته واسهرته فقال له رجل من اصحاب الحسن البصري ادع بدعاء العلاء ابن الحضرمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعا به في المفازة وفي البحر فخلصه الله سبحانه قال وما هو * قال بعث العلاء ابن الحضرمي الى البحرين اسم مكان فسلكوا مفازة وعطشوا عطشاً شديداً حتى خافوا الهلاك فنزل وصلى ركعتين * ثم قال يا حكيم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا فجاءت سحابة فامطرت حتى ملؤا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفناً فصلى ركعتين ثم قال يا حكيم يا عليم يا علي يا عظيم اجزنا ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله * قال ابو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة آلاف فدعا الرجل بها فوالله ما خرجنا حتى خرجت من اذنه لها طنين حتى صكت الحائط وبرأ فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ثم انصرف بوجهه الي وقال يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت اجده من الهم * وفي الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيراً ما تقول

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * على انه من ظلمة الكفر انجاني

فسألتها عائشة عن ذلك فقالت شهدت عروساً لنا تجلى ودخلت مغتسلاً وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحديا فاخذته ففقدوه فاتهموني به ففتشوني حتى قبلي فدعوت الله ان يبرئني فجاءت الحديا بالوشاح حتى القته بينهم * وفي رواية فرفعت رأسي وقلت يا غياث المستغيثين وروى البيهقي في فضائل

الشارع لم يكلف غائب الذهن هذا اذا فقدت اسباب التاويل لكلامه بالكلية ولم تجد ذلك ان شاء الله تعالى في كلام احد من المعتبرين بل قد نزه الله تعالى الفاظهم عن الاباطيل وما لهم كلمة الا ولها محمل حسن * المثال الثامن والستون فقراء الخوانق وانت قد عرفت ان حقيقة الصوفي من اعرض عن الدنيا واقبل على العبادة فقل لفقير الخانقاه ان دخلتها لتسد رمقك وتستعين على التصوف فهذا حق وان دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا ولست متصفاً بالاعراض عن الدنيا والاشتغال غالب الاوقات بالعبادة فانت مبطل ولا تستحق في وقف الصوفية شيئاً وكل ما تاكله منها حرام لان الواقف لم يقفها الا على الصوفية ولست منهم في شيء وقد كثر من جماعة اتخاذ الخوانق اسباباً والدلوق والمرقعة طرائق الى الدنيا فلم يتخلقوا من اخلاق القوم بغير لباس الزور وهؤلاء المتشبهة الذين فيهم يقول الشافعي رضى الله تعالى عنه فيما نقل عنه رجل

الاعمال عن حماد بن سلمة بن عاصم بن ابي اسحاق شيخ القراء في زمانه قال اصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بامري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله * ثم وضعت وجهي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا مفتح الابواب ويا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فرفعت راسي فاذا بحدأة طرحت كيساً احمر فاخذت الكيس فاذا فيه ثمانون ديناراً وجوهراً ملفوفاً في قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقاراً وحمدت الله على ذلك * وروي ابو نعيم في الحلية عن يحيى بن عبد الحميد الحماني قال كنت في مجلس سفيان بن عيينة فاجتمع عليه الف انسان او يزيدون او ينقصون فالتفت في آخر مجلسه الى رجل كان عن يمينه فقال قم حدث القوم حديث الحية فقال الرجل اسندوني فاسندوه وشال جفون عينيه ثم قال الا فاسمعوا وعوا حدثني ابي عن جدي ان رجلاً كان يعرف بابن حمير وكان له ورع يصوم النهار ويقوم الليل فخرج ذات يوم يتصيد اذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير اجرني اجارك الله قال لها ممن قالت من عدو وقد ظلمني فقال لها واين عدوك قالت له من ورائي قال لها من اي امة انت قالت من امة محمد صلى الله عليه وسلم * قال ففتحت ردائي وقلت ادخلي فيه قالت يراني عدوي قال فشلت طمري وقلت ادخلي بين طمري وبطني قالت يراني عدوي قلت لها فما الذي اصنع بك قالت ان اردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى انساب فيه * قلت اخشى ان تقتليني قالت لا والله ما اقتلك الله شاهد بذلك علي وملائكته وانبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته ان انا اقتلك قال محمد ففتحت فمي فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة فقال لي يا محمد قلت وما تشاء قال لقيت عدوي قلت ومن عدوك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة ثم

نؤم اكول كثير الفضول وقال الامام المظفر ابن السمعاني نعوذ بالله تعالى من العقرب والنار ومن الصوفي اذا عرف باب الدار وقال شيخنا ابو حيان في هؤلاء اكلة سطلة بطلة لا اشغل ولا مشغله وقيل رجل يظهر الاسلام ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الاقدام في رجله جمجم وعذبته من قدام يكون غالباً من بلاد الاعجام وقال بعضهم

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك ان غني المغنونا

فهؤلاء القوم اذا اتخذوا الخوانق ذريعة للباس الزور واكل الحشيش والانهماك على حطام الدنيا لاستترهم الله تعالى وفضحهم على رؤس الاشهاد ولكن فيهم لله تعالى الحمد من لا يدخل الخانقاه الا ليقطع علائقه ويشتغل بربه ويرضى بما يتهيأ منها معيناً له على سد رمقه وستر عورته فلله دره * المثال التاسع والستون خادم الخانقاه ومن حقه توفير اوقاتهم للعبادة فانه في عبادة مادام يعينهم على العبادة بهذه النية فينبغي له السعي في كل ما يكون ذريعة الى

مضيت قليلاً فاخرجت رأسها من في وقالت انظر مضى هذا العدو فالتفت فلم ارَ احداً قلت لم ارَ احداً ان اردت ان تخرجي فاخرجي * فقالت الا ن يا محمد اختر واحدةً من اثنتين اما ان افتّت كبدك واما ان اثقب فؤادك فادعك بلا روح فقلت سبحان الله اين العهد الذي عهدت اليّ واليمين الذي حلفت ما اسرع ما نسيتيه قالت يا محمد لم نسيت العداوة التي كانت بيني وبين ابيك ادم حيث اخرجته من الجنة على اي شيء اردت اصطناع المعروف مع غير اهله . قلت لها ولا بدّ ان تقتليني قالت لا بدّ من ذلك قلت لها فامهليني حتى اسير الى تحت هذا الجبل فامهد لنفسي موضعاً قالت شأنك قال محمد فمضيت اريد الجبل وقد ايست من الحياة فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا اطيف يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفيّ يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم العرش اين مستقرّك منه الاّ كفيتني هذه الحيّة ثم مشيت فعارضني رجل طيب الرائحة نقيّ الدّرن فقال لي سلام عليك قلت وعليك السلام يا اخي قال مالي اراك قد تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال واين عدوك قلت في جوفي قال لي افتح فاك ففتحت فمي فوضع فيه مثل ورق زيتونة خضراء ثم قال امضغ وابلع فمضغت و بلعت فلم البث الاّ يسيراً حتى مغصني بطني فرميت بها من اسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل فقلت يا اخي من انت الذي منّ الله عليّ بك فضحك ثم قال الا تعرفني قلت اللهم لا قال يا محمد ابن حميرانه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت الله بذلك الدعاء ضجّت ملائكة سبع سموات الى الله عزّ وجلّ * فقال وعزتي وجلالي بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي وامرني الله سبحانه وتعالى وانا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة ان انطلق الى الجنة وخذ ورقة خضراء والحق بها عبدي محمد بن حمير يا محمد عليك باصطناع المعروف فانه يقي مصارع السوء وانه وان ضيعه المصطنع اليه لم يضع عند الله عز وجلّ * وفي تاريخ ابن النجار بسنده عن انس قال كنت جالساً عند عائشة ابشرها بالبراءة فقالت

ذلك وينبغي احتفاظه بفاضل اقواتهم ووضعه في مستحق من مسكين او هرة ونحو ذلك ولا يرميه فليس من شيمهم طرح الزاد وينبغي له تميز وقفهم كما ذكرناه في مباشرى الاوقاف * المثال السبعون شيخ الزاوية وغالب الزوايا في البرارى فمن حقه تهيئة الطعام للواردين والمجتازين ومؤانستهم اذا قدموا بحيث تزول وحشة الغربة عنهم ولا بأس بافراد مكان للوارد لئلا يستحي وقت اكله وراحته * المثال الحادي والسبعون ارباب الحرف والصناعات والتجارات واصحاب الاموال على صاحب المال اداء الزكاة على ماعرف في الفقهيات وما اقبح من اعطاه الله تعالى مالا وخوله نعمته فلما دنا الحول عمد الى حيلة من مسقطات الزكاة فاعتمدها بخلا على الله تعالى وان هذا لجدير بزوال النعمة بل حق عليه اخراجها ولو دفعها الى الامام اذا كان عادلاً وكذا ان كان جائراً على مارجحه الرافعى والنووى وهو الجديد والمختار عند الشيخ الامام رحمه الله تعالى خلافه ولا

والله لقد هجرني القريب والبعيد حتي هجرتني الهرّة وما عرض عليّ طعام ولا شراب فكنت ارقد وانا جائعة ظامئة فرأيت في منامي فتىً فقال مالك فقلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادع بهذه يفرج الله عنك قلت وما هي قال قولي * يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغم ويا كاشف الظلم ويا اعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا وليّ من ظلم ويا اوّلاً بلا بداية ويا اخراً بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً قالت فانتبهت وانا ريانة شبعانة وقد انزل الله فرجي * ورووي ابن بشكوال بسنده الى احمد بن محمد ابن العطار عن ابيه قال كان لنا جار فاسر واقام في الاسر عشرين سنة وأيس ان يرى اهله قال فبينا انا ذات ليلة افكر فيمن خلفت من صبياني وابكى اذ انا بطائر قد سقط فوق حائط السجن يدعو بهذا الدعاء فتعلمته منه ثم دعوت الله تعالى به ثلث ليال متتابعات ثم نمت فاستيقظت وانا في بلدي فوق سطح بيتي فنزلت الى عيالي فسروا بي بعد ان فزعوا منى ثم حججت من عامي فبينا انا اطوف وادعو بهذا الدعاء واذا بشيخ قد ضرب بيده على يدي وقال لي من اين لك هذا الدعاء فان هذا الدعاء لا يدعوا به الا طائر ببلاد الروم متعلق بالهواء فحدثته اني كنت اسيراً في بلاد الروم وتعلمت الدعاء من الطائر فقال صدقت فسألت الشيخ عن اسمه فقال انا الخضر وهو هذا الدعاء اللهم اني اسئلك يا من لا تراه العيون * ولا تخالطه الظنون * ولا تصفه الواصفون * ولا تغيره الحوادث ولا الدهور * تعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار * وعدد ورق الاشجار * وعدد ما يظلم عليه بالليل ويشرق عليه النهار * ولا يواري منه سماءٌ سماءً * ولا ارض ارضاً * ولا جبل الا يعلم ما في وعره * ولا بحر الا يعلم ما في قعره اللهم اني اسألك ان تجعل خير عملي خواتمه * وخير ايامي يوم القاك فيه انك على كل شيءٍ قدير اللهم من عاداني فعاده * ومن كادني فكده * ومن بغى عليّ بهلكة فاهلكه * ومن نصب لي فخه فخذه * واطف عني نار من اشب الي ناره * واكفني هم من ادخل علي همه

يسقط فرض الزكاة عن المالك اذا اخذها السلطان الا اذا نوى المالك بذلك الزكاة واخذها السلطان على الوضع واذا اخذ السلطان الزكاة ودفعها المالك ناوياً الزكاة سقطت عنه وان لم يصرفها السلطان في مصارفها فقد صارت في ذمته الى ان ياخذ القيمة عنها كما اذا اخذ من الغنم الدراهم فان الزكاة لا تسقط عمن لا يعتقد اخراج القيمة * المثال الثاني والسبعون صاحب الزرع والشجر ومن حقه ان يتعهدها بالسقى فان ترك ذلك مكروه لما فيه من اضاعة المال ولذلك كره العلماء ترك عمارة الدار الى ان تخرب واما اصل بناء الدور للحاجة فلا يكره والاولى ترك الزيادة وربما قيل تكره الزيادة على قدر الحاجة وليعلم صاحب الزرع ان الزكاة واجبة في الاقوات وما تكمل به الاقوات كالحنطة والعدس وغيرها ولا تجب في شيءٍ من الفواكه الا في الرطب والعنب ولا تجب الزكاة في شيء من ذلك حتى تبلغ نصاباً والنصاب خمسة اوسق

وأدخلني في درعك الحصينة * واسترني بسترك الواقي* يا من كفاني كل شيءٍ اكفني ما اهمني من امر الدنيا والآخرة* وصدق قولي وفعلي بالتحقيق يا شفيق يا رفيق * فرج عني كل ضيق * ولا تحملني ما لا اطق * انت الهي الحق الحقيق * يا مشرق البرهان * يا قوي الاركان يا من رحمته في كل مكان * وفي هذا المكان * يا من لا يخلو منه مكان* احرسني بعينك التي لا تنام* واكنفني بركنك الذي لا يرام انه قد تيقن قلبي انه قد لا آله الا انت واني لا اهلك وانت معي يا رجائي فارحمني بقدرتك عليّ يا عظيماً يرجى لكل عظيم * يا عليم يا حليم انت بحاجتي عليم وعلى خلاصي قدير وهو عليك يسير * فامنن عليّ بقضائها * يا اكرم الاكرمين ويا اجود الاجودين * ويا اسرع الحاسبين * يا رب العالمين * ارحمني وارحم جميع المذنبين من امة محمد صلى الله عليه وسلم انك على كل شيء قدير * اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك وعجل علينا بفرج من عندك بكرمك وجودك وارتفاعك في علوّ سمائك يا ارحم الراحمين * انك على ما تشاء قدير* وصلي الله على محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وهذا الدعا روي الطبراني قطعة منه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مرّ باعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول يا من لا تراه العيون* ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدواير يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما اظلم عليه الليل واشرق عليه النهار ولا يواري منه سماء سماء * ولا ارض ارضاً ولا بحر الا يعلم ما في قعره ولا جبل الاَّ يعلم ما في وعره اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه * وخير ايامي يوم القاك فيه * فوكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاعرابي رجلاً فقال اذا صلى فاتني به فلما صلى اتاه وكان قد اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما اتى الاعرابي وهب له الذهب وقال هل تدري لما وهبت لك الذهب قال للرحم الذي بيننا وبينك يا رسول الله قال ان للرحم حقا ولكن وهبت

لك

اي خمسة احمال كل وسق تقديرا الف رطل بارطال بغداد * المثال الثالث والسبعون الصيادون ويجوز الاصطياد بجوارح السباع كالكلب سواء كان اسود ام لا والفهد والنمر وغيرهما وبجوارح الطير كالبازى والشاهين والصقر فما اخذته وجرحته وادركه صاحبها ميتاً او فيه حركة المذبوح حل اكله ويقوم ارسال الصائد وجرح الجارح في اي موضع كان مقام الذبح في المقدور عليه ثم يستحب ان يمر السكين على حلقه ليريحه فان لم يفعل وتركه فهو حلال وان ادركه وفيه حياة مستقرة ولكن تعذر ذبحه من غير تقصير من الصائد كما اذا اخذ الآلة وسل السكين فمات قبل امكان ذبحه فهو حلال للعذر ايضاً وان كان بغير عذر كما اذا تشبثت السكين في غمدها فلم يتمكن من اخراجها حتى مات فهو حرام على الصحيح لان من حقه ان يستصحب غمداً يواتيه ولا بد من قصد الصائد فلو كان في يده سكين فسقط فانجرح به صيد ومات فحرام خلافاً لابي اسحق

لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل* وروي ابن بشكوال في كتاب المستغيثين بالله عن عبدالله بن المبارك قال خرجت الى الجهاد ومعي فرس فبينا انا في الطريق صرع الفرس فمرّ بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال تحب ان تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال اقسمت عليك ايتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله * وبجلال جلال الله * وبقدرة قدرة الله* وبسلطان سلطان الله* وبلا اله الاّ الله* وبما جري به القلم من عند الله * وبلا حول ولا قوة الاّ بالله الا انصرفت قال فانتفض الفرس واخذ الرجل بركابي وقال اركب فركبت ولحقت باصحابي فلما كان غداة غد وظهر العدوّ واذا هو بين ايدينا فقلت ألست بصاحبي بالامس قال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فوثب قائماً فاهتزت الارض تحته خضرا واذا الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الاّ شفي باذن الله تعالى* وروي ابو نعيم في الحلية عن مسعر ان رجلاً ركب البحر فكسر به فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة لم يرَ احداً ولم يأكل ولم يشرب فتمثل* وقال

اذا شاب الغراب اتيت اهلي * وصار القار كاللبن الحليب

﴿ فاجابه مجيب لا يراه ﴾

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فنظر فاذا سفينة قد اقبلت فلوّح اليهم فحملوه فاصاب خيراً كثيراً* واخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال امر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر امر بضرب

الشهرزورى ولو أرسل سهماً في الهواء فصادف صيداً فقتله لم يحل على الاصح لانه لم يقصد الصيد ولو رأى جماعة من الغزلان فاعجبه منها واحد فرمى سهما نحوه فاصاب غيره من الظباء فهو حلال وقيل حرام لانه قصد غيره وقيل ان اصاب ظبياً من تلك الظباء التي رآها فهو حلال وان اصاب ظبياً لم يقع عليه بصره فهو حرام ولو رمى الى خنزير فلم يصادفه بل صادف غزالاً فهو حرام على الصحيح* المثال الرابع والسبعون شاد العمائر ومن حقه اللطف والرفق بالبنائين وان لا يستعمل احداً فوق طاقته ولا يجيعه بل يمكنه من الاكل او يطعمه بحسب ما يقع الشرط عليه وعليه ان يطلق سراحه اوقات الصلوات فانها لاتدخل تحت الاجارة وما يعتمده بعضهم من تسخير البنائين واجتماعهم واعطائهم من الاجرة دون حقهم واستعمالهم فوق طاقتهم فمن اقبح المحرمات وأشنع الجراءة على الله تعالى في خلقه واقبح من ذلك انهم يعتمدونه في بناء المساجد والمدارس فليت شعري باية قربة يتقربون *المثال الخامس والسبعون البناء ومن حقه ان لا يزخرف بالذهب فانه يحرم تمويه السقوف والجدران به وان لم يحصل منه شيء بالعرض على النار واكثر من يبنى لا يسلم من ذلك* المثال السادس والسبعون المطين ومن حقه ان لا يطين مكاناً قبل الكشف عنه هل فيه شيء من الحيوانات ام لا فانت ترى كثيراً من الطيانين يعجلون الطين في الوضع على الجدار وربما صادف مالا يحل قتله لغير مالكه فقتله وانذبح في الطين ويكون حينئذ خائناً لله تعالى من جهة قتله هذا الحيوان

عنقه فقال ايها الامير اخرني الى غد فقال ويحك واي
فرج لك في تأخير يوم ثم امر بردّه الى السجن فسمعه
الحجاج يقول

عسى فرج يأتي به الله انه * له كل يوم في خليقته امر

فقال الحجاج والله ما اخذه الاّ من القران كل يوم
هو في شان فامر باطلاقه * واخرج ابن عساكر عن ابي
سعيد بن جنادة قال عرضت لي قضية كبرت عليّ وكنت
في اضيق ما كنت فجلست انظر في دفاتري فمرّ بي
هذا البيت

يستصعب الامر احيانا بصاحبه ورب مستصعب قد سهل الله

ففرج الله عني * واخرج ابو علي التنوخي في كتاب
الفرج بعد الشدّة وابن النجار عن ايوب بن العباس بن
الحسن الذي كان ابوه وزيراً للمكتفي قال حدثنا ابو علي
ابن همام باسناد لست احفظه ان اعرابياً شكا الى علي
ابن ابي طالب شدّة لحقته وضيقاً في الحال وكثرة من
العيال فقال له عليك بالاستغفار فانّ الله عزّ وجلّ
يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات فعاد اليه
فقال يا امير المؤمنين قد استغفرت الله كثيراً وما ارى
فرجاً مما أنا فيه فقال لعلك لا تحسن ان تستغفر قال
علمني قال اخلص نيتك واطع ربك وقل اللهم اني استغفرك
من كل ذنب قوي عليه بدني بعافيتك او نالته قدرتي
بفضل نعمتك * او بسطت اليه يدي بسابغ رزقك *
او اتكلت فيه عند خوفي منه على اناتك * او وثقت
بحلمك * او عوّلت فيه على كريم عفوك * اللهم اني
استغفرك من كل ذنب فيه خنت أمانتي * او بخست فيه

ولصاحب الجدار من جهة جعله مثل ذلك في ضمن
جداره وكثير من الطيانين لرغبتهم في الاجرة وسرعة
العمل تدعوهم الى تبييض جدار فيرون ذلك الجدار
منشقاً آيلا الى السقوط فلا ينبهون صاحبه بل
يطينونه رغبة في الاجرة ويعمى خبره على صاحبه فيكون
ذلك سبباً لوقوعه على نفس او اكثر وذلك من
الخيانة في الدين * المثال السابع والسبعون معلم
الكتاب وينبغي ان يكون صحيح العقيدة فلقد نشأ صبيان
كثيرون عقيدتهم فاسدة لان فقيههم كان كذلك
فاول ما يتعين على الآباء الفحص عن عقيدة معلم
ابنائهم قبل البحث عن دينه في الفروع ثم البحث عن
دينه في الفروع ومن حق معلم الصغار ان لا يعلمهم شيئاً
قبل القرآن ثم بعده حديث النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ولا يتكلم معهم في العقائد بل يدعهم الى ان
يتاهلوا حق التاهل ثم ياخذهم بعقيدة اهل السنة
والجماعة وان هو امسك عن هذا الباب فهو الاحوط
وله تمكين الصبي المميز من كتابة القرآن في
اللوح وحمله وحمل المصحف وهو محدث * المثال
الثامن والسبعون الناسخ ومن حقه ان لا يكتب
شيئاً من الكتب المضلة ككتب اهل البدع والاهواء
وكذلك لا يكتب الكتب التى لا ينفع الله تعالى
بها كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلقة التي
تضيع الزمان وليس للدين بها حاجة وكذلك كتب
اهل المجون وما وضعوه في اصناف الجماع وصفات
الخمور وغير ذلك مما يهيج المحرمات فنحن نحذر
النساخ منها فان الدنيا تغرّهم وغالباً مستكتب هذه
الاشياء يعطى من الاجرة اكثر مما يعطيه مستكتب

نفسي * او قدمت فيه لذتي * او آثرت فيه شهوتي * او
سعيت فيه لغيري * او استغويت فيه من تبعني * او غلبت
فيه بفضل حيلتي * او أحلت فيه عليك مولاي فلم
تغلبني على فعلي اذ كنت سبحانك كارهاً لمعصيتي * لكن
سبق علمك في اختياري واستعمالي مرادي وايثاري فحلمت
عني فلم تدخلني فيه جبراً * ولم تحملني عليه قهراً * ولم
تظلمني شيئاً يا أرحم الراحمين * يا صاحبي عند شدتي *
يا مؤنسي في وحدتي * يا حافظي في غربتي يا وليّ في
نعمتي * يا كاشف كربتي * يا مستمع دعوتي يا راحم
عبرتي * يا مقيل عثرتي يا الهي بالتحقيق * يا ركني الوثيق
أخرجني من حلق الضيق الى سعة الطريق * يا حادي
اللصيق · يامولاي الشفيق · يارب البيت العتيق اخرجني
من حلق الضيق الى سعة الطريق * وفرج من عندك
قريب وثيق * واكشف عني كل شدة وضيق *
واكفني ما اطيق وما لا اطيق * اللهم فرج عني كل
هم وغم واخرجني من كل حزن وكرب يا فارج الهم
ويا كاشف الغم * ويا منزل القطر * ويا مجيب دعوة
المضطر * يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمها صل على
خيرتك من خلقك محمد النبي صلى الله عليه وسلم
وآله الطيبين الطاهرين وفرج عني ماقد ضاق به صدري ·
وعيل معه صبري وقلت فيه حيلتي وضعفت له قوتي *
يا كاشف كل ضر وبلية ويا عالم كل سر وخفية * يا
ارحم الراحمين * وافوض امري الى الله ان الله بصير
بالعباد * وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم قال الاعرابي فاستغفرت الله تعالى بذلك الاستغفار

كتب الفقه فينبغي للناسخ ان لا يبيع دينه بدنياه ومن
النساخ من لا يتقي الله تعالى ويكتب العلم عن عجلة
ويحذف من اثناء الكتاب شيئاً رغبة في نجازه اذا
كان قد استؤجر على نسخه جملة وهذا خائن لله تعالى
في تضييع العلم وجعل الكلام بعضه غير مرتبط
ببعض ولمصنف الكتاب في تبتيره تصنيفه والذي
استاجره في سرقته منه هذا القدر قال اصحابنا ولو
استاجره ليكتب شيئاً فكتبه خطأ او بالعربية فكتبه
بالعجمية او بالعكس فعليه ضمان نقصان الورق ولا
اجرة له قال النووي ويقرب منه ماذكره الغزالي في
الفتاوي انه لو استاجره لنسخ كتاب فغير ترتيب الابواب
فان امكن بناء بعض المكتوب بان كان عشرة
ابواب فكتب الباب الاول آخراً منفصلاً بحيث يبنى
عليه استحق بقسطه من الاجرة والا فلا شيء له
واستفتى الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في ناسخ استاجره
مستاجر على ان ينسخ له ختمة باجرة معينة فتاخر
الناسخ عن كتابتها مدة سنة وفي تلك المدة جاد خطه
فهل له ان يطلب زيادة على تلك الاجرة لاجل جودة
خطه او يختار الفسخ فافتى بانه ليس له واحد من
الامرين بل عليه كتابتها بتلك الاجرة ومن استاجر
ناسخاً بين له عدد الاوراق والاسطر في كل صفحة
واختلف في الحبر اذا لم يعين على من يكون فالاصح
الرجوع الى العادة فان اضطربت وجب البيان
والا فيبطل العقد * المثال التاسع والسبعون الوراق
وهي من اجود البضائع لما فيها من الاعانة على كتب
المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم فمن
شكر صاحبها نعمة الله تعالى ان يرفق بطالب العلم

مرارًا فكشف الله عني الغم والضيق ووسع عليّ في رزقي وازال المحنة *واخرج ابن النجار عن الحسن بن احمد بن العيد لاني قال اخبرتني امي انها كانت حاملاً قالت فسألت الله ان يفرج عني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا ام حبيب قولي يا مسهل الشديد ويا ملين الحديد ويا منجز الوعيد * ويا من هو كل يوم في امر جديد اخرجني من حلق المضيق الى اوسع الطريق بك ادفع ما لا اطيق *ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * واخرج الحاكم في معجم شيوخه وابن النجار عن ابي المنذر هشام بن محمد عن ابيه قال اضاق الحسن ابن علي رضي الله عنهما وكان عطاؤه في كل سنة مائة الف فحبسها عنه معاوية في احدى السنين فاضاق اضاقة شديدة قال فدعوت بدواة لاكتب الى معاوية لاذكره نفسي ثم امسكت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي كيف انت يا حسن قلت بخير يا ابتي وشكوت اليه تأخر المال عني فقال أدعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك لتذكره ذلك قلت نعم يا رسول الله فكيف اصنع قال قل اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا ارجو احداً غيرك اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه املي ولم تنته اليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما اعطيت احداً من الاولين والآخرين من اليقين * فخصني به يا رب العالمين *قال فوالله ما ألححت به اسبوعاً حتى بعث الي معاوية بالف الف وخمسمائة الف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه فرأيت النبي

صلى

وغيره ويرجح جانب من يعلم انه يشتري الورق لكتابة كتب العلم ويمتنع عن بيعه لمن يعرف انه يكتب مالا ينبغي من البدع والاهواء ومن شهادات الزور والمواقعات وانحاء ذلك * المثال الثمانون المجلد وعليه نحو ماعلى الوراق والناسخ * المثال الحادي والثمانون المذهب ومن حقه ان لا يذهب غير المصحف وقد عرف اختلاف الناس في تحلية المصحف بالذهب والذي صححه الرافعي والنووي الفرق بين ان يكون لامرأة فيحل او لرجل فيحرم والمختار عندنا انه يحل تحليته مطلقاً واما غير المصحف فاتفق الاصحاب انه لا يجوز تحليته بالذهب * المثال الثاني والثمانون الطبيب ومن حقه بذل النصح والرفق بالمريض واذا رأى علامات الموت لا باس ان ينبه على الوصية بلطيف من القول وله النظر الى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة واكثر ما يؤتي الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض واستعجاله في ذكر مايصفه وعدم فهمه مزاج المريض وجلوسه لطب الناس قبل استكماله الاهلية قال بعض الشعراء

افنى واعمى ذا الطبيب بطبه وبكحله الاحياء والبصرا
فاذا نظرت رأيت من عميانه امماً على امواته قرّا

وعليه ان يعتقد ان طبه لا يرد قضاء ولا قدراً وانه انما يفعل امتثالا لامر الشرع وان الله تعالى انزل الداء والدواء وما احسن قول ابن الرومي

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما غلط الطبيب اصابة الاقدار

*المثال الثالث والثمانون المزين وعليه مثل ماعلى الطبيب وكثير ما يقصد بعض السفلة والرعاع جب ذكره كما يفعله المبتدعة ومن غلب عليه حب من لا يصل

صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا حسن كيف أنت قلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوقين * واخرج ابن النجار عن معروف الكرخي قال من قال ثلاث مرات وكان في غم فرج الله عنه اللهم احفظ امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم عاف امة محمد اللهم أصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد * واخرج ابن النجار عن الحسن بن تراب قال كان عندنا شيخ يعرف بهيثم وكان عبداً صالحاً وكان المأمون قد امر ان لا يؤمر بمعروف ولا ينهي عن منكر فنزل هيثم في زورق فلما بلغ باب المأمون قال الملاح أمير المؤمنين جالس فقال ما هو بامير المؤمنين فقال له رجل لم قال لان الله تعالى قال لابراهيم اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فسمعه المأمون فطلبه فقال كيف صرت من الظالمين وانا انادي كل يوم خمس مرات بالصلاة قال وقف مناديك ينادي ألا برئت الذمة ممن أمر بمعروف او نهى عن منكر والله تعالى يقول لعن الذين كفروا من بني اسرائيل الى قوله لبئس ما كانوا يفعلون * قال لست اقتلك الا بالحجة الظاهرة فقيد وحمل الى المطبق فنام واستيقظ فقال دخل عليّ خادم فقال يا هيثم ابشر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك وعزتي وجلالي لاخلصنك منه ولا حوان بينه وبينك وقد اهديت اليك كلمات من كنوز عرشي فتعوذ بها عند كل شدة وعند كل سلطان وشيطان وحية وعقرب وسبع فانهم لا يصلون اليك اللهم يا مجلي العظائم من الامور ويا

اليه ممن لا يكون عقله ثابتاً فلا يحل للمزين مطاوعته على ذلك ومن الناس من ياتي المزين يثقب اذنيه ويضع فيهما حلقتين * المثال الرابع والثمانون الكحال وعليه مثل ماعلى المزين من الاحتفاظ * المثال الخامس والثمانون الحائك ومن حقه ان لا ينسج مايحرم استعماله لئلا يكون معيناً على معصية فلا ينسج ثوب حرير لا يستعمله الا الرجال اما اذا استعمله الرجال والنساء والصبيان فلا يمنع لانه لم يتعين ان الذي يلبسه رجل بالغ وفي نسج الثياب المعصفرة وجهان اصحهما التحريم اما المركب من الحرير وغيره فالمذهب انه ان كان الحرير اكثر وزناً حرم وان كان غيره اكثر او استويا لم يحرم ويجوز جعل طراز من حرير بشرط ان لا يجاوز قدر اربع اصابع * المثال السادس والثمانون القيم في الحمام وعليه ان لا ينظر الى عورة من يغسله ولا يلمس شيئاً منها بدون حائل ومن جلس بين يدي حلاق ليحلق رأسه فحلق فالصحيح في المذهب انه لا تجب الاجرة والقيم مفرط حيث لم يشترط قبل ان يحلق والمختار عندي وهو وجه في المذهب انه يلزمه الاجرة اذا جرت العادة بذلك وكان القيم معروفاً به وسئل شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام هل يجوز تدليك الاجسام وغسل الايدي بالعدس فاجاب في الفتاوي الموصلية العدس طعام يحترم كما يحترم الطعام فان استعمل لغير ذلك بسبب مرض يداوي به مثله فلا باس * المثال السابع والثمانون الدهان وعليه ان لا يصور صورة حيوان لا على حائط ولا سقف ولا آلة من آلات ولا على الارض واجاز بعض اصحابنا التصوير على الارض ونحوها والصحيح خلافه

منتهى هم المهموم ويا مفرج الكرب العظيم ويا من اذا
اراد امراً فحسبه ان يقول له كن فيكون احاطت بي
الذنوب وانت المدخور لها ولكل شديدة لا اله الا انت
فما استتم كلامه حتى اطلق *واخرج الخطيب وابن النجار
عن ابي عيسى عبد الرحمن بن زاذان قال كنت عند
احمد بن حنبل فجاءه رجل فقال له شيئاً لم افهمه فقال
له اصبر فان النصر مع الصبر ثم قال سمعت عفان بن مسلم
يقول حدثنا همام عن ثابت عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال النصر مع الصبر والفرج مع الكرب
وان مع العسر يسراً * واخرج الطبراني في الكبير وابو
نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء العباس
الى النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة لم يكن يأتيه فيها
فقيل يا رسول الله هذا عمك على الباب فقال ائذنوا له
فقد جاء لامر فلما دخل عليه قال ما جاء بك يا عماه هذه
الساعة قال يا ابن اخي ذكرت الجاهلية وجهلها فضاقت
عليّ الدنيا بما رحبت فقلت من يفرج عني فعرفت انه لا
يفرج عني احد الا الله تعالى ثم أنت فقال الحمد لله
الذي اوقع هذا في قلبك احبوك قال نعم قال اعطيك
قال نعم قال فاذا كانت ساعة يصلي فيها ليست بعد
العصر ولا بعد طلوع الشمس فيما بين ذلك فاسبغ طهورك
ثم قم الى الله عز وجل فاقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ان
شئت جعلتها من اول المفصل فاذا فرغت من السورة
فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس
عشرة مرة فاذا ركعت فقل ذلك عشر مرار فاذا رفعت
رأسك فقل ذلك عشر مرار فاذا سجدت فقل ذلك

وقد لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المصورين
وقال انهم من اشد الناس عذاباً يوم القيامة * المثال
الثامن والثمانون الخياط ومن حقه ان لا يخيط حريراً
ولا يجعله بطانة لمن يحرم عليه استعماله كالرجال اما النساء
والصبيان فاستعماله لهم غير حرام وان جاوز الصبي
سن التمييز خلافاً للرافعي في الشرح وعلى الخياط ان
يحترز عند قطع القماش ويقدر ويستأذن على بصيرة
فلو قال الرجل للخياط ان كان هذا الثوب يكفيني
قميصاً فاقطعه فقطعه فلم يكفه ضمن الارش لان
الاذن شرط بما لم يوجد وان قال هل يكفيني
قميصاً فقال نعم فقال اقطعه فقطعه فلم يكف لم يضمن
لان الاذن مطلق وان تقدمته قرينة لكن كان من
حق الخياط ان لا يتكلم على جهالة ويجوز للخياط ان
يخيط بالحرير * المثال التاسع والثمانون الصباغ ومن
حقه ان لا يصبغ بمحرم ولقد كثر منهم الصبغ بالدماء
وذلك محرم فان صبغ بالدم وغسل بعد ذلك فذهب
الريح والطعم وبقي اللون وعسرت ازالته فالاصح انه
لا يضر ويقال ان الثياب الحمر الصوف المربعة كلها من
هذا القبيل والصحيح انه يحرم على الرجل لبس الثوب
المزعفر والمعصفر ولو دفع رجل خرقة الى صباغ
فصبغها احمراً وقال كذا أمرتني فقال الدافع لم اقل لك
اصبغ الا بالاسود او دفع خرقة الى خياط فخاطها
قباء فقال ما أمرتك إلا بقميص فالاصح ان القول
قول المالك فيحلف ويلزم الصباغ والخياط ارش
النقص * المثال التسعون الناطور ومن حقه ملاحظة
الثياب استحفظ ام لم يستحفظ وحكي القاضي عن
الاصحاب انه لا يجب عليه اذا لم يستحفظ الحفظ

عشر مرار فاذا رفعت رأسك فقل ذلك عشر مرار فاذا
سجدت فقل ذلك عشر مرار فاذا رفعت رأسك وجلست
فقلها عشر مرار فهذه خمسة وسبعون ثم قم فاركع ركعة
اخرى فاصنع فيها ما صنعت في الاولى ثم قل قبل التشهد
عشر مرار فهذه مائة وخمسون ثم اركع ركعتين اخريين
مثل ذلك فهذه ثلثمائة فاذا فرغت ولو كانت ذنوبك
مثل عدد نجوم السماء محاها الله وان كانت مثل رمل
عالج وان كانت مثل زبد البحر فان استطعت فصلها في
كل يوم مرة فان لم تستطع ففي كل جمعة مرة فان لم
تستطع ففي كل شهر مرة فان لم تستطع ففي كل سنة ما
دمت حياً * قال فقال فرج الله عنك كما فرجت عني
يا ابن اخي فقد سويت ظهري * قال الامام ابو عثمان
الحميري الزاهد ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة
التسبيح * وروى الحافظ ابو الحسن علي بن حمدان في
مناقب الشافعي عن المزني قال سمعت الشافعي يقول
بعث اليّ هرون الرشيد ليلاً الربيع فهجم علي من غير
اذن فقال لي اجب فقلت له في مثل هذا الوقت وبغير
اذن قال بذلك امرت فخرجت معه فلما صرت بباب
الدار قال لي اجلس ودخل فقال الرشيد ما فعل محمد
ابن ادريس فقال احضرته قال ادخله فأدخلني فتأملني
ثم قال يا محمد أرعناك فانصرف راشداً * يا ربيع احمل
معه بدرة دراهم فلما خرجت قال لي الربيع بالذي سخر
لك هذا الرجل ما الذي قلت فاني احضرتك وانا ارى
موضع السيف من قفاك فقلت سمعت مالك بن انس
رضي الله عنه يقول سمعت نافعاً يقول سمعت عبد الله بن

قال وعندي تجب بحسب العادة ولو سرقت الثياب
من مسلخ الحمام والناطور جالس في مكانه مستيقظ
فلا ضمان عليه وان نام او قام من مكانه ولم يستنب
احداً موضعه ضمن * المثال الحادي والتسعون
الفراشون ومن حقهم ضرب خيام الامراء وحق عليهم
ان لا يجترؤا على الناس ويمنعوهم ارض الله تعالى الواسعة
فما اظلم فراش الامير او غيره اذا جاء الى ناحية من
الفضاء فوجد فقيراً قد سبق ونزل فيها فاقامه منها
ليخيم للامير مكانه وحكم الله تعالى ان السابق اولى
والامير والمأمور في ذلك سواء * المثال الثاني
والتسعون البابا ومن حقه ان يحرص على ازالة نجاسة
الثياب عند غسلها فيحترز من البول والغائط والمذي
والدم ونحو ذلك فانه متى لاقا شيء منها بدن الانسان
او ثوبه لم تصح معه صلاته فان علمه البابا في ثوب
شخص ولم يزله بقي ذلك في ذمته فعليه افاضة الماء
على محل النجاسة بحيث تضمحل ويذهب طعمها
وكذلك لونها وريحها الا ان يعلق اللون كالدم فيعفى
عنه واما بول الغلام الرضيع فيكفي فيه رش الماء
واما دم البراغيث والجراحات البدنية والدمامل
واليسير من طين الشارع فمعفو عنه واذا غسل البابا
ذلك كله فهو اولى واحرى * المثال الثالث والتسعون
الشربدار ومن حقه ان يحترز فيما يسقيه لمخدومه من
وصول شيء اليه ينجسه او يقذره واياه ان يسقيه
محرماً وياويحه ان سقاه سماً قاتلاً ويحافظ على النظافة
في اوانيه وثيابه والرائحة الطيبة فيها ما امكنه *
المثال الرابع والتسعون الطشتدار اسم لمن يصب الماء
على يد المخدوم وهو من اقبح التنطع والبدع ومن ادبه

عمر رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاحزاب بهذا الدعاء فكفى وهو اللهم اني اعوذ بك
وبنور قدسك وبركة طهارتك وعظم جلالك من كل
طارق الا طارقاً يطرق بخير * اللهم انت غياثي فبك
اغوث وانت عياذي فبك اعوذ وانت ملاذي فبك ألوذ
يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة
اجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري
ونومي وقراري لا اله الا انت تعظيماً لوجهك وتكريماً
لسبحات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في
حفظ عنايتك وسرادقات حفظك وعد علي بخير يا
ارحم الراحمين * واخرج الديلمي من طريق عبد الاعلى
عن حماد عن الفضل بن الربيع عن الشافعي عن مالك
عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا بهذا الدعاء يوم الاحزاب * وروي ابو نعيم عن
الفضل بن الربيع حاجب هرون الرشيد قال دخلت على
هرون الرشيد وبين يديه سيوف وانواع من العذاب
فقال لي علي بهذا الحجازي يعني الشافعي فقلت انا
لله وانا اليه راجعون ذهب هذا الرجل فاتيت الشافعي
فقلت له اجب امير المؤمنين فقال اصلي ركعتين قلت
صل ثم جاء الى دار الرشيد فلما دخلنا الدهليز الاول
حرك الشافعي شفتيه فلما دخلنا الدهليز الثاني حرك
الشافعي شفتيه فلما وصلنا حضرة الرشيد قام اليه واجلسه
موضعه وخاصة الرشيد ينظرون الى ما اعد له من انواع
العذاب ثم اذن له بالانصراف وقال لي يا فضل احمل
بين يديه بدرة فحملت فلما صرنا الى الدهليز قلت

سألتك بالذي صير غضبه عليك رضى الا ما عرفتني
ما قلت في وجه امير المؤمنين حتى رضى قلت شهد
الله انه لا اله الا هو اللهم اني اعوذ بنور قدسك وبركة
طهارتك وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة وطارق
الجن والانس الا طارقاً يطرقني بخير يا ارحم الراحمين *
اللهم بك ملاذي قبل أن الوذ * وبك غياثي قبل ان
اغوث * يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له
مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي
وقراري اشهد ان لا اله الا انت اضرب علي
سرادقات حفظك وقني برحمتك يا رحمن قال الفضل
فكتبتها وجعلتها في رداء قبائي وكان الرشيد كثير
الغضب علي وكلما هم ان يغضب حركتها في وجهه فيرضى *
واخرج الخطيب بسند فيه مجاهيل عن انس مرفوعاً لما
اجتمعت اليهود على عيسى عليه السلام ليقتلوه اتاه جبريل
عليه السلام فقال له قل اللهم اني اسألك باسمك الواحد
الاحد * ادعوك اللهم باسمك الصمد ادعوك اللهم باسمك
العظيم الوتر الذي ملأ الاركان كلها الا ما فرجت عني
ما امسيت فيه وما اصبحت فيه فدعا بها عيسى فاوحى
الله عز وجل الى جبريل ان ارفع الي عبدي * وروى
القاسم بن صصري في اماليه عن ابن عباس انه قال لوهب
ابن منبه تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء مستجاباً تدعو به عند
الكرب قال نعم اللهم اني اسألك يا من يملك حوائج السائلين
ويعلم ضمائر الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعاً حاضراً
وجواباً عتداً ولكل صامت منك علماً محيطاً باطناً *
مواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة ان

الاحتراز من ملاقاة ماء الوضوء ماء غير طهور او
غيره اما الاستعانة في الوضوء بغيره فان استعان بمن
يحضر له الماء الى الطهارة فلا يكره وان استعان بمن
يصب عليه الماء وهو ما يفعله الطشتدار ففي كراهته
خلاف للاصحاب والاصح انه لا يكره وان استعان
به ليغسل اعضاء فهو مكروه بلا خلاف الا ان تدعو
اليه له الضرورة كما اذا كان اقطع فتجب الاستعانة
وما يفعله اهل الدنيا من نصب اناس بالمرصاد لصب
الماء على ايديهم عقيب الطعام ليس بمكروه ولكنه
زيادة في الدنيا وكان الشيخ الامام لا يفعله واما
الاستعانة في الوضوء فلما طعن في السن كنت اراه
يمكن من يصب الماء على يديه ولا يمكن من صب الماء
على رجليه وكنت افهم لذلك منه سرين احدهما انه
والحالة هذه لا يكون قد استعان في وضوءه باحد
بل في بعض وضوئه الثاني ان في الصب على الرجلين
من الرعونة والتنطع اكثر مما في الصب على غيرها *
المثال الخامس والتسعون الصيرفي ومن حقه ان
لا يخلط اموال الناس بعضها ببعض واكثر الصيارف
يخلطون فيصيرون عامة اموال الخلق حراماً والناس
لا يدرون فهو اذا في ذمة الصيارف ومن حقه ايضاً
معرفة عقد الصرف وان لا يبيع احد النقدين بالآخر
نسيئة بل نقداً ولو سلم صبي درهماً الى صيرفي ينقده
لم يحل للصيرفي رده اليه وانما يرده الى وليه ولو تلف
في يد الصيرفي لزمه ضمانه ولا يجوز تولية الذمي صيرفياً
في بيت المال * المثال السادس والتسعون المكاري
ومن حقه التحفظ فيمن يركبه الدواب ولا يحل لمكارى
يؤمن بالله واليوم الاخر ان يكري دابته الى امرأة
يعرف انها تمضي الى شيء من المعاصي اعانة على
معصية الله تعالى وكثير من المكارية لا يعجبه ان
يكاري الا الفاجرات من النساء والمغاني منهن
لمغالاتهن في الكراء فانهن يعطين من الاجرة فوق
ما يعطيه غيرهن فتغره الدنيا فينبغي ان يعلم ان فلسا
من الحلال خير من درهم من الحرام ومما تعم به البلوى
مكار يكارى امرأة جميلة الى مكان معين ويمشي
معها الى مواضع خالية من الناس كما بين البساتين فان
في معاطفها اماكن لو شاء الفاسق لفعل فيها ماشاء
من الفجور والذي اراه ان حكم ذلك حكم الخلوة
بالاجنبية فلا يجوز ومن كان معه دابة او دواب ضمن
ما تتلفه من نفس او مال ليلا كان او نهاراً واما اذا
بالت في الطريق فتلف به نفس او مال فلا ضمان
وعلى الراكب الاحتراز عما لا يعتاد كالسوق الشديد
في الوحل فان خالف وجب عليه ما تولد من ذلك
ومن حمل حطبا على بهيمة او على ظهره فحك جداراً
فسقط الجدار ضمنه واما ما تصنعه المكارية من
الجلاجل في رقاب الحمير فانه مكروه قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة لا تصحب رفقة
فيها كلب او جرس وقال صلى الله تعالى عليه وسلم
الجرس مزامير الشيطان رواها مسلم * المثال السابع
والتسعون غاسل الموتى وعليه استيعاب البدن بالماء
بعد ان يزيل ما عليه من نجاسة ولا تجب عليه نية
الغسل على الاصح ولكن الاولى ان ينوي خروجاً
من الخلاف ويستحب ان يغسل في موضع مستور
عن الاعين لا يدخله احد سواه وسوى من يعينه
وولي الميت ان شاء ويكره ان ينظر الى شيء من

تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت اري احداً يحسنه * واخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد قال حدثني ابي عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه امر دعا بهذا الدعاء وكان يقال انه دعاء الفرج اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يضام وارحمني بقدرتك علي لا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي قلّ لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري * فيامن قلّ له عند نعمه شكري فلم يحرمني ويا من قلّ عند بلايته صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني * اسألك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم اعني على ديني بدنياي* وعلى آخرتي بالتقوى * واحفظني فيما غبت عنه * ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة* هب لي ما لا يضرك واغفر لي ما لا ينقصك اللهم اني اسألك ان تجعل لي فرجاً قريباً وصبراً جميلاً * واسألك العافية من كل بلية * واسألك دوام عافيتك واسألك الغنى عن الناس* واسألك السلامة من كل شيء ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * واخرج الخرائطي في مكارم الاخلاق عن عن عبدالله بن علقمة الطائي ان جبريل اتى يوسف عليهما السلام في السجن فقال اتيتك اعلمك كلمات لعل الله ان ينفعك بهن قل اللهم اجعل لي من كل هم يهمني فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث لا احتسب * واخرج

بدنه الا لحاجة ويغسل في قميص بال او سحيق ويدخل الغاسل يده من تحت القميص ويغسله وحمل الميت بروا كرام لاشيء فيه من الدناءة * المثال الثامن والتسعون السجان ومن حقه الرفق بالمحبوسين ولا يمنعهم من الجمعة الا اذا منعهم القاضي من ذلك وقد افتى الغزالي بان للقاضي ان يمنع من ذلك في الجمعة اذا ظهرت المصلحة في المنع ولا يمنع المحبوس من شم الرياحين ان كان مريضاً ويمنع من استمتاعه بزوجته دون دخولها لحاجة له واذا علم السجان ان المحبوس حبس بظلم كان عليه تمكينه بقدر استطاعته والا يكون شريكا لمن حبسه في الظلم * المثال التاسع والتسعون الجزار ويجب عليه اذا ذبح قطع الحلقوم وهو مجرى النفس والمريء مجرى الطعام وهو تحت الحلقوم ولا يكفي قطع واحد منهما خلافاً للاصطخري ولو ترك من الحلقوم والمريء شيئاً يسيراً ومات الحيوان فهو ميتة ولا بد ان يصادف الذبح حيواناً فيه حياة مستقرة والا فلا تحل وذلك يعرف بالعلامات كالحركة الشديدة ونحوها وكثيراً ما يصادف الانسان حيواناً يضطرب فيشك هل فيه حياة مستقرة ام لا فاذا شك فالاصح انه حرام ولا يجوز الذبح بظفر ولا عظم ويستحب التسمية على الذبح خلافاً لابي حنيفة فانه قال تجب ولا يحل المذبوح الا بالتسمية وتستحب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح ولا يحل الذبح باسم غير الله تعالى وافتى اهل بخارى بتحريم ما يذبحه اهل القرى عند استقبال السلطان تقرباً اليه لانه مما اهل به لغير الله * المثال المائة المشاعلية وهم الذين يحملون المشعلا

الخطيب وابن عساكر عن عائشة قالت كن لما لم ترج ارجي منك لما ترجو فان موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً فرجع بالنبوة وقال وهب بن ناجية المري

كن لما ترجو من الامر ارجى ... منك يوماً لما له انت راجي
ان موسى مضى ليقبس ناراً ... من ضياء رآه والليل داجي
فاتى اهله وقد كلم الله ... وناجاه وهو خير مناجي
وكذا الامر ربما ضاق بالمر ... ء فيتلوه سرعة الانفراج

وقال ابو القاسم بن بشران في اماليه اخبرنا ابو العباس احمد بن ابراهيم بن علي الكندي انشد محمد بن جعفر السامري انشدني بعض اصحابنا لابي الحسن الثقفي

عسى فرج يأتي به الله انه ... له كل يوم في خليقته امر
اذا اشتد عسر فارج يسراً فانه ... قضى الله ان العسر يتبعه يسر

واخرج ابن النجار في تاريخ بغداد من طريق احمد بن القاسم بن الريان البصري حدثنا احمد بن اسحاق بن ابراهيم بن غبيط الاشجعي بمصر حدثني ابي عن ابيه عن جده قال قال علي بن ابي طالب

اذا اشتملت على الناس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمأنت ... وارست في اماكنها الخطوب
فكل الحادثات اذا تناهت ... فموصول بها الفرج القريب

هذه الابيات اوردها ابن ابي الدنيا بلا سند ولا عزو الى علي وقال المنذري انشدني ابو العباس احمد بن ابي القاسم بن عيال قال انشدني الفقيه ابو القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي في مجلس درسه قال كان الامام مالك يتمثل بهذين البيتين

درج الايام تندرج ... وبيوت الهم تأتلج
رب شيء عز مطلبه ... قربته ساعة الفرج

وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

يقد بالنار بين يدي الامراء ليلا واذا أمر بشنق احد او تسميره او النداء عليه تولوا ذلك ومن حق الله تعالى عليهم اذا ارادوا قتل احد ان يحسنوا القتلة وان يمكنوه من صلاة ركعتين قبل القتل لله تعالى فهي سنة ومتى امر ولي الامر مشاعلياً بقتل انسان بغير حق يعلم ان المقتول مظلوم فالمشاعلي قاتل له يجب عليه القصاص وان كان ولي الامر اكرهه او جعلنا امره اكراهاً فالقصاص حينئذ عليهما جميعاً عند الشافعي رحمه الله تعالى على الصحيح من مذهبه * المثال الاول بعد المائة الدلالون فمنهم دلال الكتب ومن حقه ان لا يبيع كتب الدين لمن يضيعها او ينظرها لانتقادها والطعن عليها وان لا يبيع شيئاً من كتب اهل البدع والاهواء والمنجمين والكتب المكذوبة كسيرة عنتر وغيره ولا يحل له ان يبيع كافراً مصحفاً ولا شيئاً من كتب الحديث والفقه ومنهم دلال الرقيق فلا يحل له بيع عبد مسلم لكافر وبيع المملوك الحسن الصورة لمن اشتهر باللواط كبيع العصير لمن يتخذ الخمر وكلاهما مكروه واما بيع المغاني فيجوز ولكن اذا كانت جارية فباعها بالقين ولولا الغناء ما ساوت الا الفا والاصحاب مختلفون في صحة هذا البيع والاصح الصحة ومنهم دلال الاملاك وعليه التحفظ في ذلك خشية ان يقع في بيع شيء موقوف وان هو باع موقوفاً فقد شارك البائع في الاثم *المثال الثاني بعد المائة بواب المدرسة والجامع ونحوهما ومن حقه المبيت بقرب الباب بحيث يسمع من يطرقه عليه والفتح لساكن في المكان او قاصد مقصداً دينياً من صلاة او اشتغال اي وقت جاء من اوقات الليل وما يفعله

لاحسب الشرجارّ الايفارقنى   ولا أحز على ما فاتني الودجا
وما نزلت من المكروه منزلة   الا وثقت بان الهم قد فرجا

﴿ وقال منتخب الدين ابو الفتوح العجلي ﴾

اذا ما رأيت فنون البلاء   وعز المحيص لفرط الحرج
فلا تحظ الا بصبر جميل   فعند اصطبار تأتي الفرج

﴿ وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم ﴾

اذاضقت فاصبر يفرج الله ماترى   الا رب ضيق في عواقبه سعد

﴿ وقال جحظة ﴾

فلا تيأسن وان صلحت   عزيمتهم على الدبج
فان الى غداة غد   سيأتي الله بالفرج

﴿ وقال آخر ﴾

استرزق الله واطلب من خزائنه   ولا تكونن مما ضقت في حرج
فابعد الامر يا مولاي اقربه   واضيق الحال ادناه من الفرج

و روي السمعاني عن والده قال سمعت سعد الله بن نصر الواعظ يقول كنت خائفاً من الخليفة لحادث نزل واشتد الطلب فرأيت في النوم ليلة كأني في غرفة وانا اكتب شيئاً فجاء رجل فوقف بازائي وقال اكتب ما املي عليك وانشدني

ادفع بصبرك حادث الايام   وترج لطف الواحد العلام
لا تيأسن وان تضايق كربها   ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة   تخفى على الابصار والاوهام
كم من نجي بين اطراف القنا   وفريسة سلمت من الضرغام

﴿ وقال جعفر بن شمس الخلافة ﴾

هي شدة يأتي الرخاء عقيبها   واسى يبشر بالسرور العاجل
واذا نظرت فان بؤسا دائما   للمرء خير من نعيم زائل

﴿ وقال ايضاً ﴾

سأصبر حتى يأتي الله بالذي   يشاء وحتى يجعل الله من صبر
فكم فاقة يأتي الغنى من خلالها   يلوح وكم عسر يكشف عن يسر

﴿ وقال ابو الفضل ﴾

نخفف

بعض البوابين من غلق الباب في وقت معلوم من الليل اما بعد عشاء الآخرة او في وقت آخر بحيث اذاجاء احد السكان او المريدين للصلاة لا يفتح له غير جائز الا ان تكون مدرسة شرط واقفها ان لا يفتح بابها الا في وقت معلوم وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال واما لو شرطه في مسجد اوجامع فواضح انه لا يصح * المثال الثالث بعد المائة سائس الدواب ومن حقه ان ينصح في خدمته وتنقية العليق لها وتأدية الامانة فيه فانه لا لسان لها تشكوه الا الى الله تعالى وقد كثر من السواس تعليق حرز يشتمل على بعض آيات القرآن على الخيل رجاء الحراسة مع انها تتمرغ في النجاسة وافتى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام بان ذلك لا يجوز وهو بدعة وتعرض للكتاب العزيز للاهانة * المثال الرابع بعد المائة الكلابزي لله تعالى عليه نعمة ان جعله خادم الكلاب ولم يجعله عاصر خمر او غير ذلك مما ابتلى به بعض عبيده فمن شكر هذه النعمة ان ينصح في خدمة كلاب الصيد وان يعلم ان في كل كبد حراء اجراً واذا كان له على خدمتها جعل فهذه نعمة ثانية عليه ان يوفيها حق شكرها فان كان في باب ذي جاه فهذه نعمة ثالثة عليه شكر ثالث لاجلها وعلى هذا فاعتبر * المثال الخامس بعد المائة حارس الدرب وحق عليه ان ينصح لاهل الدرب ويسهر عينه اذا ناموا وينبه النوام اذا اغتيلوا بحريق او غيره ولا يدل على عوراتهم واليًا ولا غيره * المثال السادس بعد المائة الطوفية وهم بين البساتين والمساكن الخارجة عن البلدة كالحارس بين الدروب في وسط البلدة

نخفف عن القلب الهموم مسليًا   لعل الذي تخشاه ليس يكون
وكن واثقًا بالله في كل حالة   فما شدة الا وسوف تهون

﴿ وقال ابو جعفر بن بشير الحميري ﴾

لا تياسن وان طالت مطالبة
اذا استعنت بصبر ان ترى فرجًا
اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته
ومد من القرع للابواب ان يلجا

﴿ وقال الحسن بن وهب مخاطبا اخاه ﴾

اصبر ابا ايوب صبرًا يرتضي   فاذاجزعت من الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به   عقد المكاره فيك يملك حلها
الله يفرج بعد ضيق كربها   ولعلها ان تنجلى ولعلها

﴿ وقال محمد بن الفضل الجوجري الكاتب ﴾

تعجل اذا ما كان امر وغبطة
وأبط اذا ما استعرض الخوف والهرج
ولا تياسن من فرجة لا تنالها
لعل الذي ترجوه من حيث لا ترج

﴿ وقال ابو اسحاق ابراهيم بن العباس المصري ﴾

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعًا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال الصلاح الصفدي في تاريخه يقال انه ماردها من نزلت به نازلة الا فرجت عنه

وروى ابن عساكر في تاريخه

صبرًا جميلاً ما اسرع الفرجا   من صدق الله في الامور نجا
من خشى الله لم ينله اذى   ومن رجا الله كان حيث رجا

﴿ وقال لقيط بن زرارة ﴾

قد عشت في الدهر اطوارًا على خلق
شتى وقاسيت فيه اللين والفظعا
كلا لبست فلا النعماء تبطرني
ولا تخشعت من لأوائها جزعا

ومن اقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخمر لمن يرضيهم بحطام الدنيا فلا ينكرون عليه المنكر مع انكارهم زائداً على من لا يرضيهم واذا وجدوا قتيلا في مكان نقلوه الى مكان آخر فتارة يجدونه في مكان بقرب دار من له عندهم يد فينقلونه الى دار من لا يدله عندهم او بينه وبينهم شنآن وتارة ينقلونه طائفة من الاماكن التي هي في تسليمهم الى مكان آخر دفعاً للتهمة عن انفسهم والقاء غيرهم فيها وكل ذلك قبيح والواجب ابقاؤه في مكانه ورفع امره الى ولي الامر ليبحث عنه * المثال السابع بعد المائة الكاسح للاخلية ويسمى السراباتي ومن حقه بذل الاجتهاد في تنظيف الاسربة والقنى ونحوها والاخبار عن ملئها وفراغها وتنظيفها بصدق لانها مغيبة عن ملاكها ولا يمكنهم كشف ذلك وتعاطيه بانفسهم غالبًا * المثال الثامن بعد المائة الاسكاف ومن حقه ان لا يخرز بنجس من شعر خنزيرًا وغيره فان الصلاة في النعلين جائزة صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى في النعلين وانما فعل ذلك بيانًا للجواز وكان اغلب احواله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة حافيًا فلو ان الاسكاف استعمل في النعل نجاسة لخان الله تعالى والمؤمنين * المثال التاسع بعد المائة رماة البندق وقد افتى الشيخ تاج الدين بن الفركاح بحله وهو ماذكره النووي في كتاب المنثورات ويوافقهما قول الرافعي اما الاصطياد بمعنى اثبات اليد على الصيد وضبطه فلا يختص بالجوارح بل يجوز باي طريق تيسر فانه يتناول الرمي بالبندق لكن قال ابن يونس في شرح التنبيه ذكر في الذخائر ان الاصطياد

ما سد مطلع ضاقت مذاهبه
الا وجدت وراء الضيق متسعا

﴿ وقال علي بن عبد الله بن محمد بن داود الطبري ﴾

يا من الح عليه الهم والفكر   وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في مثل   عند الاياس فاين الله والقدر
نم للخطوب اذا أحداثها طرقت   واصبر فقد فاز اقوام لها صبروا
وكل ضيق سياتي بعده سعة   وكل فوت وشيك بعده الظفر

﴿ وقال الطغرائي ﴾

لا تجزعن اذا ما الامر ضقت به   ذرعاً ونم وتوسد فارغ البال
فبين غفوة عين وانتباهتها   يقلب الدهر من حال الى حال

﴿ وقال ابو طالب سعد بن محمد الوحيد ﴾

يا نفس كوني لروح الله ناظرة   فانه لامان طيب الارج

﴿ وقال بعضهم ﴾

اذا الحادثات بلغن المدى * وكادت تذوب لهن المهج
وظل البلاء وبان العزا * فعند التناهي يكون الفرج

﴿ وقال ابن النجار انشدني محمد بن سكينة ﴾

كن بلطف الله ذا ثقة * وارض بالجاري من القدم
واصطبر للامر تكرهه * فلعل البرء في السقم

وقال ابن النجار اخبرنا عبد الوهاب بن على الامين قال قرأت على ابى القاسم عبد الله بن القاسم بن على الحريري صاحب المقامات قال انشدنا والدي لنفسه

لا تياسن عند النوب * من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم * جرى نسيماً وانقلب
وسحاب مكروه ثنا * واضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منـ * ـه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الاسى * وعلى تقيته غرب
فاصبر اذا ما ناب رو * ع فالزمان ابو العجب
وترج من روح الاله لطائفا لا تحتسب

وقال

بما لاحد له كالدبوس والبندق لا يجوز ولا يحل قلت ويدل له ما في مسند الامام احمد من حديث عدي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولا تاكل من البندقة الا ما ذكيت لكن في سنده انقطاع وروى البيهقي ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يقول في المقتولة بالبندقة تلك الموقوذة وصرح اصحابنا بان المحدد اذا قتل بثقله لا يحل بل لابد من الجرح قالوا فيحرم الطير اذا مات ببندقة رمي بها خدشته ام لا قطعت رأسه ام لا * المثال العاشر بعد المائة الشحاذ في الطرقات لله تعالى عليه نعمة اذ أقدره على ذلك وكان من الممكن ان يخرس لسانه فيعجزه عن السؤال او يقعده فيعجز عن السعي او يقطع يديه فيعجزه عن مدهما الى غير ذلك فعليه ان لا يلح في المسئلة بل يتقي الله سبحانه و يجمل في الطلب وكثير من الحرافيش اتخذوا السؤال صناعة فيسألون من غير حاجة ويقعدون على ابواب المساجد يشحذون المصلين ولا يدخلون الصلاة معهم ومنهم من يقسم على الناس في سؤاله بما تقشعر الجلود عند ذكره وكل ذلك منكر وبعضهم يستغيث باعلى صوته لوجه الله فلس وقد جاء في الحديث لا يسأل بوجه الله الا الجنة وبعضهم يقول بشيبة ابي بكر فلس فانظر ماذا يسألون من الحقير وبماذا يستغيثون من العظيم وتراهم النصارى واليهود ويرون المسلمين ربما لم يعطوهم شيئاً فيشمتون ويسخرون وربما كان المسلم معذوراً في المنع والكافر لا يفهم الا ان المسلمين لا يكترثون لذلك ورأيي في مثل هذا الشحاذ ان يضرب بالسياط حتى يرجع عن ذكر وجه الله تعالى وذكر شيبة ابي بكر ونحو ذلك في

وقال ابو على محمد بن محمد بن الشاطر الانباري بسنده لابن النجار

اذا ما توالت شدة فاصطبر لها   فخير سلاح المرء في الشدة الصبر
واني لاستحي من الله ان ارى   الى غيره اشكو وان مسني الضر
عسى فرج يأتي به الله انه   له كل يوم في خليقته امر

﴿ وقال البحتري يخاطب المعتز وهو محبوس قبل ان يلي الخلافة ﴾

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك
من الحادث المشكو والنازل المشكي
وما هذه الايام الا منازل
فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما
صفى الذهب الابريز قبلك بالسبك
اما في رسول الله يوسف اسوة
لمثلك محبوساً على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في الحبس برهة
فآل به الصبر الجميل الى الملك

﴿ وقال ابراهيم بن غانم بن عبدون الكاتب ﴾

ربما كانت الخلائق ان ضاقت   بخطب معدودة في الخطوب
وتهون الاحداث عند معان   بفؤاد شهم وصدر رحيب
والصبور الداعي الى الله محبو   ب تجاب من السميع المجيب
فتوكل عليه يكفك والزم   حكم ذي حكمة ورأي مصيب

﴿ وقال ابو الحسن زيد بن محمد بن زيد العلوي ﴾

وراء مضيق الخوف متسع الامن   واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا   خزائنه بعد الخلاص من السجن

﴿ وقال ابو عمران موسى بن محمد الطولقي الشاعر ﴾

تصبر ان عقبى الصبر خير   ولا تجزع لنائبة تنوب
فان اليسر بعد العسر يأتي   وعند الضيق تنكشف الكروب
وكم جزعت نفوس من امور   اتى من دونها فرج قريب

هذا المقام ومنهم من يكشف عورته ويمشي عرياناً بين الناس يوهم انه لا يجد ما يستر به عورته الى غير ذلك من حيلهم ومكرهم وخديعتهم ولقد اطلنا في ذلك من ذكر هذه الامثلة بحيث انها تحتمل مصنفاً مستقلاً والحاصل وهو المقصود انه ما من عبد الا ولله سبحانه عنده نعمة يجب عليه ان ينظر اليها ويشكرها حق شكرها بقدر استطاعته حسبما وصفناه ولا يستحقرها ولا يربأ بنفسه عليها وذلك ميزان يستقيم في كل الوظائف فليعرض كل ذي وظيفة تلك الوظيفة على الشرع فان مولانا وسيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بين لنا امر ديننا كله فما من منزلة الا وابان لنا عما ربطه الشارع بها من التكاليف فليبادر صاحبها الى امتثاله منشرح الصدر راضياً ويبشر عند ذلك بالمزيد والا فان هو تلقاها بغير قبول ولم يعطها حقها خشي عليه زوالها عنه واحتياجه اليها ثم يطلبها فلا يجدها واذا زالت فليعلم ان سبب زوالها تفريطه في القيام بحقها وانا اضرب لك مثالاً فاقول اذا كنت اميراً قد خولك الله تعالى نعماً هائلة لو استحضرت نفسك لوجدتها لا تستحق منها شيئاً ولا ذرة وبت في بيتك تتقلب في انعم الله تعالى بين يديك الدراهم والذهب والمماليك والجواري وانواع الملابس الفاخرة واصناف الملاذ ثم اصبحت ركبت الخيول المسومة ولبست الثياب الحسنة ثم جلست في بيتك لابساً قباءً عظيماً مطرزاً بالذهب الذي حرمه الله تعالى على الرجال مطرقاً مصمماً بوجه عبوس يرعد ويبرق كأن لك ثاراً على الناس واخذت تحكم فيهم بخلاف الشرع الذي امرك

وقال جعفر بن ورقاء الشيباني

الحمد لله على ما قضى   في المال لا حفظ المهجه
ولم تكن من ضيقة هكذا   الا وكانت بعدها فرجه

وقال جعفر بن مكي البغدادي

الهي يا مولى الموالي وخير من   تمد اليه الراح عند سؤالي
قطعت رجائي عن سواك لانني   رجوتك اذ كنت العليم بحالي
ومن بك في كل الامور مفوضاً   اليك حاز المنى بكمال

وقال ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر الواعظ

ومصائب الايام ان عاديتها   بالصبر ردت عليك وهي سواكب
لم يدج ليل العسر قط بغمة   الا بدا لليسر فيه كواكب

وقال ابو منصور عبد الله بن سعيد الحوافي

فلا تيأسن اذا ما سد باب   فارض الله واسعة المسالك
ولا تجزع اذا ما اعتاص امر   لعل الله يحدث بعد ذلك

وقال ابو الحسن بن علي بن محمد النضري الاسنوي

با نفس صبرًا واحتسابًا انها   غمرات ايام تمر وتنجلي
في الله هلكك ان هلكت حميدة   وعليه اجرك فاصبري وتوكلي
لا تيأسي من روح ربك واحذري   ان تستفزي بالقنوط فتخذلي

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها   وان عصها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها ان تتابعت   بباقية الا ويتبعها يسر

وقال علي بن الجهم السامي

لا يؤيسنك من تفرج كربة   خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى   فنجى ومات طبيبه والعود

وقال ابو يوسف السهيلي

لا البؤس يبقى ولا النعيم ولا   حلقة ضيق ستفرج الحلقه
صبرًا على الدهر في تحيفه   كم فتح الصبر مرة غلقه

وقال علي بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ابن ابي طالب

الله تعالى به الذي بت تتقلب في انعمه معتقداً ان ما تحكم به هو الاصلح وان حكم الله تعالى لا ينفع فما جزاؤك ولم لا تزول عنك تلك النعمة فان ضممت الى هذا انواعاً اخر من المعاصي فانت بنفسك اخبر والله تعالى عليك اقدر فاحفظ الله تعالى يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة خف الله الذي يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته واعلم انه ما من عبد الا وعليه حقوق للمسلمين يتعين عليه توفيتها والشكر عليها حيث اقامه فيها واستاهله لها فانها خدمة من خدم الله تعالى ولا يخفى عليك ان ملكاً لو استخدمك في ايسر حاجة لسررت بذلك فكيف بملك الملوك وما من وظيفة الا وللمسلمين حقوق على صاحبها سمعت الشيخ الامام رضي الله تعالى عنه يقول لكل مسلم عندي وعند كل مسلم حق في أداء هذه الصلوات الخمس ومتى فرط مسلم في صلاة واحدة كان قد اعتدى على كل مسلم واخذ له حقاً من حقوقه لعدوانه على حق الله تعالى قال ولذلك اسمع دعوى من يدعى على تارك صلاة واجبة وان لم يدع على وجه الحسبة لان لكل مسلم فيها حقاً فيقول ادعى على هذا انه ترك الصلاة الفلانية او اعتمد فيها ما يفسدها وقد اضرني بذلك وانا مطالبه بحقي قلت ولم قال لان المصلي يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان المصلى اذا قال هذا اصاب كل عبد صالح في السماء والارض قلت ورأيت للقفال ما يقتضي ذلك اذا فهمت ايها العاقل وفقنا الله تعالى واياك لمرضاته وادخلنا بكرمه

عسى منهل يصفو فيروي ظمية   أبان صداها المنهل المتكدر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه   سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صور امسى لها الجور دافنًا   سيبعثها عدل يجيء فتظهر
عسى الله لا تيأس من الله انه   يسير عليه ما يعز ويعسر

وقال آخر

اذا ما رماك الدهر منه بنكبة   فهيء لها صبرًا واوسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة   فيوما ترى عسرًا ويومًا ترى يسرا

وقال آخر

اذا ضاق بك الصدر   فذكر في الم نشرح
فان العسر مقرون   بيسر قط ما يبرح

وقال هلال بن العلاء الرقي

الناس في الدين والدنيا ذوو درج   والمال ما بين موفور ومختلج
من ضاق عنه فارض الله واسعة   لكل وجه مضيق وجه منفرج
قد يدرك الراقد الهادي برقدته   وقد يخيب اخو الروحات والدلج
خير المذاهب في الحاجات انجحها   واضيق الامر ادناه من الفرج

وقال الشيخ علاء الدين القونوي

يا بعيد الفهم للحجج   وقريب الشبه للهمج
لا تبت للخوف من بشر   فهو المرجو للفرج

وقال العتبي وكنت ذات يوم بالبادية وانا بحالة من الغم فالقى في روعي بيت من الشعر

ارى الموت لمن اصبح   مغموماً له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف في الهواء .

الا ايها المرء الذي الهم به برح   وقد انشد بيتاً لم يزل في فكره يسنح
اذا اشتدت بك العسرى   ففكر في الم نشرح

بحبوحة جنانه ما شرحناه لك فاذا انزوت عنك نعمة فاول متعين عليك ان كنت ترجو عودها البحث عن سبب انزوائها عنك بان تنظر الى وظيفتك وتفريطك فيها بالاخلال بواحدة من وظائف الشكر وتعلم انك أتيت منك فتذكر ذلك فمتى ذكرته وكان تعلق قلبك بها صادقاً وعلمت انه السبب في زوالها ندمت عليه وتبت منه وعقدت النية على انك ان عادت اليك النعمة لم تعد اليه فان قلت لا اذكر تفريطاً فانت اذاً جاهل * اعلم ان للشيطان وساوس وتخيلات فانه يجري من ابن آدم مجرى الدم وان اعدي عدوك نفسك التي بين جنبيك وانهما اعني نفسك والشيطان ربما ارياك الباطل حقاً واسترقاك من حيث لا تدري واستعبداك وانت تظن انك حر فاقطع واجزم بانك مفرط لا محالة واستغفر الله تعالى واضرع اليه وان لم تدر وجه التفريط بخصوصه فاعلم على الجملة ولا يكن عندك شك في ان هذا تفريط فهمته ام جهلته وانك منه اتيت فانك اذا علمت ذلك وايقنت به فهمت ان الحق تعالى عادل فيه غير ظالم لك بل يحسن اليك اسداك نعمة بلا استحقاق فما رعيتها حق رعايتها فزواها عنك فعليك شكر تلك الايام التي كنت متلبساً بها فيها والاستغفار من تفريطك ارأيت رجلاً اجلسك في داره يطعمك ويسقيك عشرة ايام ثم قال لك انصرف ايكون مسيئاً اليك ام محسناً ان قلت مسيئاً فأنت مجنون فانه لم يكن عليه حق لك وقد احسن اليك هذه المدة فبأي طريق يجب عليه ان يديمها وان قلت يكون محسناً وقد ازالها بلا سبب

فعسر بين يُسرين   اذا كررته فافرح
فان العسر مقرون   بيسرين فلا تترح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني * وقال آخر

مغيث ايوب والكافي لذى النون   ينيلني فرجًا بالكاف والنون

﴿وقال ابو الحسن علي بن هارون المنجم﴾

لاتيأسن من روح الاله فربما   يصل القطوع وتحضر الغياب

﴿وقال مكارم بن وزير﴾

الطاف ربك في الضراء كامنة   فكن لغائبة السراء منتظرا
وغاية الليل فجر والسهاد كرى   ومن اجاب دواعي صبره قدرا
ورب راح اراح الله بغيته   عفوًا وفارس آمال جني الثمرا

وقال الشيخ علم الدين العراقي المفسر فيما رواه عنه ابو حيان نظمت في الليل في قاضي القضاة وكان معزولاً

ياساريا سبل السعادة منهجًا   يا موضح الخطب البهيم اذا دجى
ياابن الذين رست قواعد مجدهم   وسنا سناهم عاطر فتأرجا
لا تيأسن من عود ما فارقته   بعد السرار ترى الهلال تبلجا
وابشر وسرح ناظرًا فلقد ترى   عما قليل في العدى متفرجا
وترى وليك ضاحكاً مستبشرًا   قد نال من تدميرهم ما يرتجي

وروي ابن باكويه الشيرازي في كتاب حكايات الصالحين عن جعفر بن محمد قال كنت عند الجنيد فجاءه رجل يشكو البلاء فقال له الجنيد وجدت حجرًا في بعض المواضع مكتوبا عليه ·

هون عليك فان الامر منقطع   وخل عنك عنان الهم يندفع
فكم هم له من بعده فرج   وكل امر اذا ما ضاق يتسع

﴿وقال الشهاب بن فضل الله﴾

عجبًا لمنتظر الفرج   أني يضيق من الحرج
والله يفعل ما يشا   ء وما يغالط بالحجج

﴿وقال ابن المعتز﴾

اصبر لعلك عن قليل بالغ   بتفضل الوهاب ذي الاحسان
فرجًا يضيء لك اتصاف صباحه   متبلجًا في ظلمة الاحزان

فما ظنك برب لا يزيلها اعني النعمة الا بسبب منك فانت الظالم * حكى ان ملكاً مات له ولد فافحش في اظهار الحزن عليه والتسخط بسبب ما اصابه فاتاه آت فقال ايها الملك ان لي صاحبًا اودع عندي جوهرة فكانت عندي مدة اتلذذ بروئيتها ثم استرجعها وانا اسألك طلبه والزامه باعادة الايداع فقال كيف الزمه بان يودع ماله عندك فقال له فالله تعالى اودع عندك ولدك هذه المدة ثم استرده فلم هذا التسخط فانشرح صدر الملك ورفع العزاء قال الشاعر

وما المال والاهلون الا وديعة * ولا بد يوما ان ترد الودائع

فان قلت قد يزيلها زيادة في رفع الدرجات فاعلم ان هذا مقام عسر لم تصل انت اليه فليس كلامي مع اهل هذه الطبقة انما كلامي مع جمهور اهل الزمان الذي اندفعنا اليه ولو كان كلامي مع اهل هذا المقام لقلت لهم تلك نعمة تبدلت باعظم منها لا يقال بانها زالت ولهذا شرح طويل ليس من غرض هذا الكتاب فهذه واحدة من الامور الثلاث التي بمجموعها تعود النعمة وتزول النقمة * الامر الثاني في فوائد انزوائها فنقول قد تعترف بالامر الاول وتذعن له ولكن تقول في نفسك انه لا خير لي في هذه المحنة وليت النعمة لم تزل وان كنت انا السبب في زوالها فان انت اختلج في ضميرك هذا فاعلم انك لم توف الشكر حقه ولم تحسن السعي في عودها وكنت كمن يأتي البيوت من غير ابوابها وتلج الدور بدون حجابها فامح ما في نفسك وارجع الى حسك واعلم ان المحنة من الله تعالى ليست من احد غيره وهذا كما عرفناك في النعمة سواء فاول ما تعتقده ان الله تعالى هو الفاعل بك ذلك

﴿وقال آخر﴾

هون عليك فان الامر منقطع   وخل عنك فان الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرج   وكل امر اذا ما ضاق يتسع
ان البلاء وان طال الزمان به   فالموت يقطعه او سوف ينقطع

﴿وقال الامام ابو علي الحسين بن محمد المروزي﴾

اذا ما رماك الدهر يومًا بنكبة   فاوسع لها صدرًا واوسع لها صبرا
فان اله العالمين بفضله   سيعقب بعد العسر من فضله يسرا

﴿وقال الامام ابو اسحق الثلعبي المفسر﴾

يراني لادعو الله والامر ضيق   علي فما ينفك ان يتفرجا
ورب فتي شدت عليه وجوهه   اصاب له في دعوة الله مخرجا

﴿وقال آخر﴾

يا من اذا اشتد البلا   وتضايقت حلق الدواهي
وتيقنت نفسي الهلا   ك وايقنت عند التناهي
فرجتها بلطيفة   من حسن برك يا الهي

﴿وقال آخر﴾

ان عضك الدهر فانتظر فرجا   فانه نازل بمنتظره
او مسك الضر او بليت به   فاصبر عليه فاليسر في اثره

﴿وقال آخر﴾

يا غافلاً والمنون يطلبه   من نصح الله نفسه نصحا
ومن تسلى بذكر خالقه   عوضه من همومه فرحا

﴿تم كتاب الارج بحمد الله وعونه وحسن توفيقه﴾



لتمردك وطغيانك وان انت ظننت في احد من الخلق انه الفاعل بك هذا فهذه زلة عظيمة يخشى عليك منها دوام المحنة فاذا اعتدت ذلك وتلقيت المحنة من الله تعالى فهذه نعمة تورث عندك الفرح بالمصيبة ثم انظر في نفسك أمؤمن انت ام كافر فان كنت كافرا فمصيبتك بالكفر اشد من سائر المصائب فابك على تلك المصيبة وبادر الى زوالها عنك ودع الفكرة فيما عداها وان كنت مؤمناً فاعلم ان مالاقاك به الدهر هو ديدنه وعادته في حق المؤمن فان دار الدنيا مملكة اعدائك ومحلة بلائك والانسان لا يكون في مملكة عدوه مستريحًا وانما يكون مصابًا معذبًا بانواع الانكاد والمتاعب فلا تستغرب ما اصابك بل اعلم ان القاعدة المستقرة في حقك والغريب ماجاء على خلافها ولهذا كان سيد الطائفة الجنيد رحمه الله تعالى يقول لا استنكر شيئًا مما يقع من العالم لاني قد اصلت اصلاً وهو ان الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر من حقه ان يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بما احب فهو فضل والا فالاصل الاول وانما قلنا ان الدنيا مملكة اعدائنا ودار احزاننا لما ثبت وصح في صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأوضح ان الكافر فيها منعم والمؤمن فيها مسجون وهل يكون المسجون الا حزينا مصابًا فالاصل ان المؤمن مع الكافر في هذه الدار كاهل السجن مع السلطان فانظر واعتبر وتأمل قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابًا وسررًا عليها يتكؤن وزخرفًا

ترجمة صاحب كتاب حل العقال

هو السيد عبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر بن محمد بن أبي الفيض الشهير بابن قضيب البان الحلبي الحنفي الفاضل * الاديب الشاعر * المنشيء البليغ * كان واحد اوانه * وغرة جبهة زمانه * له في الفضل شهرة طنانه وحديث لا يمل وكان مع علو قدره لين المعاشرة حلو المؤانسة والمذاكرة وكان احد المبرزين بحسن الخط مع اخذه من البلاغة باوفر الحظ وله تآليف سائغة منها نظمه للاشباه الفقهية ومنها حل العقال وغير ذلك وشعره وانشاؤه باللغة العربية والفارسية والتركية في المكانة الرفيعة في السلاسة وحسن الرونق وكان رحمه الله تصدر للتدريس في المدرسة الحلاوية وولي نقابة الاشراف بحلب ثم اعطي رتبة القضاء بديار بكر ثم انحرف عنه زمانه وعزل من ولاية القضاء واستمر مدة منزوياً ثم سافر الى الحج وعاد الى حلب واقام بها في رفعة وصولة مشتغلاً بالاقراء والتدريس الى ان حصلت فتنة قتل بسببها في حلب نهار الاربعاء سابع عشري جمادي الاولى سنة ١٠٦٦ رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه آمين والحمد لله رب العالمين

ترجمة الامام السيوطي صاحب الارج في الفرج المزيل به حل العقال

هو الامام الشهير والعلم المنير عبد الرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري الاسيوطي ولد بعد المغرب ليلة الاحد مستهل رجب سنة تسع واربعين وثمانمائة تخرج على اجلاء زمانه فنبغ في الفنون

وبلغ

وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين فاذا تأملت هذا الشرح صدرك مما يصيبك وعلمت انه دليل على انك من اهل الايمان المقربين عند الرحمن الذين يريد تطهيرهم من الادناس ويحب تصفية قلوبهم من الوسواس ولذلك كان السلف رحمهم الله تعالى يخشون تتابع النعم ويخافون ان يكون ذلك استدراجاً وانا قد اعتبرت فوجدت القاعدة المستقرة في هذه الامة ان كل من كان اكثر ايماناً كانت الدنيا عنه اكثر انزواء والانكاد عنده اكثر ممن دونه ولذلك اشد بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وما اوذي نبي مثل ما اوذي سيد الانبياء نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانظر ترى الكفار اكثر دنيا من المسلمين ثم انظر المسلمين ترى الجهال منهم والفسقة اكثر دنيا من اهل العلم واهل التقوى ثم انظر اهل العلم والتقوى ترى كل من زاد فيها نقص في الدين بحسب ذلك وان عددت من جمع العدل والملك او العلم والمال او التقوى والمال لم تر الا آحاداً مخصوصين واناساً كانت الدنيا في ايديهم لا في قلوبهم وكان ذلك لمصلحة اقتضتها حكمة الربوبية خرجوا بها عن القاعدة قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى اليس قد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادباراً فما بال عمر بن عبد العزيز وهو سيد اهل زمانه ولي بعد الحجاج وهو خبيث هذه الامة فقال لابد للزمان ان يتنفس واذا علمت ان انكاد المؤمنين طبع الزمان كما قال التهامي

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا ترى الانسان فيها مخبرا * الفيته خبرا من الاخبار

وبلغ الغاية القصوى في كثرة التآليف المفيدة الجامعة فله في الفقه مؤلفات شتى ولكن لم تشتهر وله في الحديث والتفسير المؤلفات التي عليها معول المتأخرين فمن التفسير الاتقان في علوم القرآن والدر المنثور في التفسير بالمأثور وغير ذلك ومن الحديث كشف المغطى في شرح الموطأ والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج والجامع الكبير والجامع الصغير وغير ذلك مما يفوق العد وبالجملة فهو رضي الله عنه من الآيات الباهرة والبحار الزاخرة ذكر له من التآليف نحو الثلاثمائة وكان عند ذكره هذا في وسط عمره فما استجد بعد ذلك له من التآليف يبلغ هذا القدر او اكثر ومع كثرة تآليفه له اليد الطولى في تحريرها وحسن جمعها رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

ترجمة الامام تاج الدين السبكي صاحب كتاب مفيد النعم الموضوع بهامش هذا الكتاب ترجمه الامام السيوطي في ضمن من بلغوا درجة الاجتهاد المطلق فقال

هو قاضي القضاة تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب ابن العلامة تقي الدين ابو الحسن علي بن عبد الكافي تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم الانصاري ولد بمصر سنة تسعة عشر وسبعمائة ولازم الاشتغال بالفنون على ابيه وغيره حتى مهر وهو شاب وصنف كتباً نفيسة وانتشرت في حياته والف وهو في حدود العشرين كتب مرة ورقة الى نائب الشام يقول اليوم انا مجتهد الدنيا على الاطلاق لا يقدر احد يرد على

طبعت على كدر وانت تريدها * صفواً من الاقذار والاكدار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
والعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا انما * اعماركم سفر من الاسفار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا * ان تسترد فانهن عواري
ليس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

فما اجهل من يقول ما بال فلان المستحق خاملاً وفلان غير المستحق غير خامل أما علم ان هذه عادة الزمان وان ذلك عدل من الله تعالى اذ كونه مستحقاً فضل الله يربو ويزيد على ذلك الحطام الذي هو حظ من لا يستحق أليس اذا عادل بين العالم والعلم وجمع الفقر والجهل مع الغناء وجد علماً بفقر خيراً من جهل بغنى وتقوى بانكسار خيراً من فجور باستكبار انشدنا ابو عبد الله الحافظ اجازة عن ابن دقيق العيد انه انشد لنفسه

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون بينهم
قد أنزلونا لانا غير جنسهم * منازل الوحش في الاهمال عندهم
فما لهم في توقي ضرنا نظر * ولا لهم في ترقي قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا ان نعرفهم * مقدارهم عندنا او لو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

وهذه الابيات ناقضها الفتح الثقفي فاجاد حيث قال

ابن المراتب في الدنيا ورفعتها * من الذي حاز علماً ليس عندهم
لا شك ان لنا قدرا رأوه وما * لقدرهم عندنا قدر ولا لهم
هم الوحوش ونحن الانس حكمتنا * تقودهم حيثما شئنا وهم نعم
وليس شيء سوى الاهمال يقطعنا * عنهم فانهم وجدانهم عدم
لنا المريحان من علم ومن عدم * وفيهم المتعبان الجهل والحشم

فاذا استقرت هذه القاعدة عندك ازددت انشراحاً بالمصيبة وتسليا عنها ثم ابحث تجد بقضاء الله تعالى وقدره وارادته واختياره وقضاؤه لك خير من قضائك لنفسك وكم محنة في طيها نعمة لا يدريها الا من يعلم العواقب فكن مع الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل واعلم انه حينئذ لا يفعل بك الا ما هو خير لك وكن كما قال الشاعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمني اللوم
اشبهت اعدائي فصرت احبهم * اذ كان حظي منك حظي منهم
واهنتني فاهنت نفسي عامداً * ما من يهون عليك ممن يكرم

هذه الكلمة وهو مقبول فيما قال عن نفسه ومن تصانيفه جمع الجوامع ومنع الموانع وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح منهاج البيضاوي والتوشيح والترشيح والطبقات ومفيد النعم وغير ذلك مات عشية يوم الثلاثاء سابع ذي الحجة سنة احدى وسبعين وسبعمائة

(فائدة) هذه الأبيات للقطب الكبير سيدي محمد بن ابي الحسن البكري المصري وهي مجربة لقضاء الحوائج تقرأ في آخر الليل بعد ما تيسر من الصلاة ويكرر بيت عجل باذهاب الذي اشتكى ٧٢ مرة

ما أرسل الرحمن او يرسل ... من رحمة تصعد او تنزل
في ملكوت الله او ملكه ... من كل ما يختص او يشمل
الا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها واصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل
فعذ به من كل ما تشتكي ... فهو شفيع دائماً يقبل
ولذ به في كل ما ترتجي ... فانه المأمن والمعقل
وحط اعمال الرجا عنده ... فانه المرجع والموئل
وناده ان أزمة انشبت ... أظفارها واستحكم المعضل
يا اكرم الخلق على ربه ... وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة ... فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذي خصك بين الورى ... برتبة عنها العلا تنزل
عجل باذهاب الذي اشتكى ... فان توقفت فمن أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى ... ولست أدري ما الذي افعل
وان ترى أعجز مني فما ... لشدة أقوى ولا احمل
فأنت باب الله اي امرئ ... اتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحت ... زهر الروابي نسمة شمأل
مسلماً ما فاح عطر الحمى ... وطاب منه الند والمندل
والآل والاصحاب ما غردت ... ساجعة أملودها تخضل

(يقول مصححه راجي غفران المساوي محمد الزهري الغمراوي)

ارسلته

فاذا استقرت هذه القاعدة الاخرى عندك ازددت سروراً على سرورك ثم ابحث عن فوائد المحنة تلقها كثيرة وافهم انها لولا المحنة لم تحصل هذه الفوائد فاذا المحنة نعمة والبلية عطية وعند هذا يتم انشراحك وسرورك وتصل الى درجة الرضا بالمقدر كما كان السلف رحمهم الله تعالى يستعذبون بلاياهم كانهم لا يأسون من الدنيا اذا قتلوا ولسنا نقول ذلك حثاً على حب البلاء وحباً له نعوذ بالله تعالى منه ولكن نقوله تسلية لمن حل به فتعريف دواء المريض لا يوجب حب المرض ولا طلبه نسأل الله تعالى العافية فان عافيته اوسع لنا واذا فهمت هذا وتأملته مع قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل قضاء الله تعالى للمؤمن خير الحديث وانشرحت لذلك تم لك نوع من الامور التي يرجى باجتماعها عود النعمة وزوال النقمة فان قلت اين لي هذه الفوائد وعددها ليتم سروري قلت حظ هذا الكتاب منها ينبهك من سنة الغفلة فانا قد بينا لك انك من قبل تفريطك اتيت فلو لم يتداركك الله تعالى بلطفه ويزوي عنك تلك النعمة لتتذكر وتتنبه من منامك لبقيت طائشاً في غيك متبحراً في طغيانك وذلك يؤل الى حال فسادك بالكلية فحلول المحنة والحالة هذه نعمة وان اردت حصر الفوائد التي فيها فلن تجد الى ذلك سبيلاً لكثرته وخروج بعضه عن ادراك افهامنا فان حكم الرب تعالى منها ما تدركه وتتفاوت فيه مقدرتنا في العلوم والمعارف ومنها ما تقصر العقول عن ادراكه ولسلطان العلماء شيخ الاسلام عز الدين محمد بن عبد السلام رضي الله تعالى عنه كلام على فوائد المحن والرزايا انا احكيه لك بجملته

نحمدك اللهم على ما منحت من نعمك المتواصلة ونشكرك على مزيد مننك المتكاملة ونصلي ونسلم على من ارسلته رحمة للعالمين وجعلته حجة على افضالك تهدي به من الضلال وترجم الشياطين * سيدنا محمد المؤيد منك بكلامك القديم والداعي الى صراطك المستقيم وعلى آله واصحابه القائمين بنصرته الذابين عن ملته اما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب حل العقال الآتي في صفحات منثوره بالجوهر والآل الذي جمع بين عذوبة لفظ تنبي عن قدرة منشيه ومتانة معنى تبهر العقل وتوشيه جاء فيه بما يزيح عن النفس الترح ويجلب للروح الأنس والفرح ويسلك بمن يفقه معانيه سبيل اليقين * ويصلح القلوب بدواء الصبر عند الحادث المهين وكيف لا وهو للفاضل الاديب واللوذعي الاريب صاحب الشهرة الفائقة والكتب التي حوت من بدائع الافانين كل عبارة رائقة السيد عبد الله بن محمد حجازي رحمه الله واثابه رضاه لا سيما وقد ذيل هذا الكتاب بكتاب الارج في الفرج وهو كتاب جمع من الادعية ما تنزاح به غياهب المدلهات * وتنكشف به غيوم الحادثات للحافظ الامام والعلامة الهمام جلال الدين السيوطي رضى الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه وقد حليت طررها ووشيت غررها بكتاب مفيد النعم ومبيد النقم وهو كتاب ينطبق اسمه على مسماه ولا يمكن تمام وصفه بغير رؤياه فجاء روضاً عديم المثال لم ينسج له مثيل على منوال وذلك بالمطبعة الادبية بسوق الخضار القديم بمصر المحميه على ذمة ملتزميه محمد زاهد ومحمد امين الخانجي

قال رضى الله تعالى عنه للمصائب والبلايا والمحن والرزايا فوائد تختلف باختلاف رتب الناس احدها معرفة عز الربوبية وقهرها والثاني معرفة ذلة العبودية وكسرها واليه الاشارة بقوله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اعترفوا بانهم ملكه وعبيده وانهم راجعون الى حكمه وتدبيره وقضائه وتقديره لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه والثالثة الاخلاص لله تعالى اذ لا مرجع في رفع الشدائد الا اليه ولا معتمداً في كشفها الا عليه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الرابعة الانابة الى الله تعالى والاقبال عليه واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه الخامسة التضرع والدعاء فاذا مس الانسان ضر دعانا واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية السادسة الحلم ممن صدرت عنه المصيبة ان ابراهيم لاواه حليم انا نبشرك بغلام حليم ان فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة وتختلف مراتب الحلم باختلاف المصائب في صغرها وكبرها فالحلم عند اعظم المصائب افضل من كل حلم السابعة العفو عن جانيها والعافين عن الناس فمن عفا واصلح فاجره على الله والعفو عن اعظمها افضل من كل عفو الثامنة الصبر عليها وهو موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه والله يحب الصابرين انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وما اعطي احد عطاء خيراً واوسع من الصبر التاسعة الفرح بها لاجل فوائدها قال عليه الصلاة والسلام

واخيه جمل الله مسعاهم وحقق لهم محاسن مبتغاهم وقد تم نور بدره وانتسق عقد درره في صفر سنة ١٣١٧ هجرية على صاحبها افضل الصلاة واتم التحية

﴿ غريبة تاريخية للامام تاج الدين السبكي اثبتناها تتميماً للفائدة ﴾

قال الحاكم سمعت ابا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابا العباس عيسى ابن محمد ابن عيسى الطهماني المروزي يقول ان الله تبارك وتعالى يظهر اذا شاء ماشاء من الآيات والعبر في بريته فيزيد الاسلام بها عزاً وقوةً ويؤيد ما انزل من الهدى والبينات وينشئ اعلام النبوة ويوضح دلائل الرسالة ويوثق عرى الاسلام ويثبت حقايق الايمان منا منه على اوليائه وزيادة في البرهان لهم وحجة على من عاند في طاعته والحد في دينه ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة فله الحمد لا اله الا هو ذو الحجة البالغة والعز القاهر والطول الباهر وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة ورسول الهدي وعلى آله الطاهرين السلام ورحمة الله وبركاته وان مما ادركنا عياناً وشاهدنا في زماننا واحطنا علماً به فزادنا يقيناً في ديننا وتصديقاً لما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم ودعا اليه من الحق فرغب فيه من الجهاد من فضيلة الشهداء وبلغ عن الله عز وجل فيهم اذ يقول جل ثناؤه ولا تحسبن الذين قتلو في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين اني وردت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين مدينة من مدائن خوارزم تدعى هزارنيف وهي في غربي واد جيحون ومنها الى المدينة العظمى مسافة نصف يوم فخبرتُ ان بها امرأة

والذي نفسي بيده ان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حبذا المكروهان الموت والفقر وانما فرحوا بها اذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة الى ثمرتها وفائدتها كما يفرح من عظمت ادواؤه بشرب الادوية الحاسمة لها مع تجرعه لمرارتها العاشرة الشكر عليها لما تضمنته من فوائدها كما يشكر المريض الطبيب القاطع لاطرافه المانع من شهواته لما يتوقع في ذلك من البرء والشفاء الحادية عشرة تمحيصها للذنوب والخطايا وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ولا يصيب المؤمن وصب ولا نصب حتى الهم يهمه والشوكة يشاكها الا كفر به من سيئاته الثانية عشرة رحمة اهل البلاء ومساعداتهم على بلواهم فالناس معافي ومبتلي فارحموا اهل البلاء واشكروا الله تعالى على العافية وانما يرحم العشاق من عشق الثالثة عشرة معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها فان النعم لا تعرف اقدارها الا بعد فقدها الرابعة عشرة ما اعده الله تعالى على هذه الفوائد من ثواب الآخرة على اختلاف مراتبها الخامسة عشرة ما في طيها من الفوائد الخفية فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ولما اخذ الجبار سارة من ابراهيم كان في طي تلك البلية ان اخدمها هاجر فولدت اسماعيل لابراهيم عليهما الصلاة والسلام فكان من ذرية اسماعيل سيد المرسلين وخاتم النبيين فاعظم بذلك من خير كان في طي تلك البلية وقد قيل كم نعمة مطوية لك بين

من نساء الشهداء رأت رؤيا كأنها اطعمت في منامها شيئاً فهي لا تاكل شيئاً ولا تشرب منذ عهد ابي العباس بن طاهر والى خراسان وكان توفى قبل ذلك بثمان سنين رضى الله عنه ثم مررت بتلك المدينة سنة اثنين واربعين ومائتين فرأيتها وحدثتني بحديثها فلم استقص عليها لحداثة سني ثم اني عدت الى خوارزم في آخر سنة اثنين وخمسين ومائتين فرأيتها باقية ووجدت حديثها شائعاً مستفيضاً وهذه المدينة على مدرجة القوافل وكان الكثير ممن ينزلها اذا بلغهم قصتها احبوا ان ينظروا اليها فلا يسألون عنها رجلاً ولا امرأة ولا غلاماً الا عرفها ودل عليها فلما وافيت الناحية طلبتها فوجدتها غائبة على عدة فراسخ فمضيت في اثرها من قرية الى أخرى فادركتها بين قريتين تمشى مشية قوية واذا هي امرأة نصف جيدة القامة ظاهرة الدم متوردة الخدين ذكية الفؤاد فسايرتني وانا راكب فعرضت عليها مركباً فلم تركبه واقبلت تمشى معي بقوة وحضر مجلسى قوم من التجار والدهاقين وفيهم فقيه يسمى محمد بن حمدويه الحارثي وقد كتب عنه موسى بن هرون البزار بمكة وكهل له عبادة ورواية للحديث وشاب حسن يسمى عبد الله بن عبد الرحمن وكان يخلف اصحاب المظالم بناحيته فسألتهم عنها فاحسنوا ثناء عليها وقالوا عنها خيراً وقالوا ان امرها ظاهر عندنا فليس فينا من يختلف فيها قال المسمى عبد الله بن عبد الرحمن انا اسمع حديثها منذ ايام الحداثة ونشأت والناس يتفاوضون في خبرها وقد فرغت بالى لها وشغلت نفسى بالاستقصاء عليها فلم ار الا ستراً وعفافاً ولم اعثر منها على كذب في دعواها ولا حيلة في التلبيس وذكر ان من كان يلى خوارزم من العمال كانوا فيما خلا يشخصونها ويحضرونها الشهر والشهرين والاكثر في بيت يغلقون عليها ويوكلون بها من يراعيها فلا يرونها تأكل ولا تشرب ولا يجدون لها اثر بول ولا غائط فيبرونها ويكسونها ويخلون سبيلها فلما تواطا اهل الناحية على تصديقها قصصتها عن حديثها وسالتها عن اسمها وشأنها كله فذكرت ان اسمها رحمة بنت ابراهيم وانه كان لها زوج نجار فقير معيشته من عمل يده يأتيه رزقه يوماً ويوماً لا فضل في كسبه

اثناء المصائب وقال آخر رب مبغوض كريه فيه لله لطائف* السادسة عشر ان المصائب والشدائد تمنع من الاشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر فان نمرود لو كان فقيراً سقيماً فاقد السمع والبصر لما حاج ابراهيم في ربه لكن حمله بطر الملك على ذلك وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته باتيانه الملك ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال انا ربكم الاعلى وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه لاسقيناهم ماءً غدقاً لنفتنهم فيه وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون والفقراء والضعفاء هم الاولياء واتباع الانبياء ولهذه الفوائد الجليلة كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل نسبوا الى الجنون والسحر والكهانة واستهزئ بهم وسخر منهم فصبروا على ما كذبوا وأوذوا وقيل لنا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم

عن قوت اهله وانها ولدت منه عدة اولاد وجاء الا قطع ملك الترك الى
القرية فعبر الوادي عند جموده الينا في زهاء ثلاثة آلاف فارس واهل خوارزم
يدعونه كسرة وقال ابو العباس والاقطع هذا كان كافراً عاتٍ شديد العداوة
للمسلمين قد اثر على اهل الثغور والح على اهل خوارزم بالسبي والقتل والغارات
وكانت ولاة خراسان يتالفونه واشباهه من عظماء الاعاجم ليكفوا غارتهم عن
الرعية ويحقنوا دماء المسلمين فيبعثون الى كل واحد منهم باموال والطاف
كثيرة وانواع من فاخر الثياب وان هذا الكافر انساب في بعض السنين
على السلطان ولا ادري لما ذاك استبطأ المبار عن وقتها ام استقل ما بعث
اليه فاقبل في جنوده فعاث وافسد وقتل ومثل فعجزت عنه خيول خوارزم
وبلغ خبره ابا العباس عبد الله بن طاهر رحمه الله فانهض اليهم اربعة من القواد
وشحن البلد بالعساكر والاسلحة ورتبهم في ارباع البلد كل في ربع فحموا
الحريم باذن الله تعالى ثم ان وادي جيحون وهو الذي في اعلى نهر بلخ جمد لما
اشتد البرد قالت المرأة فعبر الكافر في خيله الى باب الحصن وقد تحصن الناس
وضموا متعتهم فحصر اهل الناحية وارادوا الخروج فمنعهم العامل دون ان أتوا
في عساكر السلطان ويتلاحق المتطوعة فشد طائفة من شبان الناس واحداثهم
فتقاربوا من السور بما اطاقوا حمله من السلاح وحملوا على الكفرة فتهارج
الكفرة واستجروهم من بين الابنية والحيطان فلما اصحروا كثر الترك عليهم وانقطع
ما بينهم وبين الحصن وبعدت المؤنة عنهم فحاربوا كاشد حرب وثبتوا حتى
تقطعت الاوتار والقسي وادركهم التعب ومسهم الجوع والعطش وقتل عامتهم
واثخن الباقون بالجراحات ولما جن عليهم الليل تحاجز الفريقان قالت المرأة
ورفعت النار على المناظر ساعة عبور الكافر فاتصلت بالجرجانية وهي مدينة
عظيمة في قاصية خوارزم وكان ميكال مولى طاهر مرابطا بها في عسكر
فخف في الطلب وركض الى هزار نيف في يوم وليلة اربعين فرسخاً بفراسخ
خوارزم وفيها فضل كثير على فراسخ خراسان وعن الترك للفراغ من امر
اولئك النفر فبينما هم كذلك اذ ارتفعت لهم الاعلام السود وسمعوا اصوات

الطبول

مستهم الباساء والضراء وزلزلوا
حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله ألا ان نصر
الله قريب ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع ونقص من
الاموال والانفس والثمرات وبشر
الصابرين لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيراً الذين اخرجوا
من ديارهم وامـوالهم وتغربوا عن
اوطانهم وكثر عناهم واشتد بلاهم
وتكاثر اعداهم فغلبوا في بعض
المواطن وقتل منهم باحد وبئر
معونة وغيرهما من قتل وشج وجه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكسرت رباعيته وهشمت البيضة
على رأسه وقتل اعزاؤه ومثل بهم
فشمتت اعداؤه واغتم اولياؤه
وابتلوا يوم الخندق وزلزلوا زلزالاً
شديداً وزاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر وكانوا في خوف
دائم وعري لازم وفقر مدقع
حتى شدوا الحجارة على بطونهم
من الجوع ولم يشبع سيد الاولين
والآخرين من خبز بر في يوم
مرتين واوذي بانواع الاذية حتى

الطبول فافرجوا عن القوم ووافى ميكال موضع المعركة فوارى القتلى وحمل
الجرحى قالت المرأة وادخل الحصن عشية ذلك اليوم زهاء اربعمائة جنازة
فلم يبق دار الا حمل اليها قتيل وعمت المصيبة وارتجت الناحية بالبكاء
قالت ووضع زوجي بين يدي قتيلاً فادركني من الجزع والهلع عليه ما يدرك
المرأة الشابة على الزوج ابي الاولاد وكانت لنا عيال قالت فاجتمع النساء
من قراباتي والجيران يسعدنني على البكاء وجاء الصبيان وهم اطفال لا يعقلون
من الامر شيئاً يطلبون الخبز وليس عندي ما اعطيهم فضقت صدراً بامري
ثم اني سمعت اذان المغرب ففزعت الى الصلاة فصليت ما قضى لي ربي ثم
سجدت ادعو واتضرع الى الله تعالى واسأله الصبر وان يجبر يتم صبياني قالت
فذهب بي النوم في سجودي فرأيت في منامي كاني في ارض خشناء ذات حجارة
وانا اطلب زوجي فناداني رجل الى اين ايتها الحرة قلت اطلب زوجي فقال
خذي ذات اليمين فرفع لي ارض سهلة طيبة الري ظاهرة العشب واذا قصور
وابنية لا احفظ ان اصفها ولم ارمثلها واذا انهار تجري على وجه الارض غير
اخاديد ليست لها حافات فانتهيت الى قوم جلوس حلقاً حلقاً عليهم ثياب
خضر قد علاهم النور فاذا هم الذين قتلوا في المعركة ياكلون على موائد بين
ايديهم فجعلت اتصفح وجوههم لالقى زوجي فناداني يا رحمة يا رحمة فيممت
الصوت فاذا انا به في مثل حال من رأيت من الشهداء وجهه مثل القمر ليلة
البدر وهو ياكل مع رفقة له قتلوا يومئذ معه فقال لاصحابه ان هذه البائسة
جائعة منذ اليوم افتأذنون لي ان اناولها شيئاً تاكله فاذنوا لي فناولني كسرة خبز
قالت وانا اعلم حينئذ انه خبز ولكن لا ادري كيف هو اشد بياضاً من الثلج
واللبن واحلى من العسل والين من الزبد فاكلته فلما استقر في جوفي قال اذهبي
كفاك الله مؤنة الطعام والشراب ما حييت في الدنيا فانتبهت من نومي
شبعى ريانة لا احتاج الى طعام ولا شراب وما ذقتهما منذ ذلك اليوم الى
يومي هذا ولا شيئاً يا كله الناس قال ابو العباس وكانت تحضرنا وكنا نا كل
فتأخذ على انفها تزعم انها تتأذى من رائحة الطعام فسألتها تتغذى بشيء او

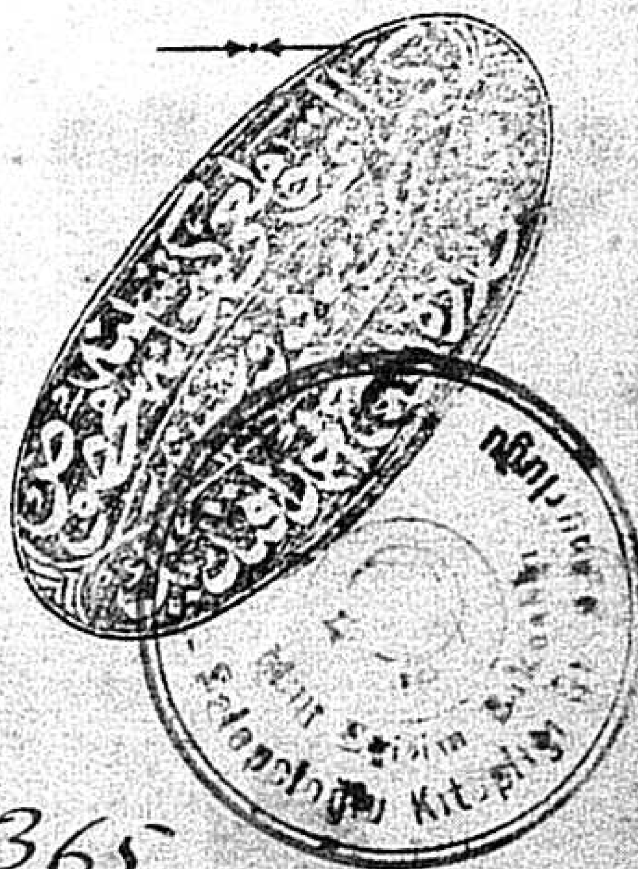
قذفوا احب اهله اليه ثم ابتلي في
آخر الامر بمسيلمة وطليحة
والعنسي ولقي هو واصحابه في جيش
العسرة ما لقوه ومات ودرعه عند
يهودي على آصع من شعير ولم
تزل الانبياء والصالحون يتعهدون
بالبلاء الوقت بالوقت يبتلى الرجل
على قدر دينه فان كان صلباً في
دينه شدد في بلائه ولقد كان
احدهم يوضع المنشار على مفرقه
فلا يصده ذلك عن دينه وقال
عليه الصلاة والسلام مثل المؤمن
مثل الزرع لا تزال الريح تميله
ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء
وقال عليه الصلاة والسلام مثل
المؤمن كمثل الخامة من الزرع
تفيئها الريح تصرعها مرة وتعدلها
مرة حتى تهيج فحال الشدة والبلوى
مقبلة بالعبد الى الله عز وجل وحال
العافية والنعماء صارفة للعبد عن
الله تعالى واذا مس الانسان ضر
دعانا لجنبه او قاعداً او قائماً فلما
كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا
الى ضر مسه فلاجل ذلك ثقلوا
في المآكل والمشارب والمناكح
والمجالس والمراكب وغير ذلك
ليكونوا على حالة توجب لهم الرجوع

تشرب شيئاً غير الماء فقالت لا فسألتها هل يخرج منها ريح او اذى كما يخرج من الناس فقالت لا عهد لي بالاذى منذ ذلك الزمان قلت والحيض اظنها قالت انقطع بانقطاع الطعم قلت فهل تحتاجين حاجة النساء الى الرجال قالت اما تستحي مني تسألني عن مثل هذا قلت اني لعلي احدث الناس عنك ولا بد ان استقصى قالت لا احتاج قلت فتنامين قالت نعم اطيب نوم قلت فما ترين في منامك قالت مثل ما ترون قلت فتجدين لفقد الطعام وهنا في نفسك قالت ما احسست بالجوع منذ طعمت ذلك الطعام وكانت تقبل الصدقة فقلت ما تصنعين بها قالت اكتسى واكسو ولدي قلت فهل تجدين البرد وتتأذين بالحر قالت نعم قلت يدركك اللغوب والاعياء اذا مشيت قالت نعم ألست من البشر قلت فتتوضئين للصلاة قالت نعم قلت لم قالت امرني بذلك الفقهاء فقلت انهم افتوها على حديث لا وضوء الا من حدث او نوم وذكرت لي ان بطنها لاصق . بظهرها وامرت امرأة من نسائنا فنظرت فاذا بطنها كما وصفت واذا قد اتخذت كيساً مصمت القطن وشدته على بطنها كي لا يقصف ظهرها اذ مشت ثم لم ازل اختلف الى هزارنيف بين السنتين والثلاث فتحضرني فأعيد مسئلتها فلا تزيد ولا تنقص وعرضت كلامها على عبدالله بن عبدالرحمن الفقيه فقال انا اسمع هذا الكلام منذ نشأت فلا اجد من يدفعه او يزعم انها تاكل او تشرب او تتغوط انتهى من طبقات السبكي



﴿ فهرست كتاب حل العقال ﴾

الى الله تعالى عز وجل والاقبال عليه * السابعة عشرة الرضى الموجب لرضوان الله تعالى فان المصائب تنزل بالبر والفاجر فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة ومن رضيها فله الرضى والرضى افضل من الجنة وما فيها لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من جنات عدن ومساكنها الطيبة فهذه نبذة مما حضرنا من فوائد البلوى ونحن نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة فلسنا من رجال البلوى وفقنا الله تعالى للعمل الصالح بما يحب ويرضى وبرأنا من المحن والرزايا اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله عوداً على بدء مختتماً على مفتتح وسلم تسليماً باقياً دائماً الى يوم الدين آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم



﴿ مطبوعات جديدة ﴾

بالقرش الصاغ

٥ كتاب الاتحاف بحب الاشراف للعلامه الشيخ عبدالله الشبراوي وبهامشه حسن التوسل في اداب زيارة افضل الرسل للعلامة الفاكهي مذيلاً باحياء الميت بالاحاديث الواردة بآل البيت للسيوطي

١٠ كتاب مفتاح العلوم للامام السكاكي وبهامشه شرح اتمام الدرايه لقراء النقايه للامام جلال الدين السيوطي

٢ منظومة الكواكبي في اصول الفقه التي نظم بها من المنار مع زيادات عليه وهي تحتوي على ١٨٠٠ بيت نظم في غاية الرقة والسهولة مضبوطة بالشكل مجلدة تجليداً لطيفاً

٢ منهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد للعلامة الفاضل الشيخ حسن السقا خطيب الجامع الازهر